الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



بقلم الأستاذ
أحمد محمد حجاب

القاهرة ١٣٨٦ هـ

خطأ	صواب	الصفحة	السطر
لا يمكن لها أن تحمى	لا يمكن أن تحمى	٨٣	٧
ق نفسه	نفسه	٨٣	١٧
ولا هي نتيجة طاهرة	ولا هي لنتيجة دعاية طاهره	٨٥	٢٧
أساميهم	أما هم	٨٨	٧
وقوله	قوله	٨٨	١٥
فما وسع الدريدى إدا سئل عنه	فما وسع الدريدي إلا أن يعتذر له بأنه مكلف من شيخ الاسلام بذلك وكان الدريدى إذا سئل عنه	٩١	٢٤
لا تتعمر	لا تتقيد	١ ١	٩
وإن أساؤا	وإن أساؤه	١ ٦	٢٧
مولا	ولا	١ ٨	٩
لسانه	لسان	١ ٨	١٤
باين	ادن	١١١	٢٣
سنه ١٩٦	سنة ٥٩٦	١١٤	٧
ثم يروح أحمد البدوى	ثم تروح على أصحب عيسى ولا زالوا يتوالدون حتى أصحب سند على البدرى سيدى أحمد البدوى	١١٥	٢٦
إعجابا	إعجابها	١٢٤	٢
كيفه	كمية	١٤١	٢٧
اللداب	الداب	١٤٦	١٥
—	سطر زائد يحذف	١٤٩	٢٤
راسخا على أن لا يعود	الحقيقة الرائعة أن نعزم عزما أكيدا ونصمم فى قرارة نفسه تصميما راسخا عن أن لا نعود	١٤٩	٢٥
بأحلال	بإخلاق	١٥٧	٥
وأدرى	فارق	١٥٩	١
يمعك	لا يمعك	١٨	٤
علمت	عملت	١٨	٢
لا فيهما	فيهما	٢ ٤	٢٣
ومثل الاسعانه فيما تقدم الاسعانه فانها كما تسند إلى الله العباد	ومثل الاستعانه فيما تقدم الاستغاثة فانها كما تسند إلى الله تسند إلى العباد	٢٢	٢٣،٢٤
	يحذف السطر رقم ١١ ومكانه وإنما قلنا ذلك لأنه لا نزاع فى أن الاستغاثه كما تستعمل فى طلب الاغاثه	٢٢١	١١

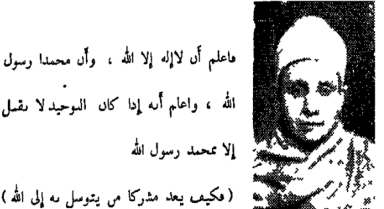
خطأ	صواب	الصفحة	السطر
الى مستواها	الى مسعرها	٣٢	٢
طهورنا	على طهورنا	٣٢	٢٤
وحودنا هنا	وحوهنا	٣٢	٢٥
شحصاها	وصفاها	٣٣	٧
الرواسى على الأرض التى دكرناها	الرواسى التى دكرناها	٣٣	٩
طده	مهده	٣٣	١١
حقيقى وإن اتيانها	حقيقى للارص ولكن بعد أن شاهدنا أحيرا أن الأرض معلقة فى الفضاء وأنها تسير وتتحرك أصبحنا ندرك أن طلبها منه أن تأتى إليه هو طلب حقيقى وإن إتيانها	٣٣	٢
ميق	وسيق	٣٥	١٤
ولم نصدقوه	ولن نصدقوه	٣٧	١٨
الهود	إلى الهود	٣٨	٢٥
بالرد	بالردة	٣٨	٢٧
لحطة	لحطة	٣٩	٢٨
فى عير	من غير	٤	١٩
تأثير	أى تأثير	٤١	١٧
وندنه	ندنه	٤٤	١٣
وافقهم	وانقهم	٤٥	٢١
عن	من	٤٦	٣
على	العلمى	٤٦	١٢
إن عيسى	مع أن عيسى	٤٩	٢
والسوة	والسوة	٤٩	٧
علم لها	علم بها	٤٩	٢٦
والتاعد	والساعص	٥	١٢
قدم	قد تم	٥١	٨
اقترب	اقترب	٥١	٩
يوجد أيضا	يوجد منه أيضا	٥٢	١
الروب	الحروب	٥٦	٨
وفى بده	وما فى بده	٦٣	٧
ثانتا	ثابت	٦٣	١٧
من كبر يانها	عن كبريائها	٦٤	٧
تعويلها	تحديها	٦٤	١١
كثيرا	كثير	٧٥	٢
الألسة	السنة	٧٥	٢٣
السبب	البيت	٧٩	١٥
إن لم نعرف	إن من لم نعرف	٨١	١٣

تصويب (*)

خطأ	صواب	الصفحة	السطر
لحدة	لحده	٥	٦
عجل فيا	عجل شيئا	٧	١٠
وجعلنا	وبجعلنا	٨	٨
أن يعلموه	أن يعلموها	١١	١٣
فيحلق الله الرأسمالى	فيحلق الله النظام الرأسمالى	١١	١٥
فصاعدا	تصاعدا	١١	١٦
من دا جعل	مدا الدى جعل	١٢	٢
إن هذا الشيء	إن هذا لشيء	١٢	٢٦
لئلا يتلاصقان	لئلا يتلاصقا	١٣	٣
وتمحى في الأصواء	وتمحى الأصواء	١٥	٢
البدر	الدرى	١٧	٧
وبصمت	وانتصبت	٢	٣
يدعهم	يدمعهم	٢١	٣
نجمة سابقة	نجمة سابعة	٢٢	١
من الذى احتص الخارجى	من الذى احتص الشمس من بينها بالضياء ، والقمر بالنور ، واختص الأرض بالخضرة إذا رأيتها من الفضاء الخارجى	٢٤	٥
ولكن الأرض	ولكون الأرض	٢٥	٩
نحسب	تحسب	٢٥	١٢
أمر محراب	أمره محراب	٢٥	٣
الحارق	الخارق	٢٥	٢٦
لا سمع إلا الاعتراف	لا يسع الاعتراف	٢٥	٢٨
أو نجعل	أمر نجعل	٢٥	٢٨
أو لم يمكنكم الايمان	أو لم يمكنكم في الايمان	٢٦	١
وتتصوره	ولا نتصوره	٢٦	٥
إن هذه التى	إن هذه النار التى	٢٧	١
المودنات	المدنات	٢٧	١٧
تحدث لها	تحدث بها	٢٧	١٨
نعلت	ملئت	٢٧	٢
وإن نعدم	ان نقدم	٢٨	١٣
واللسان الواثق	وبلسان الواثق	٢٨	١٨
مشاهد	مشهدا	٢٩	١٢
صيعة	صيغة	٣	١٩
قدره	قدره	٣	١٩
واحر	وأحر	٣١	١٠
محتاج مثقلات	محتاج إلى مثقلات	٣٢	١٤

(*) أخطاء راغ عنها البصر ؛ نعلم أنها لا تفوت فطنة القارىء ، ننبه إليها

بسم الله الرحمن الرحيم



فاعلم أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واعلم أنه إذا كان التوحيد لا يقبل إلا بمحمد رسول الله

(فكيف يعد مشركا من يتوسل به إلى الله)

« أحمد محمد حجاب »

تأمل صورتي توحي بصدق ... بأن الحق مشربها الصريح

أقول الحق لا أبغي سواه ... ويملأ قلبي النصح الصحيح

وأبدي الرأي لا أبغي انتصارا ... لغير الله إن عز النصيح

فليس لغيره في القلب مثوى ... وليس لغيره وضع صحيح

فإن شئت السلامة فاتبع قولي ... يعبر عنه منطقه الفصيح

وإن شئت الملامة هاك غيري ... يم عليه موقفه القبيح

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه

وبعد فقد رأيت فى مقدمة الطبعة الثانية لكتاب العظة والاعتبار أن أتكلم فى مسائل دينيه هامة بعضها يتعلق بالله تبارك وتعالى من حيث وجوده وتأثيره فى الكون ، وهل يمكن طلبه لتحدة ، وأين هو ، وهل هو فى الأرض أو فى الفضاء الخارجى ، وكيف هو — وبعضها يتعلق بسيدنا عيسى عليه السلام من حيث حياته وموته وقتله وصلبه — وهل هــو حى فى السماء وسينزل الى الارض — أو أن اليهود قتلوه وصلبوه ومات وانقضى أجله كما ذهب الى ذلك بعض كبار الشيوخ — وبعضها يتعلق بشر السلام فى الأرض — وهل يمــكن تحقيقه وتجنب الحــروب — وما هو الطريق الى ذلك -- وبعضها يتعلق بعبادة الله من حيث أدائها على القمر أو الى القمر أو فى جوار القمر — وكيف تكون فاسدة أو تقع صحيحة فى هذه المواطن

أردت أن أتكلم فى هذه المسائل التى هى من صميم الدين لأكشف الحقيقة فيها للناس واضحة جلية بعبارات سهلة وقريبه يمكن لكل قارىء مهما كانت درجته العلمية نازلة أو عالية أن يلمس تلك الحقيقة ويدركها من خلال تلك العبارات بدون تعثر وبدون جهد أو أقل عنت

وقد تناول هذه المسائل بالبحث أناس كثيرون علماء وشيوخ كبار وفلاسفة مثقفون وغير مثقفين فبعضهم ضل وبعضهم ضل وأضل وبعضهم قارب النجــاح وبعضهم سقط فى منتهى الطــريق — ولكنهم جميعا لم

يستطيعوا ان يكشفوا للناس عن الخدمة العلمية فى هذه المسائل الدينية
الكبرى وأن يحصروها لهم تحصيرا يلائم مع عبقريتهم أو جاهلتهم
ليتناولوها جمعا سائغة هينة للشاربين ، وليتقبلوها بقلب صادق سليم ،
وقد عقدنا لكل مسألة من هذه المسائل رسالة خاصة تحرينا فيها الحقيقة
مجردة عن كل غرض وهوى ومصفاة من كل لبس وتعمية ابتغاء وجه الله
الكريم والله هاديا الى طريقه المستقيم فقول وبالله التوفيق

الرسالة الاولى

موضوعها :

هل يمكن أن نجد الله فى الأرض أو فى الفضاء الخارجى ؟

قرأنا أنه قد طلب الله فى الفضاء الخارجى أحد رواد الفضاء فلما لم يجد الله هناك اعتقد أن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء

وقرأنا أن زعيما اشتراكيا ضاق ذرعا بالرأسماليين والاستعماريين لما سدوا فى وجهه الطريق الى السلام فلم يطق أن يكظم غيظه فأنفجر معلنا فى الصحف اليومية أن الله لو كان موجودا لكنس الرأسماليين والاستعماريين بمكنسة والقى بهم فى الجحيم — وفاته أن الله حليم لا يعجل بالعقوبة كما لا يعجل بالثواب وأنه لو عجل هذا أو ذاك لما كان هناك فائدة لدار ثواب وعقاب ولكان الايمان بالله جبرا لا اختيارا مادام أن كل من عصى أو طغى كنسه الله بمكنسة والقى به فى الجحيم

وعلمنا أن قطبا اشتراكيا من أقطاب المادة طلب الله فلما لم يجده فى عالم المادة لف الأديان فى خرقة بالية وأخفاها فى جب عميق وضرب عليها بسور من حديد ليس له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب واطمأن الى أن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء

وقد طلب الله فرعون من قبل فلما لم يجده قال لوزيره هامان ياهامان ابن لى صرحا أعلو عليه لأطلع الى اله موسى فى السماء فلما لم يجده اعتقد أن لا آله الا فرعون وأن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء

وظهر فى القرون الثلاثة ، طوائف من الناس على أشكال شتى ومذاهب شاذة متنوعة زعموا أنهم فلاسفة ماديون طلبوا الله فلما لم يجدوه فى عالم المادة اعتقدوا أن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء وخرج هؤلاء الفلاسفة الماديون — الذين لا يعترفون بوجود الله — على أسلافهم من

الفلاسفة الروحانيين الذين يعترفون بوجود الله — وخرجوا أيضا على الأديان كلها من شريعة آدم أبي البشر الى شريعة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم بل وخرجوا أيضا على الأديان التي سبقت شريعة آدم أبي البشر والتي كان عليها سكان الأرض قبل آدم من جن أو ملائكة أو أوادم آخرين خلاف آدم الأخير أبي البشر ، وتقدر أعمار هذه الشرائع بملايين السنين أي من بدء الخليقة الى الآن

خرج هؤلاء الماديون الطبيعيون هذا الخروج السافر الجرئ الذي يمثل الجهل بعينه والضلال بعينه وجعلنا نعتقد أنهم ليسوا من العلم والمعرفة في شيء وأنهم من الانحراف عن الحق والسير في الضلال في كل شيء

واني لأذكر للقارئ أصل تكوين هذا الرأي الفاسد القائل بعدم وجود الله وأن العالم ومنه الانسان موجود بطبيعته — ومن هو الذي اخترع هذا الرأي الفاسد وابتكره في القرن الثامن عشر — وعلى أي أساس بني هذا الرأي ، ومن الذي قلده في هذا الرأي وتباه وما الذي حمل من تباه على أن يتباه ليلمس بنفسه فساد هذا الرأي وفساد تفكير القائل به وتفكير من قلده وضلالهم جميعا في هذا التفكير

فالفلاسفة الروحانيون الأقدمون والمحدثون كانوا يعتقدون أن الكون وكل مافي الكون ومنه الانسان نتاج للفكرة الأزلية على حد تعبيرهم وليس لحركة فكر أي بشر مفكر دخل في احداث أي شيء من التعبيرات والتطورات التي تحدث في هذا الكون فحركة الفكر الأزلية هي خالقة الواقع في الكون وليس هذا الواقع في الكون الا صورة ظاهرية للفكرة الأزلية هذا ما كان يعتقده الفلاسفة الروحانيون الى عهد هيجل الفيلسوف الألماني الروحاني في القرن الثامن عشر « ١٧٧٠ — ١٨٢٠ » وحدث في القرن الثامن عشر أن « ماركس » تلميذ هيجل في الفلسفة خرج على هيجل وخرج معه « انجلز » صديق ماركس واعتقدا معا نقيض ما يعتقده هيجل كما صرح بذلك ماركس نفسه حيث قال « ان حركة الفكر التي يجعلها هيجل ذاتا يسميها الفكرة الأزلية هي عنده خالقة الواقع وليس هذا الواقع الا صورة ظاهرية للفكرة الأزلية » أما عندي « أي عند ماركس » فحركة الفكر ليست

الا انعكاسا للحركة الواقعيه منقولة ومحولة للمخ البشرى ، فهيجل عنده أن الله هو خالق الواقع فى الكون وليس هذا الواقع الا صورة ظاهرة لما فى الفكره الأولية وماركس عنده أن الواقع موجود بطبيعته بما فيه الانسان وليس هنالك حركه فكر أزلية خالقة للواقع وأن ما فى فكر الانسان صوره ظاهرية للواقع الطبيعى فمن المسكين وجودالله وخرج على أستاذه هيجل وعلى كل الفلاسفة الروحانيين كما خرج على الأديان كلها كما قدمنا بدون سند و لادليل كما ترى وبنى ما يسميه أسلافه حركة الفكر الأزلية التى هى خالقة الكون وأحل محلها الحركة الواقعية الطبيعية المنقوله والمحوله من الواقع الى المخ البشرى ، ولذلك تراهم يعرفون هذه الفلسفه الماركسية بأنها هى المفهوم العام للطبيعة والانسان معا — ولا اله بعد ذلك ولا مألوه ولا خالق ولا مخلوق

والحقيقه أن ما يقوله ماركس وارتد بسببه عن الدين اليهودى كما ارتد بسببه مئات الملايين من المسيحيين من أن الكون ومنه الانسان موجود بطبعه قول هراء وباطل وفاسد لا يمكن تصوره ولا يمكن أن يصدقه عقل ولا يقبله انسان مفكر ولا غير مفكر وما كان يستحق أن يكتب له البقاء فى الأرض يوما واحدا من حين ظهوره فى القرن الثامن عشر الى يومنا هذا لولا الاعتقادات الباطلة التى التصقت بمذهب الفلاسفة الروحانيين الذين يعترفون بوجود الله فاضطرت هذه الاعتقادات مئات الملايين من المسيحيين أن يتركوا مذهب هيجل وأضراب هيجل من الروحانيين وان يتمسكوا بمذهب ماركس الضال الخاسر الكافر بالله فمذهب الفلاسفة الروحانيين قد علمت أنه يقرر أن الكون وكل ما اشتمل عليه الكون نتاج للفكرة الأزلية وأن الواقع فى الخارج أيا كان صورة ظاهريه للفكرةالأزليه هذا المذهب الذى يقرر ما تقدم ، قد اتخذته القياصره الروسيون واتخذه الاستعماريون وكل الحكام المستبدون وسيلة ومبررا وسلاحا ماضيا يشهرونه فى وجوه الثوريين الخارجين على سياستهم الاستبدادية قيصرية وغير قيصرية فكلما ثار شعب مستعبد أو مغلوب على أمره أفحموه وواجهوه بمذهب الفلاسفة الروحانيين القائلين بأن الواقع فى الأرض من النظم كلها

صورة طاهرية للفكره الأزلية ، وادا كان صورة طاهرية للفكره الأزلية فلا يصح أن يثور على هدا الواقع أحد ولا يصح أن يعترض عليه أويغيره أحد فهو حقيقة ثابتة لا يقبل التغيير ولا التبديل ولا يصلح الاستعاضة عنه بأى نظام آخر اشتراكى أو غير اشتراكى . من هنا ضاقت الدنيا فى وجوه الشعوب المستعبدة والمغلوبة على أمرها والمحكومة بالقسر والقوة فتبرمت هذه الشعوب وطلاب الاشتراكية من المذهب الروحانى الذى يعترف بوجود الاله ، وتبرأت من هيجل واضراب هيجل واستمعوا لماركس ومذهب ماركس مادام يقرر لهم أن الكون وكل ما فى الكون ليس نتاجا لفكرة أزلية وأن الكون بطبيعته فى تغير مستمر وأن تغيير النظم نتيجة حتمية تقتضيها طبيعة الوجود وأن الانسان الجدلى يستطيع بحركة فكره المنعكسه عليه من طبيعه الكون أن يغير ما يريد تغييره ويثبت مايريد اثباته ،وهكذا هرب الاشتراكية متبرئة من مذهب هيجل الروحى الذى ينصر القياصرة والمستعمرين ، ومستربلة ، بمذهب ماركس المادى الذى يمسح المحال للاشتراكيين وأسقطوا من حسابهم وجود اللهتعالى هداومذهب الملاسفة الروحانيين القائل بأنالكون وكلما اشتمل عليهالكون صورة طاهريةللفكرة الأزلية يجب تمحيصهوتصحيحه على الأصول المرعيه فى الشرائع الالهية ، لأنبناء هذا المذهب على ظاهره يرسم فى العقل صورة خاطئة وهى أن الله سبحانه وتعالى يرضى عن كل ما هو واقع فى الكون ويحب كل ما هو واقع فى الكون ما دام هو صورة طاهرية للفكره الأزلية — وقد علمت أن الحكام القاصره والمستعمرين قد اتخذوا هذه الصورة الخاطئة دليلا لهم على أن الله هو الذى أقام القياصرة والمستعمرين على رءوس الناس فى أرضه ، وكان هذا الاستدلال سببا فى كفرالاشتراكيين بالله وتمسكهم بمذهب ماركس اللعين ، فالله لايرضى عن كل ما هو واقع فى الكون ولا يحب كل ما هو واقع فى الكون بل أن ٩٩/ مما هو واقع فى الكون من أعمال الناس وأفعالهم لا يحبه الله ولا يرضى عنه ويلعن فاعليه لعنا كبيرا سواء كانت الأعمال فردية كالمعاصى أو اجتماعية كالنظم التى يختارها الناس

ولم تكن ممنمسه مع ما شرعه الله على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام، فكيف ادن يقول الفلاسفة الروحانيون أن الواقع في الكون هو صوره ظاهريه لفكرته الأزليه ، نعم ان ما في الكون مخلوق له ومن صنع قدرته ، خلقه وصنعه بناء على اختيار الناس له « والله خلقكم وما تعملون » ولا يلزم من كونه مخلوقا له من صنع قدرته أن يحبه ويرضى عنه لايضاح ذلك نقول ان الأعمال الواقعة في هذا الوجود كله سواء كانت الأعمال فردية ، أو نظما اجتماعية، اقطاعيه أو استعمارية أو استغلاليه أو رأسمالية أو اشتراكية أو غيرها كلها مخلوقة لله وليس لأحد دخل في خلقها الا اختيار الفاعل لها أن يفعلها فيخلق الله هذا العمل أو هذا النظام على ضوء هذا الاختيار، فالكفر بالله مخلوق لله وليس للكافر دخل في خلقه الا اختياره أن يكفر فخلق الله فيه الكفر على ضوء هذا الاختيار ، والأعمال الاقطاعيه مخلوقة لله وليس لأحد من الاقطاعيين دخل في خلقها الا اختيارهم أن يفعلوه فخلق الله النظام الاقطاعي على ضوء هذا الاختيار والأعمال الاستغلالية الواقعة من الرأسماليين والاستعماريين مخلوقة لله وليس لأحد من هؤلاء دخل في خلقها الا اختيارهم أن يفعلوها فيخلق الله الرأسمالي والاستعماري على ضوء هذا الاختيار وهكذا القول في كل التغيرات والتطورات والتحولات صاعدا أو نازلا وفي كل الأعمال الثورية والحربية والسلمية — وفي كل طاعه وكل معصية وكل شر وكل خير كلها مخلوقة لله وليس لأحد دخل في خلقها الا اختيار الناس أن يفعلوها فيخلقها الله على ضوء هذا الاختيار — ثم لا يلزم من كونها مخلوقة لله بناء على اختيار الناس لها أن تكون مرضيا عنها من الله الا اذا كان اختيارهم لما اختاروا على وفق ما شرعه الله — فمذهب الروحانيين يجب تنزيله على ما ذكرنا وتصحيحه بما وضحنا لأن بقاءه على ظاهره كان سببا في ان الاشتراكيين نبذوا مذهب الروحانيين وتمسكوا بمذهب ماركس المادي الذي لا يعترف بوجود الله وشايع ماركس في ذلك جميع الماديين الذين نشأوا في هذه القرون الثلاثة وذهب الجميع الى أن الكون كله بما فيه الانسان موجود

طبيعته وأنه لا صانع له — وأن كل صنعة لابد لها من صانع استدلال غير منطقي عندهم لأنهم يريدون أن يجدوا هذا الصانع في عالم المادة أمامهم فيعترفون به صانعا فإذا لم يجدوه أمامهم فلا وجود له عندهم ، واعتقدوا أن قيام السموات بنفسها وبدون أن يكون هناك إله أقامها ، وأن الكواكب الثابتة في السماء التي لا تتحرك أبدا ثابتة بنفسها وهي التي لم تتخذ لها مدارا تدور عليه كغيرها وأن الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة تسير بنفسها وتدور بغير أمر ربها ، وهل يتصور عقل انسان أن يدور قمر صناعي حول الأرض بدون أن يعده للدوران أحد وهل يتصور عقل بشر أن تدور سفينة هواء حول القمر بدون أن يدفعها ويرسلها للسير حوله أحد

وهل يتصور عقل آدمي أن يقطع كوكب دورته في كل ٢٤ساعة بالتحديد أو في كل شهر بالتحديد أو في كل سنة بالتحديد من غير أن يحدد سرعته أحد وهل يتصور عقل آدمي أن تضيء هذه الكواكب الدنيا أثناء دورانها بدون أن يشعلها أحد ، وهل يتصور عقل آدمي ان ترفع هذه الكواكب في الهواء وتنصب في الفضاء بدون أن يمسكها في جو السماء أحد

وإذا كانت مجموعة هذه الكواكب الشمسية ومنها الأرض قد وقعت في مواقعها بطريقة جذب بعضها لبعض كما تقولون فمن الذي أوجد فيها هذا التجاذب ؟ من ذا الذي جعلها جاذبة لما حولها ومجذوبة بما حولها من الكواكب فأصبحت كلها قائمة بنفسها وفي الوقت نفسه قائمة بغيرها ؟ ثم من ذا جعل القوى الجاذبية في الأرض تمتد في الفضاء الى مسافة ٨٠٠مليون مترا كما تقولون ؟ ومن ذا الذي جعل القوة الجاذبة في كوكب الزهرة تمتد الى مسافة ٦٥٠مليون مترا كما تزعمون ؟ — يا للعجب ! تمتد القوة الجاذبية في الأرض ٨٠٠ مليون مترا ، ثم تجدون الأرض تعجز بعد ٣٠٠كيلو أن تجذب اليها قلم رصاص كاد يفلت من يد « جاجارين » الروسي ليطير القلم في الهواء في منطقة انعدام الوزن ولا يسقط على الأرض بتأثير جذبها الممتد ٨٠٠ مليون متر . ان هذا الشيء عجيب ، ومعنى ماتقولون في قانون الجذب أن هناك قوتين عظيمتين قوة جاذبة هائلة سارية بين الكواكب بعضها

مع بعض وبينها وبين الأرض ، بها تماسكت كلها وترابطت وقوه أخرى طارده تطرد انحداب الكوكب الصغير الى الكبير لئلايتلاصقانأو يتصادما ، فمن بعد أن نسلم بكل عمق تعادل القوه الجاذبه مع القوة الطاردة بين كوكبين أحدهما يزيد على الآخرملبون مره بقول بعد ان نسلم هذاالتعادل وهو أمر يستحيل عملاقأين هي القوه الجاذبية الهائلة الساريه بين الكواكب بعضها مع بعض ومنها الأرض وقد شاهدتم بأعينكم ورأيتم بأنفسكم بأنه بعد مائتى ميل أو ما يقرب من ذلك قد انعدم وزن الأجسام ثباتا كبيرها وصغيرها ومعنى انعدام وزن الأجسام ثباتا أنه ليس هناك قوة جاذبة هائلة سارية بين الكواكب وبينها وبين الارض فها هى الأرض بعد هذه المائتى ميل قد عجزت تماما عن أن تجذب اليها «جاجارين» وكتاب جاجارين وقلم جاجارين او أي جسم آخر أكبر أو أصغر من جسم جاجارين مهما عظم كبره أو صغره فكيف تقوى الأرض على أن تجذب اليها القمر أو الزهرة أو أى كوكب أصغر منها ، افلا ترون بعد ذلك أن نظام هذه الكواكب فى الفضاء وأن وقوع كل كوكب فى موقعه ليس بطريق تجاذب انما هو بتقدير حكيم وتدبير عليم ، « انما أمره اذا أراد شيئاأنيقولله كن فيكون » ويوضح القرآن أصل ما يسمونه تجاذبا ويبين الحقيقهفى ذلك فيقول «ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » فامساكه للسموات والأرض ولكل ما فى السموات والأرض تماسكت المجموعه الشمسيه وترابطت حتى أصبحت بامساكه لها قائمة فى أماكنها واقعة فى موقعها ومعلقة فى الفضــاء بدون حامل يحملها تدور فى مداراتها وتدور حول نفسها لتؤدى وظائفها التى أناطها الله بها ولولا امساكه اياها لزالت عن أماكنها وتحولت عن مداراتها فيختل نظامها ويقع التصادم بينها ويحل بها وبمن حولها كوارث لا تبقى ولا تذر

ويعدهم الله وعدا لا خلف فيه ولا كذب فيقول « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهــم أنه الحق » فيشاهد تورى جاجارين رائد الفضاء الأول أن الأرض هى ومحيطاتها وأنهارها وجبالها التى تحيط

بها احاطة الثوب بالبدن قائمة فى الفضاء لايحملها شيء الا قدرة الله ولا يمسكها شيء الا الله عز وجل ويشاهد فى نفسه حينما احترق الطبقة الهوائية أن وزنه وثقله قد انعدم نهائيا وأن دفتره وقلمه قد انعدم وربما وأنهما كانا يتفلتان من يده وأنه أصبح فى حاجة الى من يمسكه هو ودفتره وقلمه لئلا يطيروا فى الفضاء الذى حولهم يشاهد آيات الله فى الآفاق ويشاهد آيات الله فى نفسه حتى لقد دهش الرجل من هذه الآيات البينات فقال فى أول تصريح له « ان قيام الأرض فى الفضاء لابد أن يكون مستندا الى اله قادر أقامها » ولكن كل هذا لم يغن شيئا عند علماء الطبيعة فلا يزالون يصرون على أن الأرض بطبيعتها هى التى تمسك الحال المحيطة بها من كل جانب أن تزول وتطير فى الفضاء الذى حولها ، وأن الأرض بطبيعتها هى التى تمسك المحيطات التى تحيط بها من كل جانب أن تزول وتنهمر فى الفضاء الذى حولها وأن الأرض بطبيعتها هى التى تمسك العالم بدوله أن تتساقط هى وشعوبها فى الفضاء الذى حولها ، اذن كان على الطبيعيين أن يسجدوا لهذه الأرض وأن يقدسوها ما دامت هى التى قد أسدت اليهم هذه النعم التى لا تتناهى والتى ان يعدوها لا يحصوها فمن نكران الجميل أن ينكروا فضلها وأن يسكروا لمعروفها فذلك خير وأجدى من أن يعيشوا فوقها بجمود عقل وجحود فضل لا يعرف له العقل حدودا .

ومع هذه الأدلة الحية التى تنطق بوجود اله صانع للعالم تجد هؤلاء الطبيعيين قد نبذوا كل ما فى الكون من آيات الله وراءهم ظهريا ولم يتخذوا منه ولا من كل مافيه شاهدا واحدا يشهد لهم بوجود الله

واما الدليل القائم عندهم على وجود الله هو أنهم يجدونه فاذا لم يجدوه فلا وجود له عندهم ، من أجل ذلك قد ترجمنا لهذا البحث بالترجمة السابقة وهى « أنه هل يمكن أن نجد الله فى الأرض أو فى الفضاء الخارجى ؟ » وتنزلا مع هؤلاء الماديين الذين يريدون أن يجدوا الله ولا يعترفون به موجودا الا اذا وجدوه نقول لهم المسألة ليست مستحيلة كما تظنون وليست ممتنعة كما تفهمون وهى لا تقتضى ابدا هذا التعقيد والجمود ، ولا تحتاج أبدا الى هذا الانكار والجحود فالطريق الى أن تجدوا الله كما تشاؤن وأن

تشاهدوا الله كما تريدون مفتوح أمامكم ومعبد ومختصر وقريب لا يحتاج الى عمل صاروح ولا الى بناء صرح وعليكم أن تسلكوا هذا الطريق الذى تجدون الله فيه ان كنتم جادين ، وتشاهدون الله فيه ان كنتم صادقين وقد أجمل النبى صلى الله عليه وسلم الطريق الى معرفة الله فى أربع كلمات لا أقل ولا أكثر فقال لمن يريد أن يجد الله كما تريدون « احفظ الله تجده تجاهك » أى تجد الله أمامك ، هذا هو الطريق الذى تجدون فيه الله ، هذا هو الطريق الذى سلكه ملايين المسلمين من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا فوجدوا الله فى هذا الطريق ، هذا هو الطريق لمن يريد أن يجد الله فيعترف بوجوده بالمشاهدة كما تريدون ، لا طريق البرهان والاستدلال كما لا تريدون

فاحفظوه تجدوه — وقد حفظناه فوجدناه — وجدناه تماما لا فى الأرض فقط ولا فى الفضاء الخارجى فقط ولا فى السماء فقط حيث حفتت الأضواء ولم يبق الا وجه الله فقط ، بل وجدناه فى ذلك كله وفوق ذلك كله أى فى عماء محض وعدم صرف حيث لا يمكن أن يوجد أمامك شىء يدرك أو يسمع أو يقع عليه البصر أو يمتد فيه البصر قيد أنملة ، فى هذا الجو الذى لايمكن أن يسميه الانسان جوا الا للتعريف وجدنا الله ولا شىء معه اطلاقا لاسماء ولا أرض ولا ظلمة ولا نور ، فى هذا الجو الرهيب وجدناه سبحانه وتعالى ووجدنا صفة الحياة فيه مخالفة تماما لصفة الحياة فى الحوادث ، فحياة الحوادث تقوى حيث تتوفر أسباب الحياة من هواء وأضواء وأجواء ، وتضعف أو تزول حيث يعدم الهواء وتمحى فى الأضواء والأجواء ، وحياته سبحانه وتعالى لا تقبل التعبير فى أى حالة من هذه الحالات فتجلى لمن شاء فى الأرض أو فى السماء أو فى العماء اللانهائى بصفة واحده وعلى حالة واحدة

وجدنا ذاته سبحانه وتعالى مخالفة لذوات الحوادث فلا تركيب فى الذات ولا عضوية ، بل هى ذات أحدية نورانية ذات سمع وبصر وعلم وقدرة وحياة ، وذات جلال لا تستطيع أية قوة أن تثبت أمام جلاله الا اذا كان تجليه

بصمة الحلال بمقدار ، ولا تستطيع آية قوة أن تثب أمام جماله الا اذا كان تحليه بصمة الجمال بمقدار

ووحدنا كلامه سبحانه وتعالى مخالفا لكلام الناس فكلام الناس يسمع بالأذن وبالأذن وحدها أما كلامه سبحانه وتعالى فلا يسمع بالأذن وحدها بل بالروح كلها فيظهر أثر وقعه فى البدن كله فكأن البدن كله أذن لسماع كلامه سبحانه وتعالى ومن هنا يمكن التمييز بين كلامه سبحانه وتعالى وبين ما تلقيه الشيطان أو الولى او غيرهما فى آذان المستمعين الى هؤلاء .

ولما كان كلامه سبحانه وتعالى لايكون الا وهو من وراء حجاب كما قال القرآن « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا » أى الهاما أو من وراء حجاب أى حجاب النور الذى يحتجب به سبحانه وتعالى عن أن يرى كفاحا فى وقت المناجاه كان سماع كلامه بالبدن كله كما قلنا هو الدليل الوحيد على أن المتكلم هو الله لا الشيطان ولا غيره ممن ذكرنا — وقد سأل موسى ربه أن يراه كفاحا فى وقت المناجاة فقال له ياموسى لن ترانى وانما « اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » فكان سماع موسى لكلامه من وراء الحجاب هو ميزة موسى عليه السلام — أما رؤيته كفاحا سبحانه وتعالى فى غير وقت المناجاه وبدون سماع كلامه فقد يمنحها لمن يشاء من عباده ، ورؤيته سبحانه وتعالى وهو محتجب بحجاب النور وبدون سماع كلامه ، عامة وشائعة فى جميع أوليائه فالناس فى رؤيتهم لربهم على هذه الدرجات التى أشرنا اليها — وانى لأنصح للطبيعيين اذا حفظوه سبحانه وتعالى أن يحدوه على درجة من هذه الدرجات المذكورة وفقهم الله وهداهم الى طريقه المستقيم — وربما كان أعلى هذه الدرجات رؤية الذات الأقدس كفاحا — ثم رؤيته محتجبا بحجاب النور مع سماع كلامه سبحانه وتعالى وهى التى وقعت لموسى عليه السلام — ثم رؤيته محتجبا بحجاب النور من غير سماع كلام وهى الرؤية العامة والشائعة فى أوليائه .

وكلام خاتم المرسلين لربه حين فرض الصلاة — وجوابه لأصحابه حينما سألوه عن رؤية ربه فقال لهم « نورانى أراه » ثم قوله لهم عليه الصلاة والسلام فى مقام آخر «انكم ترونه كذلك أى كالقمر ليس دونه سحاب»

يدل على أن الرؤيه على هده الدرجات الثلاث قد منحها الله خاتم المرسلين عليه الصلاه والسلام

وحددنا صفة كلامه كما قلنا ووجدنا صفة نوره الذى يحتجب به كما وصف القرآن تماما فى قوله تعالى « مثل نوره » أى صفة نوره «كمشكاة» أى طاقة مستديرة دورانا تاما مستويا غير نافذه من الخلف « وفيها مصباح وهذا المصباح فى داخل غلاف زجاجى يشبه هذا الغلاف الكوكب الدرى أى الكوكب الذى يكون لونه كلون الدر فى الصفاء والبريق واللمعان ككوكب الزهره والمشترى يوقد هذا المصباح زيت يكاد أن يضىء بنفسه ولو لم تشعله النار — هذه الأنوار الثلاثه نور المصباح العظيم ، ونور غلافه الزجاجى الدرى ، ونور زيته المضىء بنفسه ، اذا جمعت فى مشكاةغير نافذه من الخلف وانحبست انوارها فيها وانعكست أشعتها على محيط هذه الطاقه من الداخل تضاعف نورها وحصل من مجموعها نور عظيم يخطف الأبصار هو مثل لنور الله الواحد القهار الذى يحتجب ، عن أن يرى كماخا بالأبصار نور عظيم على نور أعظم هو نور الذات الأقدس يهدى الله لهذا النور من يشاء من عباده ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم

ولكون الطاقة البشريه لا تحتمل الرؤية مع الكلام احتجب سبحانه وتعالى بهذا الحجاب الذى شرحنا لك صفته لئلا تصعقهم سطوه الرؤية وحاز الكلام فاصطفاء موسى للكلام ومنعه من الرؤية لا لنقص رتبته وانما لعجز طاقته وضعف بشريته ولذلك خر موسى صعقا لما تجلى ربه للجبل فجعله دكا قلنا لهؤلاء الطبيعيين وحدنا الله واضطررنا اضطرارا لأن نقول لهم ذلك رحمة بهم وشفقة عليهم أو طلبا لهدايتهم أو فزعا من هول ما هم صائرون اليه فى آخرتهم أو من أجل ذلك كله قلنا لهم ذلك ولكن هل يعنى هــؤلاء الطبيعيون أن نقول لهم وحدنا الله ووحدنا ، هل يعنيهم ذلك شــيئا من التصديق بما قلنا فيحفظون الله كما حفظنا ليجدوه كما وجدنا — واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم صادقا فى قوله « احفظ الله تجده تجاهك » واذا كان دليل صدقهفيما يقول هو هذه المعجزة العلمية الكبرى معجزة القرآن الحية الخالدة — واذا كان ما وجدنا من الواقع المحسوس لنا قد أيــد

صدقه فى قوله « احفظ الله تجده تجاهك » فوحدناه تماما — وكما وصفه القرآن تماما — فلماذا اذن لا يطرق هؤلاء الطبيعيون هذا الباب الذى يجدون من ورائه مباشرة عيبتهم والذى ان دخلوه أدركوا ولا شك بغيتهم ، وضمنوا سلامتهم ، وهل يعجز أحد فى الدنيا أن يحقق أربع كلمات فيها سعادته فى الدنيا التى لا تعدلها سعادة ، وسعادته فى الآخرة التى ليس بعدها سعادة — بهذا يخلص الطبيعيون الجدليون من بلبلة الفكر ويستريحون من تأنيب الضمير ومن تشتيت العقل بالبحث فى مجهول الطبيعة الذى لا يعرفون له أولا ولا يدركون له آخرا « فاحفظوه تجدوه » احفظوا الله من التصيح بعدم اعتقادكم لوجوده تجدوه — احفظوا دينه الذى شرعه وأوامره التى أوجبها ، ونواهيه التى حرمها فتقفوا عند أوامره بالامتثال وتقفوا عند نواهيه بالاجتناب فلايفقدكم حيث أمركم ولا يراكم حيث نهاكم تجدوه والله أمامكم وهل كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » جريمة تحرمونها اذا اعترفتم بها وهى المفتاح الأول والأخير لهذا الباب الذى تجدون من ورائه ربكم واذا وجدتموه علمتم صدقه فى قوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » وتيقنتم أن أصلكم آدم وأنتم من بنى آدم ودستم بأقدامكم على قانون التطور الذى أوصلكم بكل أسف الى أن أصلكم قرود وأنتم من بنى القرود كما يقول داروين فى القرن الثامن عشر وكما أوصل طائفة أخرى من الطبيعيين الى أن أصلكم من الحيوانات الرواحف التى ترحف على بطونها وتطورت بمقتضى قانون التطور حتى انتصبت وصارت اناسا ، بيدين ويمشى على قدمين ، وكما أوصل طائفة ثالثة من الطبيعيين الى أن أصلكم سمكة ذات زعانف فرت من البحر الى البر ثم تطورت زعانفها حتى انقلبت يدين وتطور ذيلها حتى صار لها قدمين فهل يرضيكم هذا التحريف

واذا وجدتموه سبحانه وتعالى أدركتم أن الذى وجدتموه أمامكم هو الذى جعل الشمس سراجا وهاجا على وضعها التى هى عليه لم تتحول ولم تتطور وأنه هو الذى جعل القمر كوكبا منيرا على وضعه الذى هو عليه لم يتحول ولم يتطور — وأنه هو الذى خلق الأرض ودحاها وأنشأ جبالها

وأرساها على وضعها التي هي عليه لم تتحول ولم تتطور وأخيرا اذا وجدتموه أمامكم سحرتم من قولكم ان النجوم بما فيها الشمس ، والكواكب بما فيها الأرض هي نتاج تطور هائل مستمر — واذا كانت هذه المخلوقات نتاج تطور هائل مستمر كما تقولون فماذا كان أصل الشمس وأصل القمر وأصل الأرض والكواكب والنجوم قبل أن تتطور — هذا التطور الهائل المستمر — قلتم بمقتضى قانون التطور الذى سيرتم على مقتضاه أمر هذا الكون كله وجعلتم التطور هو الفاعل المختار فى الكون كله ان النوع الانسانى أصله قرد فتطور الى انسان فماذا كان أصل الشمس وأصل القمر وغيرهما قبل أن يتطوروا هذا التطور الهائل المستمر ؟ هل كان أصل الشمس جمله مواد كيماوية تحولت الى طاقة ناريه واشتعلت وتطورت حتى صارت شمسا صغيره ثم شمسا كبيره ؟ وهل كان القمر نجما صغيرا فتطور الى نجم كبير الى أن صار بدرا كاملا ؟ ومهما قلتم أن أصل الشمس مادة سديمية قبل أن تتطور هذا التطور الهائل المستمر فان أصلها لابد أن يرتد آخر المطاف الى الله تبارك وتعالى لاستحالة وجود أى مادة من المواد بدون أن يكون هناك موجد أوجدها من العدم الى الوجود سديما كانت تلك المادة أو غير سديم — ومهما قالت طائفة رابعة من الطبيعيين ان أصل الانسان قبل أن يتطور خلية واحده نشأت من مواد زلالية هلامية وهى المنى بالضرورة أو قلتم أن أصل الانسان حيوانات صغيرة لا ترى الا بالمجهر تطورت هذه الحيوانات حتى بلغت الصورة التى يصل فيها الجهاز الى أتم تطوره وهى صورة الفقريات ثم تصل هذه بدورها الى الفقرى التى تبلغ فيه الطبيعة شعورها بذاتها وهى الانسان هكذا عبارتهم بالنص » نقول سواء قلتم هذا أو ذاك فى أصل الانسان قبل أن يتطور فانا نقول لكم ان هذه المادة الزلالية أو هذه الحيوانات الصغيرة الموجوده فى المادة الزلالية هى الأخرى لابد أن ترتد آخر المطاف الى الله تبارك وتعالى فهو الذى خلق تلك المادة الزلالية وهو الذى خلق هذه الحيوانات الصغيرة فى الماده الزلالة « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » . « والله أنبتكم من الأرض نباتا » فهو الذى خلق تلك الحيوانات وخلق أصل تلك الحيوانات من الأغذية التى هى أصل

الانسان وهو الذى طورها أطوارا وهو الذى نفخ فى كل حيوان من روحه وهو الذى جعل فى كل حيوان منها سمعا وبصرا وفؤادا وهو الذى جعل فى كل حيوان منها أجهزة لا حصر لها حتى قامت ونصبت وصارت انسانا تحير الطبيعة ويعجز الانسان المادى الجدلى ويعجز العقل البشرى وتعجز معامل الدنيا عن صنع وتكوين جهاز واحد منها لكى يؤدى وظيفته التى اناطها الله به — وهذه الأجهزه التى لا حصر لها تحت سمعكم وأبصاركم وفى أنفسكم --- فهل الطبيعة هى التى صنعت لكم فى رءوسكم جهاز السمع وجهاز الأبصار وجهاز الأسنان وجهاز الازدراد وجهاز الشم والذوق واللمس وجهاز التنفس حتى تنفستم وهل الطبيعة هى التى رتبت لكم جهاز النطق حتى نطقتم وجهاز المخ حتى عقلتم وجهاز المخيخ حتى اتزنتم وهل الطبيعه هى التى نظمت لكم فى أجسامكم تلك الأجهزة الكبرى المعجزه من جهاز هضمى الى جهاز دموى الى جهاز عصبى الى جهاز بولى الىجهاز تناسلى الىجهازحركى الى جهازاتصالى، الى غيرذلك من الأجهزة هل الطبيعه هى التى رتبت لكم هذه الأجهزه التى اذا اختل منها جهاز واحد أو اختل عضو واحد من هذا الجهاز عجزتم وعجز طبكم وعجزت عقاقيركم عن اصلاحه ورده الى وضعه الذى كان عليه حتى تملأ الخانة التى كان فيها ذلك العضو المعتل بعضو آخر مماثل من حيوان آخر ليس ذلك الحيوان الآخر من صنعكم ولا هو من مقدوركم ولا من مقدور الطبيعة الجاهلة التى أثبتم لها على جهلها مالم تقدروا أن تثبتوه لأنفسكم على علمكم وعقلكم وانما هو من صنع الله الذىأحاط بخصائص كلعضو أوجده وأتقن كل شيء صنعه .

هذا ولم يتخذ علماء الطبيعة قانون التطور ليبحثوا بواسطته عن أصل الكائنات الحية كالانسان والحيوان وغير الحية كالشمس والقمر ليصلوا الى أصل نشأتها وما الى ذلك فحسب ، بل اتخذوه أيضا وسيلة الى الخروج من ورطتهم التى تورطوا فيها لما أنكروا وجود الله فانهم لما أنكروا وجود الله وقالوا أن العالم موجود بطبيعته وجدوا أنفسهم أمام واقع هائل من التكذيب يملأ طبقات السماء طبقة طبقه ويملأ جنبات الأرض قطعة قطعة فكل كوكب فى

السماء يناديهم أيها الطبيعيون المكذبون اذا لم يكن هناك اله كما تقولون فمن الذي أوجد لى هذه الحركة وأنا جماد لا أتحرك الشمس تناديهم بذلك، القمر يدفعهم بذلك ، الأرض تفحمهم بذلك آلاف الملايين من النجوم تلزمهم بذلك — كما وجدوا أنفسهم أمام سيل منهمر من الاسئلة المختلفة باختلاف الخصائص والمميزات التى أودعها الله فى كل ما يواجههم فى الأرض وفى السماء ينادونهم اذا لم يكن الله موجودا فمن ذا الذى احصى بالاضاءة التى تخطف الأبصار من ذا الذى احصى بالاثارة التى تهز الأبطال ، من ذا الذى جعلنى على ضخامتى وثقلى وحسبى فى الفضاء معلقا هكذا من ذا الذى أدار فى سرعة محددة فى كل يوم وليلة دورة أو فى كل شهر دورة أو فى كل ٣٥ يوما دورة أو فى كل ٣١٤ يوما دورة — من ذا الذى جعلنى عذبا فراتا من ذا الذى جعلنى ملحا أجاجا من ذا الذى جعلنى ذكرا من الذى جعلنى أنثى من الذى جعلنى أمشى على قدمين من الذى جعلنى أطير بجناحين أسئلة محرجة ومفحمة من هذا النوع بعدد كل انسان وحيوان ودابة فى الأرض وكوكب ونجم فى السماء — وماذا كان جواب الماديين على هذه الاسئلة المفحمة المحرجة ،كان جوابهم أنهم تمسحوا بقانون التطور وقالوا ما نصه — « لما كان الكون يتغير باستمرار ، أى يتطور ويتحول كان هذا بالضبط ما يجعله فى غير حاجة الى محرك أول وهو الله فهو أى الكون يحمل فى ذاته امكان الحركة والتحرك فوجوده هو نفس تغيره » انتهى كلام الماديين — وهو جواب لا يصح أم دب فى النجوم ولا يقنع أبو دبية فى حيوانات البحر فأى تطور هذا الذى تثبتونه للشمس والقمر والكواكب أثر فيها حتى جعلها هكذا أى تطور هذا الذى تثبتونه لجمادات ومعادن وأحجار ليس من شأنها أن تتطور ولا أن تتحول وتتغير السماء هى السماء ولا تزال سماء حتى يأتى أمر الله — والشمس هى الشمس ولا تزال شمسا حتى يأتى أمر الله ، والقمر والنجوم والثريا والمجرة وغيرها كلهن لا يزلن كذلك حتى يأتى أمر الله — يقولون ان النجوم تتوالد وتحيا وتموت يعنى تتطور وأن النجوم الثوابت ماتت وهاتهم أنها لم يطفأ نورها ولم تتساقط بعد موتها يقولون ذلك أى أنها تتوالد وتحيا وتموت — وها نحن لم نشاهد فى عمر الدنيا أن الشمس ولدت شمسا صغيرة ولا كذلك القمر كما لم

شاهد أن الدب الأكبر جرح من قطبه بحمه سابقه فى عمر الدنيا — ولا الميزان تولد من أركانه الأربعة بحمة سادسة تفرعت عنه

ولو سلمنا ان الكون يتغير ويتطور على أى نحو فرضموه فهل هذا بالضبط ما يجعله فى غير حاجة الى محرك أول ؟ — وهو الله — لا، بل هذا بالضبط أى تغيره وتطوره هو ما يجعل الكون فى أشد حاجة الى من يديره ويحركه ويدفعه وهو الله لأن مجرد التغيير والتطور الذى تقولون به لا يعطى الكون هذه القوه الدافعة التى تزيد سرعتها فى الكواكب السياره على سنين فرسخا فى ثوان معدوده ، كما أن تغير الكون وتطوره لا يعطه قوة تسيير وتخطيط محدد لا يتعداه قيد أنملة فى قطع دورته حول نفسه فى كل ٢٤ ساعة بالتحديد أو فى كل شهر بالتحديد أو كل سنه أو أكثر أو أقل بالتحديد — كما أن هذا التطور الذى تقولون به لا يعطى الكون قدره على تكوير السموات كسبع كور متطابقة ومتداخلة ، ولا يعطيه قدرة على تكوير النجوم والكواكب التى فى باطنها بما فيها الشمس والقمر والأرض ولا يعطى الكون قدرة على تثبيتها فوق رءوسنا كأنها ظلل ولا حملها جميعا فى الفضاء اللانهائى المحيط بها — نقول ان التطور والتغير لا يعطى الكون هذه القوه الهائلة الدافعة والحامله ولا هذه القدرة الصانعة والمحططه — وليست هذه القوة الهائلة الدافعة والحاملة ولاهذه القدرة الصانعه والمخططة الا قوة الله وقدرة الله العلى القدير — « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » أيها الطبيعيون « آمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعلمون خبير » تحدوه أمامكم فذلك أسلم لكم من أن تحيوا حياة ضالة تعيشون فيها خبط عشواء بدون أن تعرفوا لكم مستقبلا ترسمونه وبدون أن تعرفوا الى ربكم طريقا تسلكونه — وها هو ربكم قد أنجز لكم ما وعدكم به فى القرآن العظيم من أنه سيريكم آياته فتعرفونها ومن أنه سيريكم

آياته فى أنفسكم حتى يتبين لكم أن الله حق وأن القرآن حق لاريب فيه ، فأوصلكم الى القمر وطافت حوله سفنكم ورسمت لكم وجهــه المظلم كما رسمت لكم وجهه المضيء ونزلت على وجهه سفنكم واستقرت عليه، وعلمتم من استقرارها أن جرم القمر حجرى وليس جرمه كله مغطى بطبقة ترابية سميكة تغوص فيها السفن ، أراكم آياته فى الآفاق حتى لتستموها وعلمتم أن القمر يتكون مما تتكون منه الأرض تحت أقدامكم من أحجار وأتربة ومعادن ذهبية ونحاسية وغيرها ، وبعد ذلك ماذا تقولون فى هذا الــنور المنبعث من هذه الأجرام ، وبماذا تعللون وجود ذلك النور فى وجه القمر ، هل هناك أحد سبقكم الى القمر وجمع فى وجهه الموجب على السالب ثم سلط عليه أشعة الشمس ليصبح مصباحا عاليا يضيء الدنيا من أقصاها الى أقصاها على حجريته وترابيته ، لم يصعد « ماركونى » مخترع الكهرباء الى القمر ولم يحاول أن يجرى تجاربه فى القمر حتى نبحث تجاربه هناك كما نبحث تجاربه فى ايطاليا فاخترع لنا مصباحا كهربائيا حجمه بالنسبة لحجم القمر وضوءه بالنسبه لضوء القمر كنسبة العدم للوجود أو كنسبة المــوت للحياه ، يعنى أن ماركونى لم يجعل وجه الأرض كله مصباحا مضيئا كماجعل الله وجه القمر كله مصباحا منيرا اذن فمن ذا الذى أوجد هذا النور العظيم فى وجه هذا القمر على عظمه وكبره ؟ ثم من ذا الذى أوجد لنا هذا الضياء الوهاج فى وجه هذه الشمس على عظمها وكبرها ؟ من ذا الذى أوجد فيها هذا الضياء الوهاج الذى يخطف الأبصار وتكل من وهجه الأنظار من ذا الذى أشعلها على حجريتها هى الأخرى وأوجد فيها هذا الضــياء الذى يتوقف على وجوده وعدمه وجود هذا العالم وعدمه تماما ، لاجواب لكم عن هذا الا اقراركم واعترافكم بأن الذى نفخ الأرواح فى أبدانها حتى قامت وانتصبت ونطقت على ترابيتها وطينيتها هو الذى انبعث من نــوره نور هذه الكواكب حتى عمت الدنيا باشعاعها وضــيائها على حجــريتها وترابيتها يا قوم اعقلوا وتبصروا وتفسوا وتذكروا فالله ربكم هو الــذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يذكرون .

ثم اذا كانت الأرض والشمس والقمر وسائر الكواكب مكونة من مجموعة أجرام حجريه وترابيه ونحاسيه ومعدنية على العموم فمن ذا الذي جعل لكل كوكب لونا خاصا كالانسان والحيوان تجد فيهما الأبيض والأحمر والأسود والأصفر ، وكالجبال تجد فيها هذه الألوان بعينها وكالكواكب تجد فيها الأصفر والأبيض والأحمر والأخضر ، من الذي اخص الخارجي ، واختص زحل بالحمره واخص الزهره والمشتري باللون الدري من الذي لونها بتلك الألوان وصبغها بهذه الأصباغ مع أنها كلها كالانسان والجبال والحيوان مركبة من أجزاء متشابهة أو متجانسة كما أنها مساوية بالنسبة لأشعة الشمس وان اختلف قربا وبعدا — ان الذي لونها وصبغها هو الذي دبر أمرها ، ران الذي دبر أمرها هو الله الذي خلقها « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون »

أو لم يكفكم في الايمان بالله ورسوله بعد أن قدرتم على أن تطوفوا حول الأرض في ساعة ونصف الساعة وقدرتم على أن تطوفوا حولها ٣٣٠ دوره في مدى أسبوعين وقدرتم على أن تصنعوا قنابل درية وهيدروجينية تستطيعون بها أن تدمروا ما على وجه الأرض من انسان وحيوان ونبات في يوم أو بعض يوم

وقدرتم على أن تصنعوا صواريخ عابرة القارات والمحيطات ، وصواريخ ذات مرحلة ومرحلتين وثلاثة مراحل ، توصلكم الى الآفاق العليا الى القمر ، أو الى الزهرة ، أو المريخ ، أو الى ما تشاءون أو توصل سفنكم اليها مع امكان اتصالكم بها بواسطة أجهزة اتصال من راديو أو رادار أو تليفزيون أو عدسات مكبرة أو غير ذلك ، وقدرتم على أن تمشون في الهواء أو تعيشون في جوف الماء — قدرتم على هذه المقدورات التي لم يكن لأحد علم بها في عمر الدنيا حتى لقد ظننتم أنه ليس هناك أية قوة تقدر على ما تقدرون أنتم عليه الآن ، وليس هناك أية قوة يمكن أن تتحكم في الأرض أقوى من تحكمكم عليها الآن ألم يكفكم أن هذه المقدورات التي قدرتم عليها الآن ، والطفرات التي تطوونها قد تنبأ القرآن بحصولها في الأرض وتنبأ

سلوعكم الدروه فى الحصول عليها ، فى قوله تعالى فى سورة يونس « حتى اذا أحذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » تنبأ القرآن بحصولكم على تلك المقدورات الهائلة وفى الوقت نفسه تنبأ بخراب الدنيا على أثر حصولكم عليها كما هو واضح من قوله « وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا » أى محصودا مستهلكاتالفا — كأن لم تغن بالأمس كأن لم يكن فيها شيء من هذا الغنى الهائل والقوة القاهرة والقدرة القادرة ، وكأن لم تنضر ولم تعمر ولم يكن فيها شيءمنهذا النعيم — ولكن الأرض لا تخلو لحظة واحدة من وجود الليل والنهار معا عليها ، نراه سبحانه وتعالى أتى بلفظة « أو » فى قوله تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا وتسمى « أو » هذه مانعة الخلو التى تجوز الجمع يعنى أن لفظة « أو » هذه فحسب قواعد اللغة تجوز أن يكون المعنى أتاها أمرنا ليلا ونهارا معا كما هو الحاصل على وجه الأرض وكما شاهده رواد الفضاء — ولو قال سبحانه أتاها أمرنا ليلا أو قال أتاها أمرنا نهارا لكان أول المكذبين بالقرآن رواد الفضاء ولقالوا نحن شاهدنا الليل والنهار معا على وجه الأرض ونحن نطوف حولها فى تسعين دقيقة فكيف يقول القرآن أتاها أمرنا ليلا فقط أو نهارا فقط — فلقطع ألسنة المكذبين ولكون القرآن كلام رب العالمين ولكونه هو المعجزة الحية الخالدة فى الأرض ، ولكونه يحكى الحالة الحاصلةعلىوجه الأرض ، وهى أن الأرض لا تخلو لحظة واحدة من وجود الليل والنهار معا عليها — ولكون اتيان أمر خراب العالم يأتى ليلا ونهارا معا تراه سبحانه وتعالى قال أتاها أمرنا ليلا أو نهارا اى أتاها أمرنا ليلا ونهارا معا كماعلمت ولو قال ذلك صريحا حين نزول القرآن لما سمع له أحد ، فلله در التنزيل وما أصدق اعجاز القرآن ، تنبأ القرآن بحصولكم على تلك المقدورات وتنبأ بخراب الدنيا على أثر حصولكم عليها وكان يجب عليكم وقد درستم طبعا تلك التنبؤات أن تبادروا الى الايمان بالله وأن تخروا سجدا أمام ذلك الاعجاز الخارق فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه خشية أن تبادركم الساعة بغتة فتندموا حيث لا ينفع الندم وتعترفوا بأن الله موجود حيث لاينفع الا الاعتراف ، أو يجعل مصانعكم وقنابلكم « كأن لم تغن

بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » أو لم يكفكم الايمان بالله ورسوله بعد أن نفذتم من أقطار الأرض وخرجتم من غلافها الهائى نشق الأنفس أو بما يقرب من ذلك، وبعد أن تحققتم أن ذلك النفاذ وهوالخروج أصبح أمرا ممكنا بعد أن كان فى نظر كل الناس أمرا مستحيلا لايسلمه عقل ويتصوره انسان ، يقول أولم يكفكم فىالايمان بالله ورسوله أن القرآن الكريم قد أخبر أن هذا الخروج وذلك النفاذ من أقطار السموات والأرض يمكن حصوله وتحققه اذا تحققت لكم القوه والسلطان الذى يساعدكم على حصوله ، اقرؤا قوله تعالى « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » ثم اقرؤا قوله بعد ذلك « لا تنفذون الا بسلطان » فان قوله تعالى فانفذوا وقوله لا تنفذون الا بسلطان يحقق أكبر معجزه للقرآن شهدها العصر الحديث حيث جوز القرآن ما كان مستحيلا باجماع الناس بل وأمر الناس بفعله اذا تحققت لهم وسائل هذا الخروج ووجدت عندهم القوة التى تساعدهم ، ثم اقرؤا تأكيده وتدليله على صدق ما يقول حيث ذكر بعد ذلك مباشره قوله تعالى « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » يعنى أنكم ان نفذتم الى الفضاء الخارجى بسلطانكم وقوتكم فسيرسل عليكم من السماء شواظ من نار (أى نار بدون دخان) وقطع من نحاس حارقة أو حارقة تشتعل بتلك النار وتصطدم بقطع النحاس سفنكم وهكذا يحصل ذلك فعلا فشاهد سفينة الفضاء وقد عادت يلفحها شواظ من نار ويصادفها رجيم من السماء تصطهر من تلك النار جسم السفينة المعدنى حتى يتقاطر على نوافذها كالماء كما قال ذلك أحد رواد الفضاء،وقد كانت آثار الحروق التى أصابت احدى السفن ظاهرة وواضحة فى السفينة حتى أنها أثرت فى أجهزتها الآلية فاضطر قائد السفينة أن يهبط بها الى الأرض بأجهزتها اليدوية وقد تفادى الخبراء الأمريكيون ضرر هذه النار التى تؤثر فى السفن بالهبوط فى المحيطات بعد انتهاء الرحلة

وقف معى أيها القارىء وتأمل هـــذه المعجزات الخـــالدة الحية التى يجريها الله على لسان رجل عربى أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم فى علم الكون والفضاء الخارجى أى شيء من المعرفة ، يجريها على لسانه وكأنه عاش فى الفضاء الخارجى ، وشهد النيران تنبعث من الكواكب لتلفح من

يلاقيها من اس أو حس ، حتى ولو احتمى بلباس من السممدل أو بدرع من حديد ، صلى الله عليك يا صاحب الرسالة ويا من أرسلك الله رحمة للعالمين وجعلك أكبر هاد الى طريقه المستقيم

أما بدله القصاء المروده بالاكسوجس فقد جعل للتنفس منها لا للحماية من لهج تلك النيران

وبكل بساطة أول علماء المادة هده الآيات البينات بما تتمشى مع طبيعتهم وقالوا ان هده التي تسود منها الشمس وتصير كالفحمه السوداء وينصهر أحيانا منها أجزاء من السميه حتى تتقاطر كالماء على نوافدها ، هي نتيجة احتكاك جسم السمية المعدني بطبقات الهواء وهم وحدهم أعلم أن احتكاك الجسم المعدني بالهواء يولد نارا تديب الأجسام المعدنيه الصلبة وتصهرها الى درجة السيوله وأما قطع النحاس والرجوم التي يرجمون بها من الكواكب التي جعلها الله رجوما للشياطين ومن لف لفهم فأولوها بأنها أجرام تتساقط من الكواكب وتتناثر منها على الأرض ، كما ينهال الحصى والطوب من السقف المنحل ولا أدرى كيف يقولون أن تلك القطع النحاسيه أو الحجرية تتساقط من الكواكب وتتناثر منها على الأرض مع أن الكواكب السماوية في نظرهم تخضع لقانون الجدب ، فهم يقولون أن الشمس وأسرتها السماويه ومنها المونيات مشحونة كلها بقوة جادبه تجدب لها من حولها اليها كالأرض ، وادا كانت مشحونة بقوه جادبة تجدب بها من حولها اليها فلمادا ادن تساقطت منها القطع النحاسية والحجرية ، وأين هي القوه الجادبه المشحونه فى تلك الكواكب حتى تفلت منها تلك الرجوم ؟ مع أن تساقطها يهدم قانون الجدب رأسا على عقب ، وهل تجوزون أن طوبة أو حجرا ينفصل عن الأرض فى طريقه الى السماء ليستقر على القمر أو الزهره ؟ من يقول بدلك يجوز هدا والا كان مكابرا وادا كانت هده الرجوم تساقط من الكواكب فلمادا لا يكون تساقطها عموديا على الأرض حتى ولو فى محيط الأرض ، وتأثير جدبها كما تسقط الطوبة أو الحجر على الأرض بعد رميهما ؟ ، مع أن المشاهد أن تلك الرجوم ترسل مستعرضة الأفق من الشرق الى الغرب ، أو من الشمال الى الجنوب !! فصدقوا أيها الطبيعيون أن

الرحوم مرسله كما يقول القرآن وليست متساقطه كما تقولون ،وصدقوا أن النار مرسلة وليست متفاعلة كما تعتقدون وصدق الله اذ يقول « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفدوا من أقطار السموات والأرض فانفدوا لا تنفدون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » وصدق الله اذ يحكي لنا مالمسه الجن بأنفسهم في الفضاء الخارجي اذ قالوا « انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » وصدق الله اذ يوضح لنا من أين ترسل هذه الشهب ولماذا ترسل بقوله « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد. لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »

« وبعــد »

فيا رواد الفضاء ويا علماء أمريكا وروسيا ويا علماء الطبيعة والفضـــاء الخارجي من في استطاعته غير الله يعلم أنكم وان نفذتم من غلاف الأرض فسيرسل عليكم شواظ من نار ونحاس وسيلاقيكم لهب وحميم وجحيم وسعير ، يستحيل العيش فيه بدون بدلة الفضاء حتى ولو تسربلتم بالصلب وتقنعتم بالحديد ، من في استطاعه غير الله يحكم على الفضـــاء الخارجي المحيط بالأرض بأنه كمقلعة من جهنم فيتوعد به الكافرين والمكابرين ويقول لهم في قرآنه بصريح العبارة واللسان الواثق « ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين » وماذا تكون جهنم بعد أن بلغت درجة الحرارة في هذا المحيط ٢٠٠٠ درجة فوق الصفر تدخل فيه السفن الهوائية فتخرج منه على صفة أهل النار التي ذكرها القرآن بقوله « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » فشاهدنها بعد خروجها سوداءفحماءكالفحم الأسود كالحةكاشحة متقلصة متحششة لا يسعفها من الاحتراق الا الهبوط بها في مياه المحيط ، وها أنتم قد تحققتم وشاهدتم أن جسم رائد الفضاء لو ظهر منه جزءصغير أو كبير وهو في الفضاء الخارجي لفاضت روحه في الحال ، وماذا يكون العذاب في جهنم بعد هذا الذي شاهدتموه وتحققتموه ، كان يجدر بكم بعدما شاهدتم وتحققتم ووقفتم على النار ودخلتم بالفعل في محيطها أن

تؤمنوا بالقرآن وتحترموا آياته وتقدسوا اشاراته وأن تعترفوا بالله ربكم وبوجوده في الارض وفي السماء ، ولكنكم بعد ما شاهدتم وتحققتم عدتم لما نهيتم عنه وقلتم كما يقول أهل النار « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين »

ثم تأملوا أيها الطبيعيون وصف ربكم تبارك وتعالى لتعاقب الليل والنهار في قوله تعالى « خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » تروا وصفا لا يمكن أن يقوله الا من شاهد الارض من علياء الى قطبها واحاط بصره شرقها وغربها فعلمها كما اكتشفتموها بالأمس القريب كرة مفرطحة تدور حول نفسها ، ثم شاهد بعد ذلك انكسار ضوء الشمس على كل جزء من أجزائها أثناء دورانها فاذا شاهدها جملة واحدة من جميع محيطها وحدها تمثل كرة عظيمة نصفها مظلم ونصفها الآخر مضيء ، واذا شاهدها مشاهدة تفصيليا على التعاقب وجد هذا النصف المضيء يذهب ويحل محله النصف المظلم ووجد هذا النصف المظلم يذهب ويحل محله النصف المضيء وهكذا دواليك هذا يطوى هذا تحته وهذا يطوى هذا تحته ، أو هذا كأنه يلف على هذا وهذا كأنه يلتف على هذا ، فاذا أراد انسان أن يعبر عن هذين المنظرين البديعيين العجيبين المنظر الكلي والمنظر التفصيلي التعاقبي فانه لا يجد عبارة تدل على هذين المنظرين أبلغ ولا أبدع ولا أروع من قوله تعالى « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » أي يكور هذا مع ذاك ويكور ذاك مع هذا أي يجعل منهما كرة عظيمة نصفها مظلم ونصفها الآخر مضيء، أو يلف هذا على ذاك ويحله محله ويلف ذلك على هذا ويحله محله فكان التعبير بقوله تعالى « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » ليدل على هذين المعنيين تعبيرا معجزا حقا لا يقوله الا من شاهد الأرض كلها في منظر جملة واحدة نصفها مظلم ونصفها الآخر مضيء ثم شاهدها في منظر آخر متحولة نصفها المضيء يذهب ويحل محله النصف المظلم، ونصفها المظلم يذهب ويحل محله نصفها المضيء كما قلنا وذلك لا يكون الا لله وحده تبارك وتعالى ، ولو شاء رائد الفضاء أن يصف لنا الليل والنهار على وجه الأرض ،

بعد أن دار حولها ٣٠ ٣دوره وشاهد الليل والنهار على وجهها ١٣٠ مره لعجز عجزا كليا عن أن يصف لنا مشاهدته الليل والنهار على وجه الأرض بمثل هذا الوصف الذى وصفه الله بقوله « خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » فما أعظم الله وما أحكم قرآنه

أو لم يكفكم فى الايمان بالله ورسوله هذه الآيات البينات والمعجزات الخالدات التى أودعها فى تبصير الناس بآياته الكونية فى قوله تعالى « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون » فتراه سبحانه وتعالى فى هذه الآيات يسبق الحوادث ويسبق الاكتشافات الحديثة بأربعة عشر قرنا وقبل أن يعرف الناس دوران الأرض حول نفسها مرة فى كل ٢٤ ساعة فيتولد عن دورانها «النهار» اذا كان نصف الأرض فى مواجهةالشمس ويتولد عن دورانها « الليل » اذا لم يكن نصفها الآخر فى مواجهة الشمس ، ونتيجه لدوران الأرض حول نفسها تدور الجبال معها بالضرورة فيخبرهم سبحانه وتعالى بدوران الأرض والجبال معا فى قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامده » أى قارة وثابته على وجه الأرض فى حال كونها سائره وجارية فى الفضاء بدوران الأرض حول نفسها ، صنع الله الذى أتقن كل شىء صنعه وأتقن كل شىء قدرة يخبرهم بهذه الحقيقة بأسلوب معجز لا يمكن لانسان بلغ من المعرفة أقصاها ومن العلوم أعلاها ومن البلاغة فى التعبير أتقنها وأسماها أن يسلك مثل هذا الأسلوب فى تبصير الناس بتلك الآيات وتذكيرهم بتلك الدلالات ، فالله أوجد الأرض على هذا الوضع معلقة فى الفضاء وجعلها تدور هكذا حول نفسها وجعل الليل والنهار أثرا لدورانها ، ولكن لم يكن من المعقول أبدا أن يصارح الناس بتلك الحقيقة الواقعة فيقول لهم ألم يروا أنا جعلنا الليل ناشئا عن دوران الأرض حول نفسها اذا لم يكن نصفها فى مواجهه الشمس ، وجعلنا النهار ناشئا عن دورانها اذا كان نصفها الآخر فى مواجهة الشمس ونتيجة لدوران الأرض حول نفسها « ترى الجبال تحسبها جامده وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل

شيء » لو صارح الناس بهذه الحقيقة وبهـذا الأسلوب ، لقاموا في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وكذبوه ولقالوا ان محمـدا يهـذي فيما يزعم أنه قرآن منزل من عند الله ، وأيضا لو صارح الناس بهذه الحقيقة لخرج عن المقصود الأصلي من رسالته، لأنه لم يبعث لتعليم الناس كيف جعل الليل وكيف جعل النهار ولماذا يبدو الهلال دقيقا ثم يزيد شيئا فشـيئا حتى يتكامل الى أن يصـير بدرا كاملا ثم يعود دقيقـا كما بدا لذلك نجـده سبحانه وتعالى طوى هذه الحقيقة عن الناس رحمة بهم لئلا يقعوا في هذا التكـذيب والتسفيه ، وذكرهم بالظاهر لهم من هذه الآيات وهو أنه جعـل الليل مظلما ليسكنوا فيه وجعل النهار مبصرا ليتحركوا فيه بالعمل « ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » أي ومن قدر على أن يوجد لهم تلك الآيات، النور بعد الظلمة في الجو والحركة بعد السكون في الناس قادر على أن يبعث فيهم الحياة بعد الموت ، التي دل عليها بقوله « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين » فلذلك ذكر آية البعث في جانب الظاهر لهم من آياته لأنها كالدليل على البعث كما قلنا وآخر قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء » لخفاء هذه الآية الكونية على الناس حينذاك ، أي قبل أن يدور الناس حول الأرض ويتأكدوا من دورانها حول نفسها كباقي الكواكب السيارة ، ولئلا يفهم الناس أن هذه الرؤية حاصلة وقت نزول القرآن فيقعوا في ذلك التكذيب والتسفيه ، وهي أيضا كالدليل على البعث لأن من قدر على أن يحرك الجبال الجامدة بادارة الأرض قادر على أن يحرك الجثث الهامدة بنفخ الروح فيها

أما القول بأن هذه الرؤية قرب قيام الساعة أي رؤية الجبال فيحسبها الرائي لها جامدة وهي متحركة فقول بعيد ، لأن الواقع حينذاك لا يصدق ذلك لأنه لا أحد موجود على وجه الأرض بعد النفخ في الصور يرى جبالا فيحسبها جامدة ولا جبال جامدة بعد النفخ في الصور فهي اما أن تحمل هي والأرض فتضرب حمله الأرض بحملة الجبال فيدكان دكة واحدة ، واما أن تكون في حالة سير وتجميع لضرب حملتها بحملة الأرض كما قدمنا ،

وأيا ما كان فلا يحسبها أحد جامدة بعد النفخ في الصور ، وقوله تعالى صنع الله الذى أتقن كل شيء يؤكد أن قوله « وترى الجبال » أى تراها الآن لاقرب الآخرة لأن الآن هو الوقت الذى يقال فيه صنع الله الذى أتقن كل شيء صنعه وأحكم كل شيء أقامه ، وأما وقت هدم تلك الصنعة أو الشروع فى هدمها فلا يعجب الله منه أحدا اذا فرض أن هناك أحد من الناس يقال له صنع الله الذى أتقن كل شيء هدمه أو شرع فى هدمه ، وهل يكون الهدم صنعه — وهل يقال أتقن وأحكم فى هدمه ، كلا ...

أو لم يكفكم فى الايمان بالله ورسوله هذا الكتاب العظيم الذى أنزل على هذا النبى الذى لم يخط خطا واحدا بيمينه ولم يقرأ صحيفة واحدة فى معهد علمى جامعى أو عالى أو اعدادى ولم يجلس ساعه واحده أمام معلم يبين له الألف من الباء ثم بعد ١٤ قرنا ، أربعة عشر قرنا من نزول هذا الكتاب نجد الكلمة الواحدة من هذا الكتاب يقف كل العالم أمامها باهتا ، والعالم كل العالم عن معرفتها ضالا ، محمد الذى أعلم هذا الأمى أن الأرض تدور حول نفسها بهذه السرعة الهائلة وأنها فى أثناء سيرها تحتاج مثقلات تحفظ توازنها ومثبتات تثبتها فى مداراتها فيمتن على أهل الأرض جميعا برواسيها التى ألقاها فيها فى قوله تعالى « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » يمن عليهم بها لأنها تبسطها وتجعلها فى أثناء سيرها السريع قارة غير مضطربة ومستحمة غير مترجحة وثابتة غير متخلخلة ، وأنها لولا هذه الرواسي لمثلت الشمس تماما فى سيرها وحاكتها فى اضطرابها الدائم الذى لا يفارقها أبدا حتى تنتهى الى مستواها ، فالشمس كما نراها بأعيننا المجرده فى حالة اضطراب دائم تشبه زلزلة الأرض الشديدة وقت زلزالها ، وهى تحاكى تماما كما قال العلماء صورة المرآة فى يد الرجل الأشل عند حملها ، والأرض كذلك لولا هذه الرواسى على ظهرها لمادت بنا ولتعثرنا أو تساقطنا من فوقها فى كل خطوة نخطوها أو مسيرة نسيرها بظهورنا أو جنوبنا أو وجودنا هنا ولمثلنا وإياها لولا هذه الرواسي صورة كرة عظيمة فى يد رجل أشل تضطرب تلك الكرة باضطرابه وتتموج تلك الكرة بتموجاته ، ونحن من فوقها نتموج ونضطرب باضطرابها وتموجاتها وماذا تكون حياتنا على الأرض

على هذا الوضع المضطرب المتموج المتأرجح الذى لا يقبل الاستقرار وعاش الناس أربعة عشر قرنا يقرأون قوله تعالى «وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم» ولايفهمون سبب تسمية الجبال رواسى للأرض لأنهم لم يتصوروا الأرض دائرة سريعة ولا معلقة فى الفضاء بحملتها ، ولا أنها فى أمس حاجة الى رواسى تضبطها فى حركتها ، وفقط يفهمون فى الجبال بصفة عامة أنها رواسى للأرض لئلا تضطرب الأرض بالناس ، فأما فائدة الرواسى العظمى التى شخصناها لك فهم عنها غافلون وهم بها جاهلون وعن شكرها عاجزون ، فكلمة أن « تميد بكم » هذه الكلمة دلتنا على عظيم فائدة الرواسى على الأرض التى ذكرناها كما دلتنا أيضا على ما دلت عليه الاكتشافات الحديثة من أن الأرض معلقة فى الفضاء ، لأن الاضطراب لا يعرض للأرض الا اذا كانت الأرض معلقة فى الهواء ، وفقط دلالة القرآن لهذه الكلمة دلالة علمية ودلالة الاكتشافات الحديثة دلالة عملية

وبالتأمل فى عبارات القرآن المتعلقة بخلق السموات والأرض يدرك الانسان لأول وهلة أن الأرض معلقة فى الفضاء وأنها تتحرك وتسير وأنها كوكب كسائر الكواكب الأخرى اقرؤا قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » فقد كنا نسمع هذه الآية من القرآن قبل الاكتشافات الحديثة فنضطر الى أن نفسر قوله تعالى « ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » بأن معنى ذلك أنهما مسخرتان لأمره وأنهما لا يتأبيان على قدرته وأنه ليس هناك طلب حقيقى للأرض بأن تأتى وليس هناك اتيان حقيقى وأن اتيانها اليه هو اتيان حقيقى ، أى أنها أتت اليه فى الفضاء تلبية لطلبه الى حيث أراد الله أن توضع فى الموقع المناسب لها بين مواقع الكواكب الأخرى ، وذلك طبعا بعد أن خلقها ، أى ذلك الطلب وذلك الاتيان بعد أن خلقها كما دل على ذلك أول الكلام فى قوله تعالى « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين » فيكون قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين» حاصلا بعد أن خلقهما كما قلنا أى ثم استقدمها بعد أن خلقها فقدمت اليه طائعة ليضعها

فى الموقع المناسب لها كما يفعل البناء « ولله المثل الأعلى » فطلبه سبحانه وتعالى من الأرض بأن تأتى اليه فى الفضاء بعد استوائه الى السماء واتيانها اليه حيث شاء يدل دلالة قاطعة على أنها معلقة وأنها تسير وتتحرك فى الفضاء وأن حكمها حكم سائر الكواكب الأخرى كما دلت عليه الاكتشافات الحديثة فلله در القرآن وما أصدق أقواله وأحكامه فهل آن للطبيعيين أن يعرفوا الله سبحانه وأن يعترفوا به موجودا من لسان ذلك النبى الأمى الذى لم يتعلم كما تعلموا ولم يطف حول الأرض كما طافوا ولم يتعاون مع علماء آخرين كما تعاونوا ، ثم نجد الكلمة الواحدة من كلامه تنطبق تمام الانطباق على ما اكتشفوا وانفقوا ملايين الملايين من أموالهم فى اكتشافه « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا »

الرسالة الثانية

موضـــــوعها

هل صلب اليهود عيسى عليه السلام ؟

اعتقدت اليهود واعتقدت النصارى معهم أن عيسى (رسول الله) قد قتله اليهود وصلبوه وسوا أو تناسوا قولهم أي قول اليهود بعد أن قصوا عليه ليقتلوه « الوجه وجه عيسى والبدن ليس بدن عيسى » . وسوا أيضا ما كتب في انجيل متى من أن رئيس الكهنة اليهودي قال للمقبوض عليه « أقسم عليك بالله الحى هل أنت عيسى » في أثناء محاكمته ، كما سوا أيضا ما روى عن عيسى أنه قال « أنهم أي اليهود لا يعرفون من الذى صلبوه »

واعتقد المسلمون بالاجماع اعتقادا قاطعا بأن عيسى (رسول الله) لم يقتل ولم يصلب ولم يسـق للمحاكمة التاريخية الكـبرى الثابتة باجماع المؤرخين واجماع اليهود والنصارى وجحوا ، أي المسلمون ، الى أن الذى قتل وصلب سيق للمحاكمة التاريخية الكبرى هو رجل آخر ألقى عليـه شبه عيسى فظنه اليهود عيسى فقتلوه وصلبوه

وأما عيسى رسول الله فقد رفعه الله الى السماء

ولم يخطر ببال أحد من المسلمين اطلاقا أن الذى قتل وصلب وشبه لليهود هو عيسى لا رجل آخر ألقى عليه شبه عيسى مع أن هذا أي كون القتيل هو عيسى هو الظاهر المتبادر من سياق نظم القرآن الكريم لقـوله تبارك وتعالى « وما قتلوه وما صلبوه » أي عيسى ثم قال تعالى «ولكن شبه لهم » أي عيسى بالضرورة .

وسنوضح كيف شبه عيسى لهم — وبين الوقت الذى وقع فيه من عيسى هذا التشبه — والخطة المحكمة التى دبرها عيسى نفسه لايقاع القبض

والقتل والصلب على عيسى المشبه لهم ، ثم محاكمة اليهود لهذا المشبه لهم وقتله وصلبه من غير أن يلحق عيسى رسول الله قتل ولا صلب وكيف أنهم طلبوه بعد أن قتلوه وصلبوه ودفنوه فلم يجدوا شيئا في قبره غداة دفنه وسنوضح أيضا أن هذه الحقائق مأخوذة من صريح القرآن الكريم ومن عبارات الانجيل نفسه ، ومن تصريحات عيسى لتلامذته الاثنى عشر المقربين في ليلة قتله وصلبه ورفعه

من هذا الاعتقاد ومن هذا النسيان عند اليهود والنصارى ، ومن هذا الاعتقاد ومن هذا الوضوح عند المسلمين تضاربت آراء هؤلاء وهؤلاء في حياة عيسى وقتله وصلبه فقال المسلمون ان عيسى حى لم يقتل ولم يصلب وضربوا صفحا عن محاكمته التاريخية الكبرى ، وعن اجماع اليهود والنصارى على أنهم قتلوا عيسى وصلبوه ، ولم يلتفتوا الى ما أقره المجلس المسكونى قريبا من ان قتل عيسى وصلبه واقع تاريخى لا يمكن المكابرة وذهبوا أى المسلمون الى أن المحاكمة والقتل والصلب لم تقع على عيسى

وانما وقعت على رجل آخر ألقى عليه شبه عيسى من اليهود أو الحواريين أو على الرجل الذى أرشد اليهود الى عيسى ليقتلوه وقالت النصارى نقيض ماقاله المسلمون أن عيسى قد قتل وصلب ولكونه ابن الله كما يزعمون أو ابن الانسان الأول الذى هو الله كما يدعون قالوا ان الذى قتل وصلب هو ناسوته لا لهوته يريدون أن الذى وقع عليه القتل والصلب هو الهيكل البشرى وأما السر الالهى فقد رفع الى السماء — ولسنا بصدد أن نرد عليهم ونقول لهم أن هذا قدر مشترك بين كل مخلوق نفخ الله فيه من روحه فان أى مخلوق اذا قتل فان القتل يقع على هيكله البشرى لا على روحه التى نفخها الله فيه سواء كانت تلك الروح عادية كأرواح الناس العاديين أو كانت روحا مشرقة بالأنوار الالهية قدسية علوية قريبة الشبه بأرواح الملائكة كروح عيسى عليه السلام ، والحق الذى لا مرية فيه فى حياة عيسى وقتله وصلبه أن عيسى (رسول الله) لم يقتل ولم يصلب وأنه رفع بجسمه وروحه الى السماء يحيا فيها كحياة آدم فى الجنة قبل أن يهبط الى الأرض وأن الذى قتل وصلب هو عيسى المشبه لهم

ومعنى كون عيسى شبه لليهود هو أن الله حلت قدرته ، قد شبه عيسى شبه يشبه شبهه الأصلي ومثله بمثال يماثل صورته الأصلية، كما مثل جبريل عليه السلام لمريم بشرا سويا فظنته انسانا يراودها عن نفسها فقالت له « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » وهو بأجنحته التى تسد الأفق فى السماء ، وكما مثل جبريل لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى صورة دحية الكلبي أحد أصحاب رسول الله فظنه أصحاب رسول الله رجلا غريبا وفد على رسول الله جاء يسأله عن حقيقة الاسلام والايمان والاحسان فقال لهم رسول الله بعد أن انصرف من بين يديه هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم فطلبه أصحابه بعد خروجه من المسجد مباشرة فلم يجدوا شيئا ، وكما مثل الله عصا موسى حية تسعى تلتقم حبال السحرة وعصيهم — ثم عادت سيرتها الأولى عصا كما كانت ، ولما أن شبه الله لليهود عمدوا الى عيسى المشبه لهم فقتلوه وصلبوه وسلم عيسى رسول الله من القتل والصلب وهذا معنى قوله تعالى « ومكروا » أي اليهود بالاحتيال على قتل عيسى «ومكر الله» حيث شبهه لهم « والله خير الماكرين »

وأصل القصة كما وردت فى القرآن أن عيسى لما أحس من اليهود الكفر برسالته لهم أى أدرك بحواســه فرأى بعينه وســمع بأذنه وادرك بمشاعره أن اليهود رفضوا رسالته رفضــا باتا وأنهم لن يؤمنوا به رسولا لهم ولم يصدقوه وان أحيا لهم الميت وشفى الأبرص من برصه وأبرأ الاكمه من عماه . وان كلمهم فى المهد وظهرت لهم بتكليمه براءة أمه مما نسبوه اليها من الفحش ، وان فعل ذلك وما هو أكثر من ذلك فهم به كافرون ، وهم له قاتلون ، كما قتلوا يحيى بن زكريا ، وكما قتلوا أباه زكريا من قبل يحيى ، وكما قتلوا شعيا وغير شعيا — لما أحس بتصميم اليهود على قتله جمع أنصاره الحواريين ورسله المقربين ، وتلامذته المختارين ، جمعهم حوله ، وكانوا اثني عشر تلميذا ، منهم شمعون ويعقوب وابن زيدا ويهودا فقال لهؤلاء الأثنى عشر حواريا « من أنصارى الى الله » أى من منكم نصيرى حال كونى عاملا على نصرة دين الله فقال هؤلاء الاثنى عشر جميعا بلا استثناء نحن أنصار الله أى أنصار دينه واذا كنا أنصار دينه فنحن ناصروك ومعاونوك

آمنا بالله وصدقنا بالله واشهد ياعيسى بأنا مسلمون منقادون لما تريده منا من نصرتك مستسلمون لأمر الله في الذب عنك ، ثم توجهوا جميعا الى الله ، وعرضوا أمرهم عليه جميعا ، بعد ما طمأنوا عيسى على نصرته فقالوا « ربنا آمنا بما أنزلت » على عيسى « واتبعنا الرسول عيسى » « فاكتبنا مع الشاهدين» لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق ثم قال الله تعالى «ومكروا» أى اليهود بالاحتيال على قتل عيسى « ومكر الله » حيث شبهه لهم فقتلوا عيسى الشبيه وسلم عيسى الرسول ورفعه الله اليه «والله خير الماكرين» أى أعلمهم وأقدرهم على ايصال النفع لمن يشاء نفعه وايصال الضر لمن يريد ضره ثم طمأن الله عيسى وهو محاصر من اليهود ليلة قتله بقوله له « يا عيسى انى متوفيك » أى قابضك وآخذك بروحك وجسمك معا « ورافعك الى السماء » وأما هؤلاء اليهود فمكرهم فى ضلال ، ولن يلحقك منهم قتل أبدا « ومطهرك من الذين كفروا » أى مخرجك من بينهم ومبعدك من خبث صحبتهم ودنس معاشرتهم « وجاعل الذين اتبعوك » صدقوا نبوتك أيا كانوا وفى أى عصر وجدوا « فوق الذين كفروا » بك وهم اليهود والمحاصرون لك والمطاردون يعلونهم بالحجة وبالقوة وبالسلطان « الى يوم القيامة» غاية لعلو الذين اتبعوه وصدقوا به وبزول الذين كذبوه وكفروا به ، ولما طمأن الله عيسى على حياته واعلمه بأنه سيرفعه الى محل كرامته أخذ عيسى بالضرورة يوصى الحواريين وتلامذته المقربين لأنه على وشك أن يفارقهم فأوصاهم بوصايا كثيره وكان من جملة ما قاله لهم فى وصاياه « ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك وليبيعنى بدراهم يسيرة » وقد أجمعت النصارى بلا استثناء على أن هذه الوصية اخبار من سيدنا عيسى على سبيل المعجزة بأن أحد رسل عيسى وتلامذته الاثنى عشر المجتمعين حوله وهو « يهوذا » سيكفر بعيسى أستاذه ونبيه فى هذه الليلة بعد منتصف الليل وقبل صياح الديكة الذى يكون عادة قبل السحر كفرا حقيقيا فيذهب اليهود فى هذا الوقت ويرشدهم خيانة وغدرا الى المحل المختبىء فيه عيسى ليقتلوه فى نظير ثلاثين درهما يأخذهم رشوة من اليهود ليبيع لهم نبيه عليه السلام وهو فهم خاطىء واجماع خاطىء لما يترتب عليه من الحكم بالردعلى «يهوذا» وهوأحد الحواريين الذين رباهم عيسى تربيةدينية صادقة. وهوأيضا

الأمين الأول على الأموال لعيسى عليه السلام وهو أيضا أحد الاثنى عشر رسولا الذين اختارهم عيسى رسلا فى البلاد يبلغون رسالته وله رسالة خاصة مدونة مع رسالات رسل عيسى فى كتبهم المقدسة ، وهو أيضا أحد الاثنى عشر الذين قال فيهم سيدنا عيسى « أنكم ستجلسون يوم القيامة على اثنى عشر كرسيا تدينون اثنى عشر سبطا من أسباط اليهود الاثنى عشر المذكورين فى قوله تعالى « وقطعناهم اثنتى عشره اسباطا أمما » وكون سيدنا عيسى يقرب يهودا كل هذا القرب ويحكم له بأنه سيجلس على كرسى يوم القيامة ليدين سبطا من أسباط اليهود ، ثم بعد ذلك يحكم عليه ليلة رفعه بأنه سيرتد عن دينه بعد وبعد جدا بل هو خطأ يجب تبرئه ساحه سيدنا عيسى وساحة تلامذته وتلميذه القريب منه ، لهذا وجب أن نقرأ هذه الوصية بقراءة غير القراءة التى يقرأ بها المسيحيون وأجمعوا عليها ويجب أن نفهمها بفهم غير هذا الفهم البعيد الخاطىء لنحفظ لسيدنا عيسى عليه السلام عصمته ولنحفظ ليهودا كرامته وأمانته ورسالته وحواريته وننصــحح لســيدنا عيسى وصيته ولنوضح طريقته التى سلكها حينما ضيق عليه اليهود الخناق — مخروجا من هذه المآزق الحرجه — ونزولا على ماذكره القرآن من أن عيسى شبه لهم ولم يقتلوه . هو يجب أن نقرأ هذه الوصية بقراءة أخرى فنضبطها هكذا «ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك وليبيعنى بدراهم يسيرة» نكسر اللام فى ليكفرن لا نفتحها ونكسر اللام فى ليبيعنى لا نفتحها وسيأتى أن هذه القراءة تتمشى تماما مع ما ذكره يوحنا فى الأصحاح الرابع عشر من انجيله فكانت هذه الوصية على هذهالقراءة أمر منعيسى بأن يكفر بهأحد تلامذته كفرا ظاهريا لا حقيقيا وترخيص لهذا الأحد بأن يبيعه بدراهم يسيرة ويذهب الى اليهود بسرعة وسرعة كبيرة كما فى انجيل يوحنا ، وكما نبه على هذه السرعة سيدنا عيسى بقوله قبل ان يصيح الديك فى وقت السحر وبعد أن يذهب الى اليهود يخبرهم بالمكان المختفى فيه سيدنا عيسى المشبه لهم لأجل أن يسارع اليهود بالقبض عليه ليلا والجو مظلم حتى لا يتفحصه الشعب اذا قبضوا عليه نهارا ، ويتسع الشك فى ان هذا المقبوض عليه عيسى أو ليس بعيسى فكانت هذه الوصية ترخيصا من عيسى بالارشاد عليه ورسما لخطة دبرها عيسى للقبض عليه ومعنى الوصية على ذلك أن عيسى لما علم

من الله أنه سيرفع الى السماء فى هذه الليلة وتحقق من أن اليهود يحتالون فى القاء القبض عليه ليصلبوه أراد أن يمكر به مكرا ليس من صنع الناس ولا هو مما تتناوله قدرة الناس ، ولكنه من صنع الله وأقدار الله والله خير الماكرين فتشبه لليهود أى تمثل لهم ليظهر بصورة غير صورته الأصلية التى سيرتفع فى هذه الليلة الى السماء ، وانما تشبه لهم فى هذا الوقت بالذات لأجل أن يعطى الفراغ الذى سيحدث بعد رفعه ويملأه بهذا الشبيه وليقع القتل الذى أرادوه والصلب الذى صلبوه على هذا الشبيه لتنام اليهود العصبة الدامغة بانهم ظلموه وكفروه من غير أن يلحقه منهم أقل أذى ولأجل أن يقضى على الفتنة التى تحدث فى الأرض لو رفع ، ولم يتشبه لهم فسيقولون قطعا كان الله فى الأرض وذهب الى السماء من حيث جاء وبعد ان تشبه لهم طلب عيسى من الحواريين أن يكفر به أحدهم الليلة كفرا ظاهريا فذهب الى اليهود ليرشدهم اليه فامتثل يهودا هذا الأمر وذهب الى اليهود وكانوا يبحثون عن عيسى فقال لهم ما تجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم على عيسى المثيل ليلا ومع كون القبض قد وقع عليه ليلا كما أراد عيسى تراهم قد اختلفوا فيه ووقعوا فى شك من أنه عيسى أو ليس بعيسى ، لأن الصورة الممثلة لاتكون بالضرورة طبق الأصل من كل وجه ، ولما دلهم يهودا على عيسى المثيل قبضوا عليه وحكموه حكما مستعجلا بوجوب قتله وصلبه فى صبيحة الليلة التى قبضوا عليه فيها أى يوم الجمعة ٣٠ من نيسان سنة ٣٣ من ميلاد عيسى عليه السلام حكموا عليه بالقتل والصلب فى غير تحقيق جدى أو تعليق يجدى ، وكأنه أكبر مجرم فى الأرض فى نظرهم يجب ازالته فى الحال ، فكان ويحمان الألمانى الذى ساهم فى قتـــل الملايين من اليهود مع هتلر أسعد حظا فى محاكمته باسرائيل من محاكمة عيسى عليه السلام هذا وأرجو الا يتخذ المسيحيون تشبه عيسى لليهود دليلا جديدا على لاهوتيته أو أنه ابن الله حقا فان القدرة على التمثيل عندنا معشر المسلمين ثابتة وواقعة فعلا ممن هم أقل شأنا من عيسى بدرجات كثيرة ، وها هو الشعرانى فى طبقاته الكبرى ذكر أن فئة مجرمة من المسلمين على شاكلة اليهود أحدث ألف جنيه مكافأة على قتل بعض الأولياء الذين ترجم لهم الشعرانى فى طبقاته فتصيدوه خارج قريته ثم قتلوه ولم يصلبوه كما صلب

اليهود عيسى بل قطعوه قطعة قطعة زيادة في التنكيل به وليأخذوا أجرهم المغرى كاملا مكملا ثم وضعوه في زكيبة واخفوه عن الأنظار ثم كان أكبر مفاجأة لهؤلاء المجرمين المرتدين أنهم حينما أصبحوا وجدوه في قريته حيا يرزق كما كان بالأمس قبل ان يقطعوه قطعة قطعة ويبددوه « فلمــا رآهم ورأوه قال لهم « عركم القمر » وهذا الولى على ما يظهر كان من الأولياء الذين يسميهم المسلمون بالأبدال الذين يظهرون في صور كثيرة غير صورتهم الأصلية

قال الشعرانى

وكان الشيخ حسن أبو على كثير التطور تدخل عليه بعض الأحيان تجده جنديا ، وأحيانا تجده صبيا وأحيانا تجده سبعا أو فيلا الى آخــر ما قاله الشعرانى في ترجمة الشيخ حسين أبو على في الجزء الثــانى من الطبقات ومن خصائص هذه الفئة من الأولياء أن الصورة التى يتمثلون بها لا تحكم عليهم على معنى أنك لو أحدثت في الصورة الممثله قتلا أو ضربا أو حبسا أو أى ضرر آخر لم يظهر لذلك أثر في الصورة الأصلية ، ومثل ذلك التمثيل الحسى الذى يرى بالبصر التمثل المعنوى الذى يكون في المنام فانه لو تمثل لك عدوك في المنام بذاته وصفاته وضربته بسكين فسال دمه فان هذا لا يؤثر في عدوك الحقيقى تأثير ، ولما كانت روح سيدنا عيسى ملائكية قدسية علوية مشرقة بالأنوار الالهية كانت أقدر على التمثل من أرواح الأولياء واعلم أن كون المشبه لليهود هو عيسى لم يدرج عليه أحد من المفسرين غير أن الامام فخر الدين الرازى أشار الى ذلك اشارة عابرة في تفسيره الكبير عند شرحه لقوله تعالى « وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم » حيث قال في شرحه أن في الآية سؤالين السؤال الأول قوله تعالى «شبه» مسند لماذا — ان جعلته مسندا لعيسى فعيسى مشبه به لا مشبــه وان اسندته الى القتيل فالقتيل لم يجر له ذكر في الكلام — وبعــد أن اعترض هذا الاعتراض اختار أن قوله «شبه» مسند للقتيل مع أنه لم يجر له ذكر في النظم الكريم كما قال — ولم يختر الامام أن قوله « شبه » مسند لعيسى مع أن سائر الضمائر المذكورة في الآية الكريمة كلها عائدة على عيسى — ونحن قد اخترنا أن قوله « شبه » مسند لعيسى لأنه هو الذى

حري له ذكر في الكلام ولأن الضمائر كلها في الآية عائدة على عيسى — ولأن القتيل عن عيسى لم يجر له ذكر في الكلام فيكون عيسى هو المشبه لا المشبه به وعلى عيسى المشبه وقع القتل والصلب وبهذا الذي اخترناه يزول التعارض الهائل بين أكبر اجماعين متعارضين أجمع عليهما آلاف الملايين من البشر اجماع اليهود والنصارى في جميع أنحاء الدنيا على أن اليهود قتلوا عيسى وصلبوه ، واجماع المسلمين في جميع أنحاء الدنيا على أن اليهود ما قتلوا عيسى وما صلبوه فمن ذهب الى أن اليهود قتلوا عيسى وصلبوه حملناه على عيسى الذي شبه لهم ومن ذهب الى أن اليهود ما قتلوا عيسى وما صلبوه حملناه على عيسى رسول الله الذي رفع بصورته الأصلية غير المشبهة

وبهذا الذي اخترناه أيضا لم يعد فيما قرره المجلس المسكوني أخيرا حرج لشعور العرب كما يقولون حيث قرر المجلس في وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح « ان جريمة اشتراك اليهود في دم المسـيح واقع تاريخي لا يمكن انكاره لأنا نقول لهم الجريمة ذات الواقع التاريخي الذي لا يمكن انكاره ، وقعت على عيـسى المشبه لليهود وقد اثبتها القرآن كما قلنا ، واما نفى القرآن هذه الجريمة ذات الواقع التاريخي الذي لا يمكن انكاره عن عيسى رسول الله كما سيأتيك توضيحه مما لا مزيد عليه من نص القرآن نفسه وبهذا الذي اخترناه أيضا يسلم يهوذا أحد رسل عيسى من الردة التي رماه بها جميع المسيحيين ظلما وعدوانا لأن وشايته لليهود كانت مصطنعة ومدبرة وبأمر من عيسى عليه السلام كما علمت ويسلم أيضا كلام سيدنا عيسى من التناقض الفاحش لأنه قال لرسله الاثنى عشر انكم تجلسون يوم القيامه على كراسي تدينون الاثنى عشر سبطا من اليهود المذكورين في قوله تعالى « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما » . ومن جملة هؤلاء الرسل الاثنى عشر يهوذا باتفاق فكيف يصبح بعد ذلك مرتدا عن دينه ولا أدرى ما هو السبب في أن المسيحيين حكموا على يهوذا بالكفر والردة بسبب وشايته على عيسى ثم تراهم بعد ذلك يثبتون له رسالته في جملة رسالات رسل عيسى في كتبهم المقدسة

وبالتأمل فى انجيل يوحنا فى الأصحاح الرابع عشر يمكن أن نستخلص منه براءة يهودا من دم المسيح ونقطع بأن وشايته لليهود كانت مصطنعة وبأمر من عيسى عليه السلام ونجزم بأن اليهود انما قتلوا وصلبوا عيسى المشبه لهم ولم يقتلوا عيسى رسول الله

فقد ذكر يوحنا فى الأصحاح الرابع عشر أن عيسى ليلة قتله وصلبه قال لتلامذته الاثنى عشر « ان احدكم يسلمنى الليلة الى اليهود فطلب منه تلامذته أن يبين لهم من هو ذلك الأحد فقال سيدنا عيسى هو الذى أطعمه اللقمة ثم غمس لقمة وأطعمها ليهودا وهنا قالت الأناجيل ان الشيطان دخل فى جوف يهودا مع هذه اللقمة ولذلك خرج يهودا وأرشد اليهود الى عيسى فقبضوا عليه وقتلوه وصلبوه وهكذا عسرت الأناجيل هذه اللقمة من يد رسول الله الطاهرة المباركة بهذه النقمة التى نزلت بيهودا ولم يدروا أنها نعمة من يد نبى الله المبارك اختص بها يهودا ليخلص بينهم من محاصرته ومطاردته من اليهود كما ستراه واضحا من كلام يوحنا فى انجيله فقد ذكر يوحنا بعد أن قال عيسى ان أحدكم يسلمنى الليلة الى اليهود وبعد أن غمس اللقمة ليهودا ، ذكر أن عيسى قال ليهودا « اعمل ما تعمله بسرعة » يعنى اذهب الى اليهود قبل أن يصيح الديك فى وقت السحر ثم قال يوحنا بعد ذلك « ان عيسى أسر ليهودا بكلام لم يفهمه الحاضرون » وظن باقى التلاميذ أن ما أسره عيسى ليهودا هو أن يخرج ليشترى لهم طعاما لأنه كان أمين الصندوق والمقرب عند عيسى ثم خرج يهودا بعد أن قال له عيسى ما تقدم « اعمل ما تعمله بسرعة » ، وبعد أن أسر له بكلام لم يفهمه الحاضرون وذهب مسرعا الى اليهود ليدلهم على عيسى ليقبضوا عليه وليقتلوه .

فاذا كان آخر لقاء بين عيسى ويهودا وآخر حديث بينهما وقع على هذه الصورة التى ذكرها يوحنا ووضحناها لك ، فلا يسع العاقل الا أن يفهم نحو أن وشاية يهودا كانت مصطنعة وباتفاق سرى بين عيسى ويهوذا ليقع القبض على عيسى المشبه لهم ليلا قبل أن يصيح الديك خشية أن يتمحصه الشعب اذا قبض عليه نهارا فيقع الشك كما قلنا فى أن هذا عيسى أو ليس بعيسى

وبهذا يتصح لك صحة ما احترنا من أن اليهود ما قتلوا وما صلبوا عيسى رسول الله ولكنهم قتلوا وصلبوا عيسى المشبه لهم

ويتصح لك أيضا تبرئة يهوذا رضى الله عنه من دم المسيح بعد أن صب عليه اللعاب من جميع المسيحيين زهاء ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين سنة من رفع المسيح الى السماء

أما تبرئة اليهود من دم عيسى بناء على ما ذكره القرآن من أنهم ماقتلوا عيسى وما صلبوه فبعيده بل ومستحيلة لأن قوله تعالى بعد ذلك « ولكن شبه لهم » تذيبهم وتأخذ بخناقهم فانهم قصدوا على عيسى المشبه لهم على اعتبار أنه عيسى رسول الله وقتلوه وصلبوه بعد أن بصقوا فى وجهه وضربوه بالعصى على رأسه ومنعوه الطعام والشراب وسقوه المر — فعلا — مدانا فى الحل لما طلب منهم شربة ماء ليروى غلته فلم يستسغه حتى قتل عطشانا ووضعوا الشوك على رأسه وطوقوه به حتى لا يمكنه أن يلتفت يمنة أو يسرة ليمنعوه حتى عن تحريك رأسه زيادة عن صلب ويديه وبدنه

وانه لو أمكن تبرئة الشيطان من اثم امتناعه عن السجود لآدم لما أمكن للانسان أن يحكم بتبرئتهم من دم عيسى واستدلالهم أياه هذا الاستدلال ولا يشفع لهم أن الذى قتلوه وصلبوه ، هو عيسى المشبه لهم لا عيسى رسول الله لأن هذا المشبه لهم ليس حيوانا مهدر الدم يستباح اذلاله وقتله وصلبه وضربه بالعصا وتشويكه والتنكيل به حتى يموت جائعا عطشانا ولكنه انسان يمثل عيسى ويقوم مقامه ويسد فراغه ، أوجده الله ليخلص عيسى من مكرهم وكيدهم لا ليخلص اليهود من اثمهم وجرمهم .

ولو شاء اليهود أن يطرحوا عن أنفسهم هذه اللعنات التى لاحقتهم وأن يمحوا عن شعبهم هذه الانتقامات التى لازمتهم ولا زالت تلازمهم الى يوم القيامة وأن تثبت لهم البرئة التى يرجونها من المجلس المسكونى من أوسع أبوابها . فليرجعوا الى ما طالبهم الله به فى قوله تعالى « يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم واوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم « وهو القرآن » ولا تكونوا أول كافر به » ولو كان الله يرتضى اليهودية دينا لهم لما طالبهم بالايمان بالقرآن . فمطالبتهم بذلك دليل قاطع على أن الله لا يرتضى اليهودية

دينا لهم ، كما أن الله لو كان يرتضى اليهودية دينا لهم لما أرسل اليهم عيسى فارسال عيسى لهم دليل قاطع أيضا على أن الله لا يرتضى اليهودية دينا لهم فلو أن أشكول ومن شاكل أشكول ومن حوريون ومن يجرى مجرى بن حوريون امتثلوا أمر الله واندمجوا فيما ارتضاه الله دينا للناس وقامت الأدلة القاطعة والبراهين الحقة على صحته عند كل الناس لتحقق لهم هذه التبرئة من أوسع أبوابها كما قلنا ، ولا دلة بعد ذلك ولا بعثرة فى الأرض ولا تمسك لأمريكا ولا تمسح بانجلترا ولا مخادعة لألمانيا ولا دلة لفرنسا ولا مقاطعة من العرب ولا اخراج من الديار ولا اتخاذهم مطية مسعورة للاستعمار لو صنعوا ما صنع أعلمهم وابن أعلمهم « عبد الله بن سلام » الصحابى اليهودى العالم الجليل ، هذا هو الطريق السليم لحصولهم على هذه التبرئة التى يرجونها من المجلس المسكونى

وكيف يملك المجلس المسكونى أو أى هيئة دينية فى الأرض تبرئتهم من دم المسيح ورفع الدلة المضروبة عليهم فى كتبه المقدسة

وهل يملك المجلس المسكونى أن يرفع عنهم كفرهم بالمسيح وظلمهم له ورميه هو وأمه بالفحش والبهتان وبالسحر والشعوذة وبعباده الشيطان ؟

ولعنهم على لسان داود وعيسى وقتلهم لزكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الأنبياء الذين يعدون بالعشرات، وظلمهم فى السبت ، وما تأذن به ربك بأن يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب كهتلر وغير هتلر بسبب هذا الظلم ، وهل يملك المجلس المسكونى أن يرفع عنهم ظلمهم بعبادة العجل وما نالهم بسبب ذلك من غضب الله عليهم وذلتهم فى الحياة الدنيا وأن يرفع عليهم نقضهم للمواثيق التى واثقهم الله بها فى حياة موسى وبعد حياة موسى وتعديهم على الله وقولهم فيه أن يديه مغلولتان وأن الله فقير ونحن أغنياء وعداوتهم لجبريل وملائكة الله المقربين ومحو ما طبع الله على أجسامهم وعلى قلوبهم بكفرهم بجميع الأنبياء الذين أرسلوا من بعد موسى وفى جماعهم خاتم المرسلين ؟

وأخيرا هل يملك المجلس المسكونى رفع ظلمهم لمليون عربى فلسطينى بمساندة أمريكا وانكلترا باستيلائهم على أرضهم وأموالهم وديارهم وأكلهم حقوقهم جهارا نهارا بدون سند قانونى وبغير حق شرعى أى بغير فتح للبلاد

فتحا دينيا يرضاه الله ويأمر به ، فاذا شاء اليهود هذه التبرئة وأن ترفع عنهم هذه الموبقات التى ارتكبوها فليردوا الحقوق لأربابها ثم ليطلبوا رفع هذه الآثام عنهم لا من المجلس المسكونى ولا من غيره بل ممن يملك ذلك وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه وتعالى قد كتب رحمته التى وسعت كل شيء ووعد بها الذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وسواء برأهم المجلس المسكونى أو لم يبرئهم أو أدان البعض وبرأ البعض فلا علاج لهم ولا حل لمشاكلهم الدينية المعقدة الا ما قدمناه ، ولم يكن غرضى فى الأصل أن أخطىء اليهود فى عقيدتهم ولا أن أبين ما يجب أن يفعلوه ولا أن أتعرض للأديان بنقد أو تجريح ، وانما حرتنى تبرئةيهود من دم المسيح الى الدخول فى تبرئة اليهود من دم عيسى فاقتضى البحث على أن أخوض فيما ذكرت وأن أنصح بما يصح مراعاته لحقوق قديمه قد عفا عليها الزمان وجحدها بنو الانسان

« معجزه علميه من معجزات القرآن الحية الخالده »

بالتأمل العميق فى نظم القرآن الكريم فى قوله تعالى « وقولهم » أى اليهود « انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » نجد أن القرآن نفى القتل والصلب الذى نفاه لا عن عيسى مطلقا أى عيسى رسول الله الذى رفع الى السماء وعيسى المشبه لهم الذى قتل وصلب بل نجده نفى القتل والصلب عن عيسى « رسول الله » الذى رفع ثم أثبته أى القتل والصلب لعيسى المشبه لهم

ولكون العقول لا تحتمل أو لا تصدق أن يقال لها بصريح العبارة أن عيسى الرسول لم يقتل ولم يصلب وأما عيسى المشبه لهم فقد قتل وصلب نراه سبحانه وتعالى قد طوى التصريح لهم بذلك واتخذ للافادة بذلك أسلوبا عجيبا من سحر البيان يمر القارىء العادى به فلا يجد ما لا يحتمله عقله ولا ما لا يصدقه قلبه ويمر به القارىء المتأمل فيجد صنعة وتجملا وتعمقا فى التعبير تقف دونه العقول صاغرة وتخر له الجباه ساجدة ومتذللة . فانظر لكى يفيدنا سبحانه وتعالى أن الذى لم يقتل ولم يصلب هو عيسى «رسول

الله » تراه سبحانه قد وضع عن قصد هذا القيد وهو « رسول الله » فى جانب عيسى فى أول الآية التى هى من مقول اليهود مع العلم بأن اليهود لايقولون أن عيسى رسول الله ولا يعتقدون أنه رسول الله لأجل أن يعيد الضمير فى قوله تعالى « وما قتلوه وما صلبوه » على عيسى الموصوف بأنه رسول الله ليفيد أنه هو الذى لم يقتل ولم يصلب وهو الذى رفع وأما عيسى المشبه لهم فهو الذى قد قتل وصلب كما هو مقتضى الاستدراك فى قوله ولكن شبه لهم أى ولكن شبه عيسى لهم فقتلوا عيسى المشبه لهم وسلم عيسى رسول الله — ولخفاء السر فى وضع هذا القيد وهو قــوله رسول الله فى جانب عيسى فى أول الآية وهى «وقولهم» أى اليهود انا قتلنـا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه لخفاء السر فى وضعه فى هذا المكان اعترض المفسرون جميعا على الاتيان بقوله « رسول الله » فقالوا أى المفسرون ان اليهود كفروا بعيسى وسبوه وقالوا هو ساحر وابن ساحرة فكيف، يقولون فيه أنه « رسول الله » ثم تخلصوا من ذلك الاعتراض بأن اليهود قالوا « رسول الله » تهكما بعيسى — وقد علمت أنه تبارك وتعالى وضع عن قصد كلمة رسول الله فى جانب عيسى وهى ليست من مقول اليهود ليكون صادقا فى قوله « وما قتلوه وما صلبوه » أى عيسى رسول الله لأنهم ما قتلوا وما صلبوا عيسى رسول الله حقا وانما قتلوا وصلبوا عيسى المشبه لهم وهو ليس رسول الله فلله در القرآن الكريم وما أحكم نظمه العظيم وعلى هذا يكون « رسول الله » من مقول الله لا من مقول اليهود كما يقول المفسرون على تقدير يعنون أى اليهود رسول الله

« ما يثبت من واقع القصة ان القتيل والمصلوب هو عيسى المشبه لهم »

ومما يثبت من واقع القصة أن القتيل والمصلوب هو عيسى المشبه لهم ان اليهود بحثوا عنه فى الصباح بعد أن قتلوه فى المساء ودفنوه فى القبر ووضعوا على باب القبر حجرا كبيرا وشددوا عليه الحراسة فلم يجدوا فى قبره شيئا كما بحث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل المثيل خارج المسجد بعد انصرافه من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مباشرة فلم يجدوا شيئا — وكما نظر السحرة الى الحية التى التقمت حبالهم وعصيهم فلم يجدوا الا عصا موسى فى يده حيث أعادها الله سيرتها الأولى ، أما النصارى فيزعمون أن عيسى قام من بين الأموات فى اليوم التالى لدفنه حينما بحثوا عنه فلم يجدوا فى قبره شيئا — وقد علمت أن من خصائص هذه الفئة المتطورة من الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة أن الصورة التى يتمثلون فيها لا تحكم عليهم على معنى أنك لو أحدثت فى الصورة المثلة قتلا أو ضربا أو تشويكا أو نحو ذلك لم يظهر لذلك أى أثر فى الصورة الأصلية ثم لا تلبث هذه الصورة الممثلة أن تعود سيرتها الأولى بعد انقضاء الغرض الذى من أجله تمثلت

« معنى اقرار عيسى فى القرآن بأن الله توفاه »

أما اقرار عيسى فى القرآن بأن الله توفاه فى قوله تعالى « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » فليس معناه أن الله توفاه وأماته بل معنى « فلما توفيتنى » أى فلما قبضتنى وأخذتنى بروحى وجسمى كنت أنت الرقيب عليهم بعد قبضى وأخذى بروحى وجسمى من بينهم كما تقدم ذلك فى الآية التى طمأن الله فيها عيسى على حياته وقت محاصرة اليهود له فى ليلة الجمعة ١٣ من نيسان سنة ٣٣ م وقتله وصلبه فى صبيحتها فقد قلنا أن الله طمأن عيسى على حياته فى ليلتها بقوله لعيسى يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وقلنا ان معنى متوفيك أى قابضك بروحك وجسمك ورافعك الى السماء — ومما يدل على أن معنى متوفيك أى قابضك بروحك وجسمك الى السماء قوله تعالى بعد ذلك ومطهرك من الذين كفروا فان تطهير عيسى من اليهود لا يكون باماتة عيسى بل برفعه بروحه وجسمه من بيئه اليهود الخبيثة المطاردة له والمحاصرة له فكان معنى قوله «فلما توفيتنى» فلما قبضتنى حمله بروحى وجسمى الى السماء كنت أنت الرقيب عليهم وليعلم أن اقرار عيسى بأن الله توفاه لم يحصل هذا الاقرار من عيسى للآن وانما يكون هذا الاقرار من عيسى يوم القيامة حيث يسأله سبحانه وتعالى يوم الحساب ويقول له على رءوس الأشهاد « يا عيسى أأنت

قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله » والقصد من هذا السؤال أن عيسى لم يقل هذا الكلام ، هو تقريع وتوبيخ وتهجين مئات الملايين من المسيحيين على ما اعتقدوه في عيسى من أنه ابن الله

وانما كان ما اعتقدوه في عيسى من أنه ابن الله يقتضي أن يقال له هذا القول لأنه اذا كان ابن الله كما يقولون فانه يلزمهم أن يكون الله هو أبوه ويلزمهم أيضا أن تكون أمه مريم زوجة الله سبحانه وتعالى وبالزوجية والبنوة لله يكتسبان صفة الألوهية ويلزم بعد ذلك أن لا يكون الله الها لأن الاله لا يلد ولا يزاوج أحدا ونقى بعد ذلك أن يكون عيسى وأمه الهين من دون الله كل هذا يلزم النصارى من اعتقادهم في عيسى أنه ابن الله فلهذا يقول الله لعيسى موبخا عابديه « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » وقول عيسى بعد ذلك « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » وقول الله بعد ذلك . « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » يدلان على أن هذا السؤال من الله وهذا الجواب من عيسى لم يحصل الآن وأن حصولهما يوم الحساب كما قلنا

« هل ينزل عيسى الى الارض قرب يوم القيامة ؟ »

ورد في القرآن الكريم آيتان تدلان على أن عيسى سينزل الى الأرض قرب يوم القيامة وورد في البخاري ومسلم وأبي داود وغيرهما عدة أحاديث تدل على ذلك

أما الآية الأولى فقوله في شأن عيسى « وأنه » أي عيسى « لعلم للساعة » بكسر العين وسكون اللام أي أن عيسى هو نفس العلم بالساعة يعني أن من رآه اذا نزل من السماء فكأنما رأى القيامة قد قامت فالعلم به علم لها وقرأ ابن عباس « وأنه » أي عيسى « لعلم للساعة » بفتح العين واللام أي هو علامة على الساعة .

قال المفسرون أى أن نزوله لعلامة على الساعة فنزول عيسى على القراءة الأولى مما يعلم به مجيء الساعة وعلى القراءة الثانيه علامة وامارة على مجيئها

فدلت الآيه على أن عيسى سينزل وأن نزوله من أشراط الساعة .

وأما الآيه الثانية فقوله تعالى فى شأن عيسى أيضا « وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » أى وما من أحد من أهل الكتاب يهودى أو نصرانى أدرك نزول عيسى الا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى . ويدل على صحة هذا المعنى ما روى فى الصحيحين البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزيه وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن البغضاء والشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد » فأنت ترى فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بربه على أن عيسى سينزل الى الأرض على أن يكون حاكما عادلا بين المسلمين واليهود والنصارى لا على أنه رسول لهم فان الرسالة قد انتهت بخاتم المرسلين فلا رسالة فى الأرض بعده عليه الصلاة والسلام وانما وظيفته أن يكون اماما للناس حاكما عادلا بينهم فيكسر الصليب ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه لأنه قد اتضح لهم من نزوله أنه لم يقتل ولم يصلب فلا معنى لتعظيمه بعد ذلك ويقتل الخنزير لأن القرآن حرم تناوله فى قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » وهو انما نزل ليحكم بما أنزل الله وقد حرم الله أكله لأنه من الخبائث والمستقذرات فلذلك يحكم بقتله وقوله يضع الجزية يعنى لا يقبلها من أحد يريد أن يبقى على عقيدته التى هو عليها فلا اباحى ولا بوذى ولا وجودى ولا طبيعى ولا يهودى ولا نصرانى يريد أن يبقى على عقيدته التى هو عليها يقبل عيسى منه الجزية فاما الدخول فى دين الله واما القتل

أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « وليتركن » أى عيسى « القلاص » أى الابل « فلا يسعى عليها » أى لا يسافر عليها قوله

هدا يحقق معجزة حية من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن السعي فى الأرض والسفر فيها فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الثلاثة عشر قرنا التى تلت رسالته انما كان على الجمال والخيل والبغال وما اليها . ولم يكن لهم مطايا قوية يمتطونها ولا مراكب قوية يركبونها فى هذه العهود الا الجمال ، فلا طيارات ولا عربات ولا وابورات ولا شيء من هذه المخترعات الحديثة السريعة التى اخترعت فى هذه العصور الأخيرة كانت موجودة فى زمنه عليه الصلاة والسلام ، ولا فى الأزمنة الطويلة التى حدثت بعده وانما وجودها كما ترى قديم وتحقق فى هذه العصور الأخيرة التى اقتربت منها قيام الساعة وترقب نزول عيسى عليه السلام فلذلك قال عليه الصلاة والسلام « وليتركن » أى عيسى القلاص فلا يسعى عليهـا لأن سعيه فى الأرض وسفره فيها سيكون بالضرورة على الطائرات والعربات وما ماثلها فيكون قوله « وليتركن القلاص فلا يسعى عليهـا » من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم ودليل حى على أن عيسى سينزل فى الأرض ويحكم بما أنزل الله ويكون سعيه وسفره فى الأرض على صورة سعينا وسفرنا — ثم قال عليه الصلاة والسلام « وليذهبن » بضم الياء أى عيسى الشحناء والتباغض والتحاسد من القلوب . وهذه أيضا اشارة لطيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ منها أنه فى وقت نزول عيسى الى الأرض ستكون قلوب الدول مملوءة بالتحاسد والشحناء والتباغض مملوءة بالحقد والكراهية حتى لتتمنى كل دولة زوال غيرها من الأرض كما هو حاصل الآن فانك لا تكاد تجد دولة الا وهى حانقة وحاقدة ومشحونة بالغيظ والكراهية من أختها وقد تتمنى لها القتل والخراب والفقر والجوع والحاجة الى رغيف العيش بل وقد تعمل لذلك وهذه الحالة على ما يظهر ستبقى بين المد والجزر بين الدول الى نزول عيسى عليه السلام، وبعد نزول عيسى عليه السلام سيذهب الله على يديه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التحاسد والتباغض من قلوب الناس أجمعين لأنهم انما يتقاتلون ويتباغضون ويتحاسدون من أجل الحصول على أموال الناس ونهبها وسلبها بأى وجه كان وفى زمنه عليه السلام ستفيض الأموال وتكثر بين الناس

حتى أن عيسى كما قال النبي في بقية الحديث ليدعون الناس الى المال فلا يقبله أحد هذه رواية الصحيحين في نزول عيسى

أما رواية أبي داود فقد ورد فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وأنه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل يقاتل الناس على الاسلام فيـدق الصليب أى يكسره ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ويمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون فقول النبي صلى الله عليه وسلم في رواية أبي داود هذه « ليس بيني وبين عيسى نبي » أى ليس بيني وبين نزول عيسى نبي قوله هذا يؤخذ أيضا معجزة حية من معجزاته عليه الصلاة والسلام فقد ادعى النبوة بعد وفاته ثلاثون نبيا منهم أربعة نساء « مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي وسـجاح بنت الحارث » وغيرهم وكانت عاقبة هؤلاء النبيين أو مدعى النبوة الفشل والبوار جميعا على كثرةعددهم ولم تثبت لأحد منهم نبوة اطلاقا كما لم تثبت لأحد نبوة في هذه القرون الأربعة عشر ، وانما الذى ثبت وتحقق هو صدقهعليه الصلاة والسلام في قوله « ليس بيني وبين عيسى نبي » فكان ذلك معجزة كبرى من معجزاته عليه الصلاه والسلام ومنها نعلم أن نزول عيسى حتم لا مفر منه وأن الدجال الأعور الأكبر الذى يدعى الألوهية لا النبوه هو الآخر حتم لا مفر منه كما أخبر بذلك النبي في رواية أبي داود هذه .

وقد وصف النبي لنا عيسى في هذه الرواية لأجل أن نميزه ونعرفه عند نزوله بأنه رجل ربعة لابالطويل ولابالقصير وبأن لونه يضرب الى الحمرة والبياض وبأنه عريق أو نظيف كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل وبأنه ينزل بين ممصرتين أى بين ثوبين يضربان الى الصفرة يحيطان به وهو بينهمـا والصفرة في الثياب من شعار الملائكة وقد كانت عمامة جبريل يوم بدر صفراء كما أخبر بأنه يقاتل الناس على الاسلام وأن الله يهلك الملل كلها في زمانه الا الاسلام ، وانه يهلك الدجال الأكبر الذى يطوف الأرض كلها ويدخل مدنها في أربعين يوما ، وهى مدة مكثه في الأرض ، يوم كسنة ويوم

كشهر ويوم كأسبوع وباقي أيامه كسائر الأيام ومعنى كون يومه الأول كسنة أنه يقطع في هذا اليوم من المسافات ما يقطعه غيره في سنة بالسير المعتاد وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اسراع الدجال في الأرض فقال « كالسحاب استدبرته الريح » وفي رواية «كالغيث استدبرته الريح» وهذا الوصف ينطبق على سير الطائرات السريعة اذا كانت متجاورة ومتقاربة فانها ترى على صورة السحب اذا تسلطت عليها الرياح القوية ذات السرعة العظيمة فانها تدفع قطع السحاب دفعا الى الأمام بسرعة فائقة محسوسة والظاهر أن الدجال سيطوف الأرض هو وأتباعه على متن طائرات سريعة يدعو أهل الأرض الى عبادته من دون الله في نظير تسهيلات اقتصادية ومعونات اجتماعية وفي الأرض يومئذ مجاعة ويستجيب له اليهود وبعض سكان البوادي القاحلة الذين يدفعهم الحاجة الى اتباعه ، ثم ينزل عيسى ليقتله ويريح الناس من فتنته ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة يملأ فيها الأرض قسطا وعدلا ورخاء ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون

ونزول عيسى في الأرض وخروج الدجال الأعور الأكبر وظهور مجاعة شاملة عامة لمعظم أهل الأرض في زمن خروجه وخروج ثلاثين نبيا بعد وفاته ثم لم تنبأ لأحد منهم سوة هذه الأمور وما ماثلها هي من العيوب المستقبلة التي اطلع الله عليها رسوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته لتكون كالدليل على صدقه وعلى أنه لا يقول الا عن الله تعالى وهي أكثر من أن تحصى وقد حدث النبي أصحابه هذه العيوب المستقبلة كما روى البخاري ومسلم وأبو داود عن حذيفة بن اليمان قال لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ماترك فيها شيئا الى قيام الساعة الا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله قال حذيفة ان كنت لأرى الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وكما روى الامام أحمد في مسنده عن المغيرة بن شعبة أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فأخبرنا بما يكون في أمته الى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه وقد ظهر لأصحابه مصداق ما أخبر به ولا يزال يظهر لنا مصداق ما أخبر به كحديث طي الأرض وتقارب الزمان وحديث لا تقوم الساعة حتى تروا أمورا عظاما لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم كالسمر تحت

الماء ، والطيران فى السماء ، ومكالمة من فى المشرق لمن فى المغرب ومن فى الأفق الأعلى لمن هو على سطح الأرض والطوفان حول الأرض والسفر بالسفن الى القمر ودورانها حوله ونقل الصور وارسالها مع الصوت فى التليفزيون وهذه وغيرها كثير ، أمور عظام لم تكن ترى فى زمنه ولم يكن أحد يحدث نفسه بحصولها ولا برؤيتها فى زمنه عليه الصلاة والسلام فأخبر بأنه لا بد من حصولها وان حصولها أمارة على قيام الساعة

وهذه الأمور العظام فيما يظهر قد مثلها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وأحضرها أمامه واحدة واحدة ليصفها للناس على سبيل الاعجاز ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بعبارات من عنده على حسب ما يفهم من التمثيل الذى أمامه فالله تبارك وتعالى أراه الطيارات وهى تحلق فى الهواء وتندفع بسرعة الى الأمام فعبر عن سرعتها وعن السفر عليها بأنها تمشى فى الفضاء كالسحاب اذا استدبرته الريح والله أراه السيارات فعبر عنها بما يشبه وصفها فى زمنه وقال هى كالرحال التى تكون على ظهور الجمال وعبر عنها فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذى رواه أحمد فى مسنده والحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين أنهقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد أى ينزلون من فوق هذه الرحال وهى السيارات على أبواب المساجد للصلاة أو الزيارة نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف يريد الشعرالمصفف المجمع على رءوسهن كسنم البعير .. ثم قال العنوهن فانهن ملعونات

والله أراه آلة تسجيل الصوت فعبر عنها فى رواية الترمذى بقوله والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده فان آلة التسجيل توضع فى الجيوب المحاذية للفخذ فى الثياب المعلقة فى الحجرة لتسجيل ما يحدث فى البيت بعد الخروج للعمل

والله أراه آبار البترول التى كثر تفجيرها فى هذه العصور ، ولم يكن منها بئر واحد فى زمنه فعبر عنها فى حديث أبى هريرة بقوله « لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يسكنها الا أراذل الناس » وهم أصحاب

الشركات العالمية المعروفة وعبر عنها فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بقوله « تخرج معادن كثيرة مختلفة ، معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من شرار الناس » وقد ظهرت هذه المعادن الكثيرة فى ايران والعراق والحجاز وليبيا والقاهرة وغيرها ويحاول الاستعمار أن يستغلها لحسابه وتحاول الشعوب أن تستغلها لحسابها ومن أجلها يقع النزاع المستمر بين أهل الأرض ومن أجلها تقع الحروب بينهم الى أن يأتى أمر الله

الرسالة الثالثة

موضـــوعها .

« وحده العقيده بين الدول هى الطريق الوحيد لنشر الســـلام فى الارض »

لا تجد هيئة مسئولة فى الأرض ولا شعبا من شعوبها ولا أمة من أممها الا وهى تمقت الحروب وتطلب السلام وتسعى الحصول عليه بأى ثمن كان ، فكل أهل الأرض مجمعون على حب السلام وطلبه ، والدخول فيه لكى يعيشوا آمنين ويحيوا متحابين ، وعلى الرغم من اجماع البشر على ذلك نجد أنهم لم يوفقوا أبدا فى قطع المنازعات وسد باب الحروب والمخاصمات التى لا تلبث أن تختفى فى مكان حتى تظهر فى مكان آخر ، وهكذا دواليك الى أن تقوم قيامتهم أو يفنى هذا النوع الانسانى من الوجود

وهنا ترتسم علامة استفهام كبرى ، تسأل لماذا كان سعى أهل الأرض جميعا للسلام فى ضلال وجهادهم جميعا للحصول عليه فى ضياع لماذا يحرمون منه وهم الحريصون عليه ، ولماذا لايوفقون اليه وهم مجمعون عليه ؟ وهنا يرتسم أمامنا الجواب عن هذا الاستفهام الكبير وهو أنهم جميعا مخطئون فى اتخاذ الطرق والوسائل التى تؤدى بهم الى السلام .

فها هم الاســـتعماريون ينادون بالســـلام ويطلبونه كما يطلبه غيرهم ولكنهم فى الوقت نفسه يعملون على فرض السيطرة على الشعوب الضعيفة والأمم المتخلفة وعلى وضع أيديهم على منابع ثروتهم واستغلالهم لها لتكون دولتهم أعظم من أن تكون عظمى وأكبر من أن تكون كبرى ، وليقيموا أنفسهم سادة على الناس فهم السادة فى الأرض ، والناس لهم فيها عبيد ، هذا هو الطريق الى السلام الذى ينادون به ويعملون لنشره فى الأرض وهو طريق كما ترى أساسه الظلم والبغى وعدم مراعاة العدل والمساواة بين بنى الانسان ، والغاية منه سلب ثروات الشعوب الضعيفة والنامية ، والاستيلاء عليها بالقهر والجبروت ، وكأن الســـلام عندهم هو سلب سيادة شعب

بأكمله لاستعبادها الى شعب آخر بأكمله ، وسلب ثروة شعب بأكمله لإعطاء شعب آخر بأكمله ، وهو طريق لايوصل الى السلام أبدا لأن هذه الشعوب الضعيفة والمتخلفة لا تلبث بعد استكانتها للظلم فترة أن تفيق من غفلتها وأن تنهض من كبوتها لتدافع عن حريتها وكرامتها فتتجدد الحروب ويذوب هذا السلام المزيف تحت أنقاض هذه الوسائل التى اتخذوها طريقا للسلام

أما الطريق الى السلام عند الاشتراكيين فقائم على درء المستعمرين وردهم الى بلادهم وطردهم من بلاد غيرهم ثم العمل على استثمار منابع الثروة فى بلادهم استثمارا جماعيا بعد أن سووا بين الأجراء والملاك وقربوا بين طبقة الأغنياء والفقراء وقضوا على استغلال الأقوياء للضعفاء وفتحوا أبواب العمل أمام الجميع ليصبح الكل كأجير يعمل ليأخذ كفايته وما تتطلبه حاجته وما يتبقى بعد ذلك من ثروة البلاد يستعان به على تقوية الدولة لتقوى على مطاردة المستعمرين الأجانب وقلع ركائزهم وعملائهم من البلاد ولتقوى على مضاعفة الدخل ووفرة الانتاج لمصلحة الشعب جميعه

وهذا الطريق الاشتراكى غير العربى وان لم يكن فيه ظلم جماعى لأن الظلم فيه قاصر على الملاك وليس فيه مصادرة للدول الضعيفة والمتخلفة الا أنه على كل حال لا يقطع المشادة المستحكمة بينهم وبين الاستعماريين بل ربما يزيدها استحكاما وتعمقا لأن مبدأ الاشتراكيين من شأنه أن يلهب شعور العمال على الملاك وأن يوسع شقة الخلاف بينهم ، سواء أكان العمال فى الدول الاشتراكية أو الاستعمارية ، وهذا مما يجعل الاستعماريين على حذر دائم من الاشتراكيين بسبب مناصرتهم للعمال ، كما يجعل الاشتراكيين على حذر دائم من الاستعماريين بسبب مناصرتهم للملاك ، وهذه الحال من شأنها أن تجعل السلام والحرب بين الاشتراكيين والاستعماريين فى كفتى ميزان وهى حالة لا يطمئن الانسان معها الى سلام دائم فى الأرض أبدا ، فإذن أين نجد الطريق الى السلام فى الأرض ؟

وقبل أن نخوض فى البحث عن هذا الطريق يجب أن نبحث هذه الظاهرة الفريدة التى أحدثتها الجمهورية العربية المتحدة فى الأرض فى معاملتها للدول الضعيفة والمتخلفة والدول المغلوبة على أمرها من ظلم

الاستعمار وبطشه ، واطلع على هذه المعاملة كل الناس وشهدها كل الناس وآمن بها كل الناس ، فالجمهورية العربية المتحدة كما يعلم كل الناس قدمت للجزائر فى سبيل تحريرها وحصولها على استقلالها رجالا ومعدات حربية ومعونات اقتصادية تقدر بملايين الجنيهات، وبذلت أيضا من نفوذها الكثير من التهديد والوعيد للدولة التي كانت تستعمر الجزائر حتى استبعدت هذه التهديدات وتلك المعونات هذه الدولة المستعمرة فأعلنت حربها على الجمهورية العربية المتحدة فى الاعتداء الثلاثى ، لكى تكف عن مساندة الجزائر ومعاونتها فى سبيل تحريرها ، ولكن كل هذا لم يثن الجمهورية العربية المتحدة عن عزمها بل طلب فى معاونتها ومساعدتها للجزائر الى أن حقق الله للجزائر النصر وأزال عنها كابوس الاستعمار البغيض ، ثم لننظر بعد ذلك ماذا كان من الجمهورية العربية المتحدة بعد أن أعاد الله للجزائر حريتها وكتب لها النصر ، لم يكن من الجمهورية العربية المتحدة الا أن باركت للجزائر استقلالها وهنأتها بالنصر ثم استودعتها الله وتركتها حرة طليقة لتباشر شئونها بنفسها وتبنى دولتها بيدها بدون أى قيد وبدون أى شرط من الجمهورية العربية المتحدة ، وبقى أن نعرف ماذا يمكن أن يكون لو أن دولة استعمارية قدمت للجزائر هذه المساعدات حتى تم لها هذا النصر ؟ الجواب عن ذلك يعرفه كل الناس ويفهمه كل الناس ويقرؤه فى بطون التاريخ كل الناس كانت دار الحماية فى الجزائر هى المهيمنة على الجزائر وهى المتكلمة فى الجزائر ولا شىء فى الجزائر الا دار الحماية

وبنفس الطريقة وبنفس المساعدة عملت ذلك الجمهورية العربية المتحدة مع سورية قبل الانفصال ومع اليمن بعد ثورتها على حكامها الأنانيين ، ساندت سورية حتى أوقفتها على قدميها وأعدتها كدولة تدافع عن نفسها وتحافظ بجيشها على استقلالها وتصد ريبة المستعمرين ومطية الطامعين عن أرضها وبذلت فى ذلك ما هو معروف لسوريا ولغير سوريا ، فلما شاءت سوريا أن تنفصل بدافع أعداء الوحدة ، وبدافع ملايين أعداء الوحدة المبعة لسوريا خيانة وغدرا — لم يكن من الجمهورية العربية المتحدة الا ماكان منها فى الجزائر استودعها الله وتركتها لنفسها حرة طليقة تباشر شئونها كما يحلو لها من غير أن تسألها عما قدمت وبذلت فى سبيل اقامتها

كدولة ذات كيان وذات قوة ضاربة ، وذات اعداد قوى يمكنها من أن تكون رأسا نفسها بعد أن كانت ذيلا لغيرها وهكذا فعلت مع اليمن ما يحير العقل عن حصره وتصوره فى سبيل اقامتها كدولة تدافع عن نفسها وتستجلب الرخاء لشعبها وتذود الأجنبى المستعمر عن أرضها ومحمياتها ، وتطرده من بلادها ، وعاونت الجمهوريه العربية المتحدة تونس من قبل الجزائر فى سررت وغير سررت ، وعاونت مراكش من قبل تونس ، حتى ثبت على عرشها واسكتت أعلالها ، ولاننس ذلك التسامح الكبير والتضحيه بكل شيء فى سبيل حصول السودان على استقلاله وطرد الأجنبى المستعمر لبلاده ، وفى سبيل حصوله على ما يقرب من نصف المياه المحجوزة خلف السد العظيم بدون مراعاة تكلفة البناء

لقد كان فى استطاعة الجمهورية العربية المتحدة — لو كانت تعامل هذه الدول معاملة المستعمرين — أن تبنى لها قواعد فى كل هذه الدول كقواعد عدن وليبيا والخليج العربى ، وأن تتخذ مناطق نفوذ بأكثر من حجة من حجج المستعمرين ، وأن تضع يدها بقليل من الدهاء والخديعة على مقاليد كل دولة من هذه الدول ، كما يفعل ذلك المستعمرون

ولكن الجمهورية العربية المتحدة لا تفعل ذلك ويستحيل أن تفعل ذلك أو حتى تفكر فى فعله بل بالعكس تجدها تبذل كل ما فى وسعها وطاقتها لأن ترد الى جارتها فلسطين اعتبارها وحقوقها المغصوبة وأرضها المنهوبة لتقيمها كدولة ثم بعد ذلك تترك لها أرضها وأموالها بدون أن تفكر حتى فى مجرد الاشراف عليها بل تتركها لنفسها تباشر شئونها كما تشاء وتتصرف كما تريد

اذن فما هو السبب الحيوى لهذه الظاهرة الفريدة التى أحدثتها الجمهورية العربية المتحدة فى الأرض — وما هو العامل الحقى الذى دفعها الى هذه المعاملة التى لم يعهد لها نظير فى التاريخ ؟ قد يقول الناس ان حبها لاحياء القومية العربية وحبها لاحياء الوحدة العربية وبغضها للاستعمار وكراهيتها لاستعباد الشعوب الضعيفة هو السبب الوحيد الذى حمل الجمهورية العربية على أن تفعل ذلك مع هذه الدول المغلوبة على أمرها ولكنا لا نوافقهم على أن هذا وحده هو السبب الحقيقى والعامل الخفى الذى دفع الجمهورية العربية المتحدة الى أن تضحى بحقها فى السودان ومياه

السودان وأن تضحي بجانب ذلك بمئات الملايين من الجنيهات في الجزائر واليمن وسوريا وأن تعرض عشرات الألوف من أبنائها الأعزاء في سوريا وفي اليمن والجزائر والعراق لأخطار الاستعمار ، وأذناب الاستعمار ، ولكن السبب الحقيقي والعامل الخفي الذي دفع الجمهورية العربية المتحدة لأن تضحي بذلك كله هو وحدة العقيدة فيما بينها وبين هذه الدول ، هذا هو السبب الحقيقي والدافع الحقيقي لهذه المعاملة التي لم يعهد لها نظير في التاريخ قصدت ذلك الجمهورية العربية أو لم تقصده ، صرحت به أو لم تصرح ، عرفته أو لم تعرفه ، فوحدة العقيدة تفتدى الجمهورية العربية كلا من الجزائر واليمن وسوريا وفلسطين وغيرها بكل ما تملك ، وبوحدة العقيدة لا تفكر الجمهورية العربية في احتلال الجزائر ولا استعمار اليمن ولا محاسبة سوريا ولا مساومة فلسطين ولا مقاسمة السودان ولا غيرها ، وبوحدة العقيدة تحتسب الجمهورية العربية كلا من هذه الدول كأنهـــا قطعة من جسمها تبذل في سبيل سلامتها كل ما تملك حتى تعود سليمـــة كأصلها

والحقيقة ان التفرقة بين الشعوب وعدم التآلف بينها وطغيان بعضها على بعض وعدم محبة بعضها لبعض سببها الحقيقي — بلا شك — هو اختلاف العقيدة فيما بينهم وأنه اذا اتحدت عقيدتهم زالت بلا شك هذه التفرقة من القلوب وحل محلها التآلف والتحاب بصورة عجيبة تدعو الى الدهشة والاستغراب لأن صانع هذه الصورة هو الله الذي يؤلف بين قلوب المؤمنين به اذا دخل الايمان به في قلوبهم كما قال تعالى في كتابه العزيز « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » فوحدة العقيدة رحم بين أهلها أقوى بكثير من رحم القرابة والنسب وانما كان أقوى من رحم القرابة والنسب لأن رحم العقيدة رحم روحاني يتصل بالأرواح ورحم القرابة رحم جسماني يتصل بالأجســـام ولأن صلة رحم العقيدة من حق الله عليك وصلة رحم القرابة من حق والديك عليك

ومعنى وحدة العقيدة هو أن تجمع الدول على الايمان بالله واحد ورب واحد لهذا العالم كما جاءت به الأديان كلها من لدن آدم عليه السلام وان يجمعوا أيضا على الايمان برسله بدون تفرقة بين أحد من رسله

وهذا القدر من العقيدة يكاد أن يكون مجمعا عليه من الشعوب كلها اجماعا فطريا ، ويكاد أن يكون مجمعا عليه من جميع الدول اجماعا سكوتيا ، بقطع النظر عما التزمته بعض الدول فى قوانينها الرسمية ولو كان هناك تفرقة بين الرسل حاصلة بين الدول لما أجمعت الدول على نشر القرآن فى اذاعاتها فانه لايعقل أبدا أن تكون هناك دولة تعتقد أن محمدا رسول الله كذاب ثم تعمد الى نشر كذبه على الناس فى اذاعاتها هذا لا يمكن أن يصدر من أى دولة كائنة ما كانت فى الأرض والا كانت دولة متصفة بالجنون والجنون فاجماع الدول على نشر القرآن فى اذاعاتها دليل على أن العقيدة التى كان عليها الناس قديما من التفرقة بين الرسل أصبحت لاغية لاعتداد بها فى هذا العصر الحديث ، فليس هناك من يؤمن برسالة عيسى ويعتقد أن محمدا كذاب ، وليس هناك من يؤمن برسالة موسى ويعتقد أن محمدا كذاب ، كما أنه ليس هناك من يؤمن برسالة محمد ويعتقد أن عيسى كذاب أو موسى كذاب

كما أنه ليس هناك تفرقة حاصلة بين الدول كذلك ليس هناك تفرقة بين الرسل حاصلة بين الشعوب ، فجميع شعوب الدنيا تسمع القرآن الكريم وتستمتع بقصصه عن مريم وعيسى وسرده لمواقف موسى فى الحياة وهو رضيع أو شاب أو شيخ وقصصه عن الأنبياء يوسف ويعقوب واسحق وغيرهم وتصغى الى ذلك باقبال وقبول قلبى وبدون أن يخطر ببال أى شعب من هذه الشعوب أن محمدا متقول أو كذاب على الله فيما يقول بل كلهم جميعا يؤمنون بصدقه ويعترفون بأن هذا القرآن منزل من عند الله

واذا كانت وحدة العقيدة مجمع عليها من الشعوب ومجمع عليها من الدول كما أوضحنا لك ، اجماعا فطريا من الشعوب واجماعا سكوتيا من الدول ، واذا كانت وحدة العقيدة هى الطريق الوحيد لنشر السلام فى الأرض ، واذا كانت أكبر قوة فى الأرض تجمع القلوب وتؤلف بينها هى وحدة العقيدة ، واذا كانت أكبر قوة فى الأرض تفرق القلوب وتولد التنافر فيها هى اختلاف عقيدتها ، واذا كانت هذه القضايا مسلمة لا شك فى صحتها وفى صدقها لأنها قضايا منتزعة من الواقع والمشاهد المحسوس،

فلماذا اذن لا تتفق الدول على توحيد عقيدتها رسميا لكى تضمن لنفسها شر السلام العام فيما بينها ، لماذا لا تسعى الدول وتتكاتف على ما يوجب التآلف والتحاب فيما بينها وعلى ما يمحى أسباب الفرقة والتباغض من القلوب ويدفع عوامل العدوان والبغى على بعضها ، لماذا لا يقوم بالدعوة لهذه الوحدة دعاة دوليون مصلحون يحبون السلام لأهل الأرض ويحبون نشر السلام فيها ويحبون أن تعيش الشعوب هادئة مطمئنة فى مأمن من الحروب العامة وتدميراتها للأرض ولكل من على وجهها وهو عمل انسانى من الناحية الانسانيه قبل أن يكون عملا دينيا من الناحية الدينيه لماذا لا يعقد رؤساء الديانات الكبرى « بابا » المسيحيين ، و « حاخام » اليهود « وشيخ الاسلام والمسلمين » مؤتمرا دينيا عاما يدعون فيه الدول ويدعون فيه الشعوب الى نشر السلام فيما بينهم ما دامت وحدة العقيده هى الطريق الوحيد لنشر السلام فيما بينهم لماذا لا يعملون على قلع هذه الحواجز العتيقة بين الدول والشعوب وقطع دابر هذه التفرقة المحرجة بين بنى الانسان الواحد ، ما دام الاعتقاد السائد فى الأرض هو أن محمدا رسول الله كما أن عيسى رسول الله وكما أن موسى رسول الله .

فهيا يا بابا المسيحيين ، وهيا يا حاخام اليهود ، وهيا يا شيخ الاسلام والمسلمين الى دعوة الدول بصفتكم رؤساء الديانات الكبرى الظاهرة فى الأرض لتعمل على الاعتراف رسميا بهذه الوحدة التى تضمن لهم بدون شك نشر السلام فيما بينهم وهم كما ترون قائمون على فوهة بركان لو انفجر فانه لا يبقى على وجه الأرض أحدا ولا يذر ، استحثوا هيئة الأمم التى أحدث على عاتقها نشر السلام فى الأرض لكى تعمل على الاعتراف بهذه الوحدة ، أرشدوها لتقوم بالغرض الذى من أجله أقيمت والغاية التى من أجلها أنشئت استعملوا نفوذكم الدينى وسيطرتكم الروحية وانقذوا البشرية القائمة الآن على متن جهنم تحت رحمة نزوة نفسية أو وخزة شيطانية أو غلطة حسابية لو حدثت تقوم بها قيامتها وتهوى بها فى قاع الجحيم

ان الناس اذا أجمعوا على الايمان باله واحد ورب واحد وأجمعوا على الايمان برسله بدون تفرقة بين أحد من رسله أصبح الكل اخوة متحابين

وتلك هى الغاية التى كان المسيح عليه السلام يدعو اليها مدة رسالته والغية التى كان موسى عليه السلام يسعيها مدة اقامته، والأمنية التى كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمناها مده دعوته واذا أصبح الكل اخوه متحابين فانك لا تجد فيهم دولة تبغى على دولة لتسلب منها سيادتها ولتستولى على أرضها ولتضع يدها على منابع ثروتها لأن الايمان بالله ورسله يمنع الكل معا ناتا من التعدى على اخوانه فى الايمان واغتصاب حقوقهم والسيطرة على ملكهم ولأن قلب أخيه فى الايمان مفتوح اليه وفى يده ليس ممنوعا عليه ، ولايبقى بين الدول الا خلافات جزئية بسبب اختلاف وجهه أنظارهم كالخلافات التى تكون بين أفراد الأسره الواحده فى البيئة الواحده وهى خلافات على كل حال لا تؤدى الى نشوب حرب عامة أو مقاطعة عامة ، بل تبتدىء بسلام وتنتهى بسلام كما هو مدون فى التاريخ ومشاهد الآن

واليقين الذى لا شك فيه هو أنه اذا تحققت وحدة العقيده بين الدول وتمكنت من قلوبهم فانك لا تجد مؤمنا بالله ورسله يستطيع ان يحالف قلبه ويلقى على شعب يؤمن بالله ورسله قنبلة دريه أو قنبلة هيدروجينيه ليبيد بها ذلك الشعب الذى يحمل هذا الايمان لأجل أن يستعمر أرضهم ويستولى على ثروته لا سيما وهو يعلم من تعاليم دينه أن امتلاك ذلك الشعب لتلك الأرض ثابتا له بحقه الشرعى وهو الايمان بخالقها فلا وجه له بالطمع فيها وحينئذ تصبح القنابل الدرية والهيدروجينية لاغية وغير ذات موضوع لأنها لا تجد لها راميا كما لا تجد لها محلا فى الأرض يصلح لرميها فيه

والمشكلة الوحيدة فى تحقيق هذه الوحده العقيدية بين الدول ، هى ان بعض الدول حولت نظرها عن العقائد الدينيه وجعلت ذلك التحول مبدأ أساسيا من مبادئها فكيف ترضى ان تلتزم بوحده عقيدة بينها وبين الدول وكيف يمكن ان تدخل فى هذه الوحدة وقيام هذا الاشكال لا يمنع على كل حال من الدعوة الى هذه الوحدة وتترك الاستجابة بعد ذلك لرأى تلك الدول . فالدولة التى لا ترى وحدة العقيدة فى صالح شعبها هى حرة فى اعتقاد ما تراه فى صالح شعبها لأنه لا اكراه فى الدين

وبعد فهل يصبح الأسود أخا للأبيض ، وهل يصبح الأمريكى أخا للاتينى ، والكوبى واليابانى والفيتنامى والكورى والصينى والروسى، وهل

نصبح الصينى أخا للهندى وهل يصبح الهندى أخا للباكستانى ويلتقيان معا فى كشمير وهل يصبح أبناء خليل الله اخلاء ويلتقى أبناء سارة وهاجر فى فلسطين ، وهل يصبح التركى واليونانى والقبرصى اخوة متحابين ، وهل يتأكد الصفاء والوفاء بين فرنسا وجاراتها من العرب والمغاربة ويصبح الكل يدا وحدا وقلبا واحدا وهل تعود المانيا الى رشدها وتتصافى مع العرب ويصبح الجميع اخوة متصافين ، وهل يصبح الافريقيون اخوة على سواء بينهم وبين الأوربيين والامريكيين وهل تتنازل أمريكا من كبريائها واندفاعها فى الشرق الأقصى وغير الأقصى بدون أى حاجة عندها تدعوها لذلك وبدون أى فائدة تعود على شعبها من وراء هذا الاندفاع ، وهل تترك انجلترا تربصها وترقبها لما تأمل أن تجنيه من وراء هذا الاندفاع ، وهل تتراجع فى عدن عن تحويلها لقرارات جمعية الأمم بدون مبالاة وبدون اكتراث ، وهل يزول الحقد على العرب وحب السيطرة على بلادهم من صدور المستعمرين ؟

اذا شاء الله وكان الناس أمة واحدة يؤمنون باله واحد ورب واحد ويؤمنون بجميع رسله بدون تفرقة ، واذا قررت جمعية الأمم وحدة العقيدة بين جميع الدول ثم قبلتها جميع الدول فانه يرجى من الله تبارك وتعالى أن يجعل ذلك كله أمرا واقعا فى الأرض وبذلك يعم السلام جميع من فى الأرض وبدون ذلك لا تنتظر سلاما دائما فى الأرض أبدا ومن يدرى فلعل الله أراد لأهل هذا العصر أن يجعلهم كلهم أمة واحدة ، وأن يكونوا هم أهل رحمته الذين عناهم بقوله سبحانه وتعالى « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » ثم قال سبحانه « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » وقال المفسرون فى تفسير هذه الجملة ولا يزال الناس مختلفين فى الدين الا من رحم ربك ، أى الا من أراد لهم الخير فلا يختلفون فى الدين ، بل يجتمعون على عقيدة واحدة ، فكانوا كلهم أمة واحدة ، وكانوا كلهم أهل هذه الرحمة ، وهذا ما نرجوه من جميع الدول ومن جمعيـــة الأمم وما تحقيقه على الله بعزيز

الرسالة الرابعة

موضـــوعها :

« النهى عن اتخاذ القبر مسجدا وما هو معنى اتخاذ القبر مسجدا »

اتخاذ القبر مسجدا معناه أن تجعل القبر موضعا لصلاتك فوقه وسجودك عليه تعظيما لمن هو مدفون في القبر أو أن تجعل القبر نفسه قبلتك التي تتوجه اليها في صلاتك كالكعبة تماما على معنى أنك في أي ناحية من النواحي الأربعه للقبر وقفت ، اتخذت القبر قبلة لك ، هذا هو معنى اتخاذ القبر مسجدا

وخلاصة النهي عن هذا المعنى هـــو ألا تصـــلى على قبـــر أو الى قبر وهذا المعنى هو المصرح بالنهي عنه في رواية الطبرانى « لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر » وقد ورد النهي عن اتخاذ القبر مسجدا من طرق كثيرة وكلها صريحة في النهي عن هذا المعنى الذى ذكرناه أو محمولة على هذا المعنى فاذا لم تصل الى قبر ولا على قبر فصل حيث شئت فكل الأرض بعد ذلك مسجد من مساجد الله تصح فيه الصلاه بلا حرمة ولا كراهة ، فالأرض التي حول القبر مسجد من مساجد الله تصح فيها الصلاه كسائر أجزاء الأرض في كل بقاع الدنيا داخلة في عموم قوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لي الأرض مسجدا» وهكذا روى الامام أحمد وأبوداود والترمذى وابن ماجه والحاكم روى حسنتهم «الأرض كلها مسجد الاالمقبرة» أي الا أرض المقبره فليست مسجدا فلا تصح الصلاة عليها ولا اليها ، وما عدا أرض المقبره فهى مسجد من مساجد الله سواء أكانت الأرض حولها مباشرة أو قريبة منها حتى الطرق التى حول المقابر أو الطرق التى تتخلل المقـــابر العامه أجاز الفقهاء الصلاة فيها وعلى أرضها مبـــاشرة بدون أن تفرش واعتبروها داخلة في عموم قوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لى الأرض

مسجدا وتربتها طهورا » فاحذر من أن تصلى على القبر أو أن تتوجه فى صلاتك الى القبر ثم صل بعد ذلك حيث شئت

وأشهر رواية فى النهى عن اتخاذ القبر مسجدا هى قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وأنت ترى أن الحديث صريح فى النهى عن اتخاذ القبور الخاصة بالأنبياء مساجد لانها هى القبور التى يمكن أن يقصدها الناس بالتعظيم والتقديس وأن يتخذوها مساجد يصلون اليها وان يعبدوها من دون الله ، ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحذر أمته من اتخاذ القبر مسجدا الا حين حضرته الوفاة فخشى على أمته ان يتخذوا قبره بعد وفاته مسجدا يصلون اليه ويستقبلونه فى صلاتهم ويعظمونه فيه ويؤلهونه كما ألهت النصارى عيسى ومريم وكما ألهت اليهود عزيرا واتخذوا لهم صورا كصورهم وتماثيل تماثلهم ونصبوها فى معابدهم وعبدوها من دون الله وسجدوا لها وقدسوها كما يسجدون لله وكما يقدسون الله ، فقطع عليه الصلاة والسلام على أمته خط الرجعة وحذرهم من أن يفعلوا ذلك بقبره بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فالنهى عن اتخاذ القبر مسجدا خاص بقبور الأنبياء للسبب الذى ذكرناه، أما قبور غير الأنبياء من الناس صالحين أو غير صالحين فلم تقصد بالنهى فى هذا الحديث اطلاقا لأن قبورهم لا يمكن أن يقصدها الناس بالتعظيم والعبادة ولا أن يقصدها الناس للصلاة اليها أو التى من فيها ولا أن يفتنوا بها كالافتتان بقبور الأنبياء ، ولاأظن مسلما واحدا نوى فى صلاته أن يصلى ركعتين للسيد البدوى أو خلافه اطلاقا ، فنية المسلم معقودة على أن الصلاة لله وحده فى أى موضع صلى، وانما ألحق الناس قبور الأولياء بقبور الأنبياء سدا للذرائع ، وبطريق القياس على قبور الأنبياء وهو قياس كما ترى مع الفارق ، وغير مقبول لأن قبور الأولياء وان كانت تقصد من الناس كما تقصد قبور الأنبياء الا أن قبور الأولياء تقصد للتبرك أو الاستشفاع أو طلب المعاونة أو قضاء الحاجة من الله على يد أصحاب هذه القبور أما قبور الانبياء فتقصد من اليهود والنصارى أو تقصد صور أصحابها وتماثيلهم لتعظيمها وعبادتها والسجود لها وتقديسها وفرق كبير بين مايقصد للتبرك

رالاستشفاع وطلب المعاونه وقضاء الحاجه من الله على يد أصحابها وبين ما يقصد للتعظيم والعباده والسجود والتقديس فكيف يمكن أن تقيس قبور الأولياء على قبور الأنبياء وتعطيها حكمها ، فالصلاه في الأضرحة انما تحرم اذا تركت القبله وجعلت القبر قبلتك أو صليت فوق القبر لمن في القبر وهذا لم يحصل ولن يحصل من أحد من المسلمين اطلاقا ، أما اذا استقبلت القبله واستدبرت القبر او جعلته عن يمينك أو عن يسارك فلا حرمه ولا كراهه فاذا استقبلت القبله وجعلت القبر بينك وبين القبله فان كنت بحيث لو صليت صلاه الخاشعين لم يقع بصرك على القبر فلا حرمة ولا كراهة وان كنت بحيث لو صليت صلاة الخاشعين وقع بصرك على القبر فصلاتك مكروهه فقط وليست حراما كما نص على ذلك فقهاء الأحناف ، وصلاه الخاشعين هي ألا يتجاوز بصرك موضع سجودك من الأرض

والحقيقته ان اختلاف الناس في الصلاه في الأضرحه اختلاف مبني على الجهل وعدم الفهم للمقصود من كلمه «مساجد» في قول النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فلا اليهود ولا النصارى بنوا على قبور أنبائهم مساجد كالمساجد المعروفة عند المسلمين والتي يصلون فيها لله تبارك وتعالى ، وانما الذى فعلوه ولعنوا بسببه هو أنهم كانوا يسجدون لنفس القبر أو لمن هو مدفون في القبر أو للصور التي اتخذوها على صور أنبيائهم في معابدهم وهذا لم يفعله المسلمون في الأضرحة اطلاقا ، فاذن يكون معنى اتخاذ القبور مساجد في الحديث الشريف اتخاذها مواضع للسجود لها أو عليها أو الصلاة لها أو عليها كما قدمنا في أول البحث

فكلمة مسجد معناها الموضع الذى تقف عليه وتسجد عليه أو اليه فاذا كان هذا الموضع قبرا حرم الوقوف عليه والصلاة اليه واذا كان أرضا كالأرض التي حول الأضرحة لم يحرم الوقوف ولا الصلاة عليها لله تعالى فاذا عقلت كلمة مسجد بهذا المعنى سلمت من الوقوع في هذا الاختلاف وتبينت أنه لا معنى لاختلاف الناس في الصلاة في الأضرحة وظهر لك أن اختلافهم في ذلك اختلاف مبني على الجهل وعدم الفهم لكلمة « مساجد »

ى الحديث الشريف، أما اذا فهمت جهلا أن كلمه مسجد معناها المكان المتسع المحاط بأربعة حوائط فى كل جهة حائط فاعلم بانك لا تسلم من الوقوع فى هذا الاختلاف وتجد نفسك غارقا فى هذه البلبلة التى غرق فيهــا الناس دهورا طويلة بغير وجه حق وبدون ثمرة ولا نتيجة فهذا هو الذى يعنيه سيد المرسلين وقد حدد سيد المرسلين الأمكنة التى تحرم فيها الصلاة فى قبر الأنبياء تحديدا قاطعا بقوله فى احدى الروايات يصلون اليهــا أو عليها ، بعد أن قال عليه الصلاة والسلام «لعن الله اليهود والنصــارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد » قال بعد ذلك «يصلون اليها أوعليها» وبمقتضى هذا التحديد اذا لم تصل الى قبر أو على قبر فصل حيث شئت

والله الموفق

ترجمة المؤلف

هو « أحمد محمد حجاب » عبد الله وخادم القرآن وابن السيد البدوي روحيا

وهو « أحمد محمد حجاب » ابن السيد محمد الشريف بن السيد محمد الادريسي بن السيد أحمد الادريسي بن السيد عبد الوهاب التازي بن السيد عبد العزيز الدباغ « صاحب كتاب الابريز » ابن الخضر عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة

فليس بينه وبين حضرة الرسول الا ستة من شيوخه كما أنه ليس بينه وبين حضرته في نسبه الروحي الا « السيد أحمد البدوي »

وهو « أحمد محمد حجاب » بن محمد حجاب بن أحمد على حجاب نسبا ولد بقرية «ماحريب» تبع مديرية الدقهلية أولا والشرقية أخيرا في أوائل العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، وحفظ القرآن وجوده على طريقة « الميهي » ثم طريقة « الحزري » ثم حفظ جميع المتون والمصنفات الأزهرية التي تدرس في القسم الابتدائي والقسم الثانوي قبل انتسابه للعلم وفي العقد الأول من حياته ، ثم انتسب في طلب العلم بالجامع الأحمدي وسنه تسع سنوات ، ولما دخل النظام في الأزهر وملحقاته سنة ١٣٢٧ هجرية انتظم في سلكه في السنة الثانية « ابتدائي » ثم أخذ العالمية النظامية سنة ١٣٣٧ هجرية ولم يسقط قبل أخذها في امتحان رأسا ، وكان ترتيبه بين عموم طلبة المعاهد هو «السادس» في العالمية النظامية والرابع في الشهادة الثانوية ولم يتجاوز السابع في عموم سني النقل ، ولم يوظف في وظيفة حكومية ولا غير حكوميه طول حياته ، ولم ينقطع عن العلم يوما واحدا كذلك ، وتعرف بالمتصوفة في سن مبكرة ولازم حدودهم بقدر استطاعته ، ولم يبارز ربه قبل أن يعرفهم ولا بعد أن عرفهم بمعصية واحدة،

وأمره الآن معلق بقضاء الله الحكيم بعد اتصاله به ان شاء قبله وان شاء رده عن أعتابه ، وكانت اقامته موزعة بين المدن الثلاث « طنطا » مدة طلب العلم كله ، ثم بعد العالمية غادرها وأقام بالقاهرة ست سنوات ، ثم غادرها الى الاسكندرية وأقام بها أربعة عشر عاما ، ثم غادر الاسكندرية الى طنطا ثانيا فى أواخر العقد الخامس من حياته واستوطنها نهائيا ، ثم شرع فى كتابه هذا الكتاب سنة ١٣٧٨ هـ وأتمه فى بضعة أشهر راجيا به وجه الله الكريم ومريدا به الدفاع عن أحبابه ، وايقاف المعترض عند حده ، ورده الى صوابه

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يديم به النفع للمسلمين

كلمة المؤلف

أحمد الله ، وأصلي وأسلم على رسول الله

وبعد فان سيدي أحمد البدوي في غنى تام عن الاشادة بفضله ، والتعريف بذكره الصوفي ، وقيمته الروحية ، لأن الله تعالى قد وضع له في القلوب منزلة لاتبارى ، وأبقى له لسان صدق في الآخرين لايمحى فمن تحصيل الحاصل أن يحاول مثلي أن يرفع من شأن هذه المنزلة أو يعمل على تثبيت قواعدها وتشييد دعائمها في قلوب الناس ، وهذه الحالة قد لازمته في حياته ، ولم تفارقه بعد مماته ، فأينما حللت في أي بقعة من بقاع الدنيا وجدت فيها سيرته وأينما توجهت الى أي جهة من جهاتها سبقتك اليها شهرته ، ولاحقتك فيها ذكراه المجيدة ، وقد يرجع السبب في ذلك الى ما ورد في الحديث من أن الله اذا أحب عبدا نادى جبريل عليه السلام أن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض

فكان من العجيب حقا أن يظهر بين الناس من يتجاهل هذه المنزلة ويتغافل عما أجمعت عليه القلوب وتطابقت عليه الألسنة ، فيحاول أن ينقص من قدرها وأن يحط من شأنها بلا مبرر وبدون سند

كان ذلك هو السبب في انى أجمعت أمرى وتوكلت على الله في أن أكتب رسالة في تاريخ حياة السيد البدوي الدنيوية وفي حياته الروحية لا لأرفع من شأنه ولا لأشيد بفضله فانه كما قلنا في غنى عن كل ذلك ولكن لأضع الأمور في نصابها ، ولأوقظ الغافل ، وأنبه الجاهل ، وألفت نظره الى أن ما بناه الله ورفعه لايمكن أبدا نقضه ولا هدمه ، ولا يفيد عند أحد التقليل من شأنه

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأعيا قرنه الوعل

وربما كان الأبلغ والأوفق أن أسكت عن الرد على ماكتب هـذا المعترض فى السيد البدوى من هذيان واختلاق ، لأن الرد عليه يشد له سمعه الاعتبار ، ويثبت لكلامه صفة الاعتداد به ، والواقع أنه لااعتبار له عند أحد ، ولا اعتداد بكلامه — فى شأن البدوى — عند الناس ، وكل ماكتبه ونقله فى الطعن عليه هو هراء فى هراء ، وصرخة فى فضاء ، لاشبه له فى نظرى الا بطنين أجنحة الذباب فهل تراه يصير ، وهل تحس له من أثر ، وهل تسمع له ركزا ، نعم كان من الأبلغ ومن الأوفق أن أسكت عن الرد على هذا المعترض ولكنى آثرت العظة والذكرى بما كتبته فى حيـاة هذا البطل العظيم فان الذكرى تنفع المؤمنين ، فكتبت هذه الرسالة وأوضحت لهذا المعترض عدم سلامة عقيدته فى انكار الكرامات اطلاقا ، وزيغه عن طريق الصواب فى بعض معتقداته الفاسدة ، ووضعت يده على موضـع الخطأ فيها ، وبينت له الصواب وكشفت عن شىء من حياة البدوى الروحية وكيف يربى أولاده وهو فى هذه الحياة وأزحت الستار عن السر فى تزاحم ملايين البشر على زيارته ، وعن مدى علوم البدوى ومعارفه ومبلغ درجته العلمية والروحية ، وأعماله وآثاره فى شتى أطوار حيـاته وبعد ممـاته ، وأوضحت الكثير من كلماته التى لم تحل العـارها الى الآن لأبين لهـذا المعترض خطأه فى التقليل من شأن البـدوى مقلدا فى هذا الخطـأ دائرة المعارف للمستشرقين ، ثم تعرضت لطرف هام من رحلته الى العراق أعمله كل الكاتبين لخفاء عناصره ، يتعلق بقصة ست برى وأعوانها وماكان من سيدى أحمد معها ومع أعوانها ، وأوقفت المعترض على أخطائه فى وجـه الطعن فى النسب عند الكلام على النسب الشريف ، وكشفت للقارىء عن جميع ألقابه وما ترمى اليه من دلالة ، وكيف لقب بها عن جدارة كما بينت فوائده الثمانية التى تتعلق بطريقته وذكرت للعظة والاعتبار أيضا أكثر من عشرين كرامة لبعض الأقطاب الكبار شاهدتها بعينى ، ثم أتبعت ذلك «برسالة» واضحة تثبت بحق صحة التوسل بالأنبياء والمقربين أحياء أو أمواتا ، كما استطردت فى التعرض للموالد ومحاسنها ومثالبها والحكم لها أو عليها ، الى غير ذلك من الموضوعات التى تهم القارىء فى هذا الميدان الدينى الفسيح

ولا سيما فيما يتعلق بالله جل جلاله وما يتعلق بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرجو الله أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، كما أرجوه أن يجعل لي القبول في قلوب المؤمنين وأحبـــابه المخلصين ، وأن يجعلني من المقبولين عند حضرته والمشمولين برعايته وعنايته لا لأني أدفع الأذى عن أحبابه ، فإن دفع الأذى عنهـــم واجب على كل مسلم يؤمن بالله واليـــوم الآخر . ولكن لأني معترف بقصوري وتقصيري في هذا السبيل والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على أفضل المرسلين وامام العالمين ، وعلى آله الطاهرين وخلفائه الراشدين ، وأصحابه أجمعين

« أما بعد » فان الله تعالى جلت قدرته ، وتعالت حكمته ، اصطفى من عباده رجالا لحضرته، أقامهم فى خدمته ، وحققهم بأخلص عبوديته، ومتعهم بشرف محبته ، اصطفاهم لا ليلتفتوا الى غيره ، ولا ليشتغلوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا لتلهيهم الدنيا بزخرفها عن ذكره ، اصطفاهم ليكونوا له أبدا ، وليجعلوه نصب أعينهم سرمدا ، لا تفكير لهم الا فى الثناء عليه ، ولا اعداد لهم ، واذا قيل لهم كيف ذلك ؟ لا يسعهم الا أن يجيبوا بلا كيف ولا ويتكلمون وهم للحق يناجون، وينامون وهم عن ربهم لايغفلون، ويستيقظون وهم فى طلبه دائبون ، قلوبهم أبدية الحركة بذكره ، وجوارحهم معصومة عن معصيته ، وعيونهم أيضا تغلقت لاتقع الا على ما فيه زياده استبصار ، وبصائرهم مستضيئة بأقدس الأنوار يشاهدون بها عظمة جلال الله الواحد القهار ، الذى لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، قائما بنفسه مستويا على عرشه ، استواء مشهودا لهم ، ومعروفا عندهم ، وكما أشار القرآن لهم . واذا قيل لهم كيف ذلك لا يسعهم الا أن يجيبوا بلا كيف ولا انحصار ، أولئك هم الأبرار المقربون ، وحزب الله المفلحون ، لم ينالوا هذا الفضل من ربهم الا بصدق اتباعهم للشريعة المحمدية ، وصادق تمسكهم بالسنة السويه ، نالوه باعتصامهم بحبل الله المتين ، واستمساكهم بكتاب الله المبين ووقوفهم أبدا مع مارسمه الصادق الأمين، واحتطه لهم هديه المستقيم وكلما كان استمساكهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله على مستوى أعلى وطريق أرفع ، كلما كانت معارفهم الالهيه وفيوضاتهم الربانيه أعظم وأوسع، وكلما كانت أعمالهم أكثر انطباقا على تعاليم الشرع وأخلاقهم أشد اتصالا

بأخلاق القرآن كلما قرب وجه الشبه بينهم وبين حضرة الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ، ومن شدة التشابه فى الأعمال والتقارب فى الأخلاق قد يقوى وجه الشبه بينهم وبينه فتتجلى حقيقته فى حقيقتهم وتتحلى روحانيتهم بروحانيته ، وأحيانا تبدو روحانيتهم وشعارها المنطبع معها فى حضرتها صورة قدمه الشريف ايذانا بأنهم على قدم وسره سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — ومن هنا تفاوتت أقدار الرجال وتفاضلت علومهم ومعارفهم وتنوعت مشاربهم وتباينت قواهم الروحية ، وتباينت قدرهم المعنوية فكان منهم الأثبت قدما والأوسع علما ومعرفة ، والأعلى مشربا والأقوى روحا ، والأقدر على فعل ما تعجز عنه القوى والقدر ، وكان فيهم القريب من ذلك ومنهم الأشد قربا ، وكان ممن نال قصب السبق فى هذا الميدان الفسيح الأرجاء ، وبلغ الذروة العليا فى هذه الفضائل الروحية ذلك الامام العلوى والسند الشريف النبوى سيدى وأستاذى (السيد أحمد البدوى) الذى يعد بحق فخر الأمة المحمدية ، والباب المفتوح للحضرة المصطفوية والوارث الجامع للعلوم الربانية ، والمربى الأول فى حياته البرزخية والمثل الأعلى فى مراعاة آداب الربوبية ، والامام المشار فى الولاية الصديقية ، والعبقرى الفذ الذى لم أر مثله ثباتا فى قدم ، واتساعا فى معرفة ، وعلوا فى مشرب وقوة فى روح وقدرة على فعل الأعاجيب التى يعجز العقل عن تصويرها ، والفهم عن تقديرها فى سماحة وظرف وهمة وشجاعة منقطعة النظير ، ولما كان من سنة الله فى خلقه أن علماء الرجال وكبار الأبطال لابد أن يعترضهم فى سبيلهم كثيرا من المؤامرات ، وينتشر فى طريقهم سيل من العثرات ، هذا يناصبهم العداء وهذا يزدريهم ، وهذا يستهزىء بهم ، وهذا يحط من قدرهم ، وكان سيدى أحمد بعظمته الروحية ومكانته الشخصية محلا لجريان تلك الألسنة عليه — آثرت أن ألقم المعترضين عليه حجرا يقف فى حلاقيمهم وأشهر فى وجوههم سيفا مسلولا أدرأ به — فى نحورهم بما ثبت من فضائله وأوضح من شمائله فقلت مستعينا بالله متذرعا بعظمته

مقدمة

فى تربيته البرزخية

اختص الله سيدى أحمد الدوى بهذه الخصائل الروحيه لا ليحترها فى نفسه ، ولا ليحلى بها روحه ولا ليحلى بمراياها شخصيته بل ليمع الله بها على يديه العباد ، وليثها فى الناس نشا كلما وجد لها حملة ورحالا كملة ، أمناء صادقين ، وعلماء ربانيين يحفظون ميثاقه ويحافظون على طريقته ، وهو رضى الله عنه يربيهم على مقتضاها وله فى كل عصر طبقة يرعاها ويتساها ، سنة حملها الله له ومزيه اختصه الله بها ولن تجد لسنة الله تبديلا — والمزية تقتضى أفضلية نسبية ولا سيما اذا كانت تلك المزية من نوع رفيع ممتاز خارق لما عليه القدر ، وفوق ما تنتجه القـوى ، وكيف لاتقتضى أفضـلية لروح جعل الله فى استطاعتها أن تقوم بعد موتها بنفس الوظيفة التى كانت عليها فى حياتها — تربى أولادها وترعاهم وترشدهم وتنبههم من غفلتهم وتأمرهم وتحذرهم وتلقنهم مايناسبهم من أنواع الذكر ، وتعلمهم آداب صلاتهم وواجبات قيامهم ومقادير أعمالهم ، وتوجههم الى مايسعى أن تقع عليه الطاعة ، ويكون عليه القلب فى الحضرة التى عرفتهم بها ، وأشهدتهم اياها

وكل هذه الارشادات يحصل العلم بها لهؤلاء الأمـاء الصادقين اما بطريق العبارة أو بطريق دلالة الاشـاره أو دلالة المفهـوم أو غير ذلك من أنواع الدلالات المعروفة على حسب ما يستدعيه المقام ، بل وغير ذلك من أنواع الدلالات الأخرى كطريقة رسم المسائل لهؤلاء الأمـاء أو تمثيلهـا بالرسوم أو التمثيلات التى تدل عليهـا ، فيفهمون من هذه الرسـوم أو التمثيلات ما ترمى اليـه وتدل عليه ، ومن هنا لابد أن تكون الفطـانة من صـفاتهم ، وحدة الذكاء من مميزاتهم ، وهذه الرسـوم والتمثيـلات ليس لها صحيفة الا سطح الأرض أو سطوح الأجسـام وكل ما يقع عليه

البصر أيا كان ، يتبلور دالا عليها كمعبر عنها ، وقد يكون الارشاد بغيرهذا وذاك كطريقه القرع أو ما يشبه القرع كالنقر والغمز لكن لا بالمقرعه ولا بما يشبه المقرعة ، وليست هذه المرتبة فى تربيته البرزخيه مجرد دعوى يدعيها مدع وانما هى دعوى ثابتة بكل ما تثبت به الدعاوى الحقة يشــهد بهــا المبصر ويشاهدها ذوو البصائر النيرة الذين أفاض الله على أصحابها نورا من أنواره القدسية جعل مستقره حاسة الأبصار أيضا يرى بواسـطة هذا النور المحسوسات العاديه وغير العادية ، سواء أغمض العينين أو لم يغمضها كما يرى النائم بغير العينين كل ما يعرض له قريبا أو بعيدا حيا أو ميتــا وهو لم يفتحهما كل أرباب البصائر فى سائر العصور يشاهدون ذلك وكل أرباب الفضل من أهل العلم يشهدون بذلك قال الأســتاذ الشعرانى وممن نلقنا أنه يربى أولاده وهو فى البرزخ سيدى أحمد البدوى لكن ذلك خاص بمريده الصادق كسيدى محمد الشناوى فانى زرت معه سيدى أحمد فشاوره الشيخ فى سفره الى مصر ، فقال له سيدى أحمد « سافر وتوكل على الله » ، هذا كلام سمعته بأذنى الظاهرة ، وليس قول الأستاذ الشعرانى أن سيدى أحمد يربى أولاده وهو فى البرزخ ، وقوله انه سمع كلامه بأذنه الظاهرة يصرح لتلميذ بالسفر الى القاهرة الا شــهادة واحــدة من آلاف الشهادات التى تقع للفرد الواحد من طبقه واحدة فى عصر واحد ممن تولى سيدى أحمد تربيتهم بنفسه، ولو أبيح أو أبيح لتلك الطبقات المكاثرةالمنبثه فى القرون السبعه المتقدمة أن يفحصوا عما سمعوا عنه ويشهدوا بما علموا منه وتلقوا عنه لضاقت عن سردها الموسوعات، ولاكتظت بصحائفها المدونات، لأن الحالة فى التربية الروحية تتطلب كل ما تتطلبه التربية الظاهرية من أخذ ورد ونصح وتوجيه ، بل ان التربية الروحية أوسع مدى وأعمق غورا لأنها كما تقوم على محاسبة المربى لتلميذه على أعمال الجوارح الظاهرة وأعماله الباطنة تقوم أيضا على المحاسبة على الخــواطر النفسـية التى تتوارد على النفس فتصرفها عن مراقبة واستحضار مقصودها وهو الحق تبارك وتعالى ، حتى لو فرض وأوقع مثلا سجوده كاملا بطمأنينة وتسـبيحاته بدون أن يـنحصر فى نفسه جلال وجه ربه تبارك وتعالى كأنه يراه ، لقرعت رأســه أثناء سجوده بما يكاد يذهله تنبيها على ذلك الخطأ الفاحش الأثيم ، وليس

هدا النوع من التربية التى امار بها سيدى أحمد بدعا فى الاسلام ، فمديما ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أويسا القرنى تربية روحيه ولم يتلاقيا وهى معروفه فى لسان القوم بالتربيه الأويسية نسبة الى أويس القرنى رضى الله عنه ، وطريقته فى تربيته الروحيه هى نفسها طريقه التى كان يتبعها فى حياته الدنيوية متمشيه مع نصوص القرآن ، وأحكام القرآن لايمكن أن ينصرف عن ذلك أو يحيد ومما لفت نظرى الى أن عنايته منصرفه الى القرآن والعمل بنصوصه ما لمسته منه فى واقعه حال صادفنى فى الحياة وذلك أنه اعترضتنى فى الحياه مسألة صادفت نفسى بها وعجزت تماما عن حلها ، وكان لهذه المسألة قصه طريفة استغرقت وقائعها أكثر من أربعين عاما ، وتتلخص هذه الوقائع فى أنى قضيت نصف هذه المدة تقريبا فى تلاوة أدعيه وأذكار خاصة معروفة عند القوم وقضيت النصف الآخر من هذه المده فى تلاوه القرآن الكريم كوسيله الى زيادة التقرب الى الله تعالى ، وكان لذلك الذكر وهذه التلاوه آثارهما ونتائجهما المترتبة عليهما، غير أنى عندما حاولت أن أسير على مقتضى النتيجتين ، فوجئت بأن نظام السلوك يقضى بأن يكون السير اما على مقتضى النتيجة الأولى ، واما على مقتضى النتيجة الثانية لأن القلب لايتسع الا لنتيجة واحده فلا بد للنتيجتين معا من رجل يحمل قلبين ، أو رجل يحمل قلبا واحدا صنعته قدرة تجمع بين الثلج والنار فى اناء واحد ، كانت هذه أقسى مفاجأة عرفتها فى حياتى لأن كلا من النتيجتين بذلت فى سبيلها الكثير من جهدى وطاقتى ولأن كل واحده منهما تبذل فى سبيلها الروح نفسها ، تنازعتنى بعد ذلك الآراء وتجاذبتنى الأهواء فوقفت فى مفترق الطرق ، وأنا لا أملك أن أختار ، ولا أن أنحرف ذات اليمين أو ذات اليسار ، أسائل نفسى هل سطور فلبى الى مخلوق يجمع بين الثلج والنار، وهنا أسمع سيدىأحمد البدوى يقول « القرآن القرآن » ردد هذا اللفظ مرارا وتكرارا ، لماذا ينادى هذا النداء ويؤكد هذا التأكيد ؟ لأن القرآن مستمسكه ، ولأنه قدوته وعمدته ، ولأنه كان يعلن فى حياته الدنيوية أن طريقته تدور على الكتاب والسنة وهو كذلك فى حياته الروحية لايتحول عن ذلك ولايحيد وقد بلغ من اعتصامه بكتاب الله أن حمل حزبه الكبير مجموعة آيات محكمات افتتحها بأم القرآن ، وأتبعها

تجميع آيات التوحيد الخالص التي ذكرت في القرآن في بضع وثلاثين آيه والتي تشهد بأن لا اله الا الله

السبب في كتابة هذه الرسالة

بينما أنا سائر في الطريق حول المسجد الأحمدي اذ وقع نظري على كتاب عند بعض باعه الصحف عنوانه « السيد البدوى » فتناولت هذا هذا الكتاب ومررت مرورا سريعا على بعض محتوياته، ففاجأتني عبارات خارجه عن الأصول المرعيه في ألسنة الكتاب ، ومن هذه العبارات قول حضره الكاتب ويدعى « محمود أبو ريه »

السيد البدوى ليس سيد وليس في الاسلام ساده دينيه لأحد ولا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه هكذا يسخر هذا الكاتب بالبدوى عماد بيت السوه ، وعلى رأسه امام العالمين صلى اللهعليهوسلم ، ويجاهل أقدار الرجال الذين أنقذونا من الشرك وعباده الأصنام ، وأدخلونا في الاسلام ويسوقونا الى معرفة ربهم سوقا فحاول أن يجردهم من ثياب الشرف والسيادة التي ألبسهم الله اياها واختصهم بها وينسى مع ذلك شكر نعمه الله التي غمرته من فيض هذا النسب الكريم ، ثم سرت في قراءتي قليلا ، فاذا هو يروىأحاديثالعامة يسوقها كأنها براهينقاطعة وأدلهساطعه، ويرتبعليها نتائج خرساء عمياء باطلة أساسها تلكالأدلة الخرافيه التي استقاها منأفواه العوام وعابديها التهجين والتهوين من شأن سيدىأحمد البدوى، بهذا المرور السريع لم أسس عمده هذا الكاتب المستهتر ، كما انى لم أسمع من قبل باسمه الذى كتبه مسورا عن أى تعريف ، فأخذت أبحث عن السبب في هذا التجنى الأثيم الذى شعرت منه بأن هناك عداوه ميته بين هذا الكاتبوبين سيدى أحمد البدوى ، أو ثأرا قديما أورث في نفسه حقدا دفينا أكل قلبه فأخرجه عن صوابه ، فقلبت الكتاب من أوله فاذا هو يستهله بالعقيده التي محتها الأنفس ونبذها العقلاء وأهملوها في حملة المهملات ، عقيدة انكاركرامات الأولياء ، وانكار ما أجمع عليه السلف والخلففي الاسلام، وشهد به سواد الأمة وشاهدوه ودونوه وأثبته القرآن في أكثر من موضع ،

-- اد يقول حصره الكاتب ، ان الله لايحرق العادة لأحد من حلقه الا لاظهار معجره على يد أحد من رسله ، وبعد أن وقف على هده العقيدة الصاله تأملت قليلا فيما كتبه فادا هو يتبعها بعقيدة أحرى أدهى وأصل ، عقيده التحلل من الأحكام الدينية والتحلي عن الشرائع الالهية ، اد يقول حصرته ان الله قد جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها بعقولهم وتفكيرهم وادراكهم وكسبهم وليتعاونوا بعضهم مع بعض على ما يقضى به الاجماع البشرى من الأسباب العامة بينهم على أن يكون دلك كله في نطاق من العدل والحرية والمساواة وما اليها مما يحفظ النظام العام بينهم ثم يقول حصرته بعد دلك هدا هو الدين القويم الذى بينه محمد في رسالته بيانا صريحا بحديث صحيح أرشد به الناس أجمعين ليسيروا على منهاجه في كل زمان ومكان ، فقال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمور دنياكم ثم يقول حصرته ومن ينحرف عن هذا الطريق المستقيم فانه ولا ريب يضل ضلالا بعيدا انتهى كلامه ، وكان على حصرته أن يستر عن الناس عقائده الضالة فلا يجاهر بها في مستهل كتابه ليوهم الناس أن ما اختلقه من أباطيل في السيد البدوى ليس من زرع هذا الوادى ولا من نباته الخبيث ، ولكنه قد فاته حسن التدبير وجانبه العقل وخدله التفكير ، فما تقول أيها القارىء في مسلم يدعى على الله افكا وزورا انه قد جعل أمر الدنيا للناس وأطلقهم فيها اطلاقا يعملون ما يشاءون على أن يكون أساس أعمالهم على حسب ما تقضى به عقولهم ويوحى به تفكيرهم ويتعاونون كما يشاءون على أن يكون أساس تعاونهم على حسب الأسباب العامة التى يقضى بها المجتمع ، يعنى أنهم يعملون ويتعاونون بلا ضابط من شرع ولا رابط من دين ، ويدعى على رسوله كذبا أنه قد بين دلك بيانا صريحا بحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ويتمم فريته ويقول الله عليه الصلاة والسلام أرشد الناس بهـذا الحديث ليسيروا على منهاجه في كل زمان وفي كل مكان

ويختتم فريتـه بأسوأ ختام فيقول ان هدا هو الدين القويم ومن ينحرف عن دلك فقد ضل ضلالا بعيدا ، هل مر عليك في تاريخ الاسلام من أول نشأته الى تاريخ هدا الكاتب في السيد البدوى أن مسلما واحدا لا أقول عالما ولا متعلما بل أقول مسلما ولو أميا اعتدى على رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقال انه أرشد الناس بحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ليرسم لهم طريقة جديدة في التشريع الاسلامي، يسيرون على منهاجها في كل زمان ومكان على حسب ميولهم وأهوائهم غير الطريقة التي شرعها الله له من قبل، وسار على منهاجها في صدر الاسلام ، ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك بابا من أبواب التشريع الاسلامي سواء ما كان منه متعلقا بشئون الدنيا أو بشئون الآخرة الا وله فيه حكم شرعي مأخوذ من حديث له عليه الصلاة والسلام ، فكيف يتصور أن ينقض ما بناه ويرجع عما أمره الله ، وكيف يتصور أن يتراجع أمام أصحابه وغير أصحابه ويعدل عن رسالته في التشريع لأنهم أعلم منه وكيف يبيح لهم أن يكونوا طلقاء أحرارا في مزارعتهم ومحاربتهم ومساقاتهم وعقود شركاتهم وتعاملهم بالربا وعقود الاجارات ورهن العقارات وهو نفسه لم يترك بابا واحدا من أبوابها الا وقد بين لهم فيه حكما وشرع لهم فيه شرعا ان لم يعرف معنى الفوضى العقلية في فهم العقائد الدينية فليقرأها في كلام هذا الكاتب — واني لأعجب كيف يفتري على الله ورسوله معا في دعوى ودليلها ، يفترى على الله في الدعوى، ويفتري على رسوله في الدليل ، يفتري على الله في دعوى أنه قد جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها على ما تقضي به عقولهم وبدون أن يتقيدوا بأحكامه وشرائعه ، ويفتري على رسوله في أنه قد ساق حديث أنتم أعلم بأمر دنياكم لسان هذه الدعوى المفتراه ، أي لبيان أنهم لايسيرون في أمر دنياهم الا وراء عقولهم ومايوحي به تفكيرهم ، وبدون أن يرجعوا الى أحكام الله وشرائع الله لأنهم أعلم بأمور دنياهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ان هذا الكاتب لاعذر له في افترائه على الله ورسوله وانما هو يتعمد أن يتلاعب بالأحكام الشرعية والشرائع السماوية ، ويحاول أن يسير فيها على حسب ميوله المنحرفة ونزعاته الضالة ، قاطعا النظر عن كل ما استنبطه الأئمة من أحكام واستخرجه العلماء الراسخون من تشريع ثم يقول عن هذا التلاعب انه هو الدين القويم الذي بينه محمد في رسالته بيانا صريحا بحديث أنتم أعلم بأمر دنياكم واني لأبين له الوضع الصحيح لوقائع هذا الحديث فلعله يثوب الى رشده

ويرجع عن عنه ويعترف بالظن ويخرط في سلك القائسين على نصوا
ان وقائع هذا الحديث تنحصر في أن النبي صلى الله عليه وسلم مر في
طريقه بالمدينة على قوم يؤبرون نخلهم « يلقحونه » فقال ما أظن يغني ذلك
شيئا ، فهل قوله عليه الصلاة والسلام هذا اخبار منه بأن التلقيح لا يفيد
كاخباراته التي كان يسوقها في تعليم أصحابه كل ما يحتاجون اليه في
شئونهم الدنيوية والأخروية أو هو ظن منه مقول بلفظ الظن حيث قال لهم
ما أظن يغني ذلك شيئا ، فاذا كان ظنا ، فان جاء الواقع موافقا لما ظنه
فالأمر ظاهر وان لم يجيء الواقع موافقا لما ظنه لم يخرج عن كونه ظنا
لم يتحقق

ولما تركوا النخل بدون تلقيح وخرج شيصا سألوه عليه الصلاة
والسلام عن ذلك فبين لهم الحقيقة وقال انما كان ظنا مني وليس اخبارا عن
الله وهنا اختلفت روايات مسلم الذي انفرد عن باقي الكتب الستة
الصحيحة برواية هذا الحديث ، اختلفت رواياته فيما قاله لهم عليه الصلاة
والسلام ففي روايته له أنه قال لهم أنتم أعلم بأمر دنياكم وهنا يجب أن نقف
قليلا لنفهم ما يعنيه الرسول عليه الصلاة والسلام من ذكر هذه الجملة لهم
— هل يفهم منها أن هؤلاء المؤبرين للنخل أعلم منه في خصوص هذا
الأمر الذي ظنه وظهر خلافه أو أعلم منه في كل ما أخبرهم به من أمور
الدنيا التي ذكر فيها عشرات الآلاف من أحاديثه النبوية ،
وعشرات الآلاف من الأحكام الشرعية التي انعقدت لها أبواب
المعاملات في الفقه الاسلامي — يسيء الى نفسه ويسيء الى الحقيقة
ويسيء الى الرسول ويرمي نفسه بالغوص العملية في فهم العقائد الدينية
من يفهم أن الرسول يريد أن هؤلاء المؤبرين للنخيل أعلم من الرسول في
كل شيء من أمور الدنيا ، وكيف يفهم هذا المعترض ذلك الفهم وأمام عينيه
عشرات الآلاف من القرائن الصارفة عن ارادة هذا المعنى — واذا ثبت أنه
عليه الصلاة والسلام يريد أنهم أعلم فيما ظنه وظهر خلافه فهل يسوغ
لعاقل أن يأخذ قوله عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم فيما ظننته وظهر خلافه
ويجعله دليلا على أن الله جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها بعقولهم
وأهوائهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤبرين للنخيل أنتم أعلم فيما

طبسه وطهر حلاقه ، اذا كان يسوغ ذلك فى بطر هذا الكاتب فهولوا على العلم والاسلام السلام ، ولعمر الحق أن حديث «أنتم أعلم بأمر دنياكم» فى نظرى أكبر سند وأقوى برهان على أن هذا القرآن من عند الله وأوضح دليل على صدق الرسول وأنه لا ينطق عن الهوى لأنه لو كان القرآن من عند غير الله أى من عند النبى لما حجب عنه مسأله تأبير النخيل المعروفه لكل أحد فحفاء هذه المسألة عليه دليل واضح على أن القرآن من عند الله لا من عند نفسه فان من عنده علوم القرآن التى لا نهاية لها لايمكن لها أن تخفى عليه مسألة واضحه كهذه ، فهو الزام للخصم بأقوى حجة وأوضح برهان وكأن الله تبارك وتعالى لم يبين لرسوله ما طبه وطهر حلاقه لأنه كان طبا منه وليس اخبارا فلهذا لم يبين له حقيقه الأمر ولم ينبه له أيضا ليلزم خصومه بهذا الالزام الواضح المحسوس فان من تخفى عليه مسألة تأبير النحل لايمكن أن تكون علوم القرآن منشئه منه

السيادة الدينية فى الاسلام

علمت أن هذا المعترض يذهب الى أنه ليس فى الاسلام سياده دينيه لأحد ولا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه وانما ظهرت هذه السياده كما يقول حضرته فى العصور المتأخره ونحن لانقول له ان السيادة الدينية أثبتها القرآن فى نفسه ونادت بها الملائكه «يازكريا ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله « وسيدا » وحصورا ونبيا من الصالحين » ، ولا نقول ان السياده الدينيه أثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه تحدثا بنعمه الله تعالى فقال أنا سيد ولد آدم ولافخر ، ولانقول له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال للانصار قوموا لسيدكم ، ولا نقول له ان الامام الشافعى رضى الله عنه ينادى هو وأصحابه وكل طبقات الشافعية ينادون فى صلاتهم من القرن الثانى الى يومنا هذا فى المساجد والبيوت وكل بقاع الدنيا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ولا نقول له ان لفظ السيد اذ ذكر بين الرؤساء والعلماء والكبراء وأرباب الرأى والمثقفين والشيوخ والشبان والنساء والأطفال لا ينصرف هذا اللفظ الا الى السيد النبوى ويكفى فى السياده الدينية له هذا الاجماع فكل هذه الطوائف

لا يجتمعون على خطأ ، لانقول له كل هذا لنقنعه أن السيادة الدينية ثابتة فى الاسلام وأولى بها وأحق رسول الاسلام ، وثابتة أيضا للسيد أحمد البدوى باجماع الرأى العام لا نقول له كل ذلك لنقنعه وانما نقول له اذا كنت لا تبالى بخروجك على الرأى العام ولا تستحى من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجردا عن السيادة والشرف فاصنع ما شئت

حكم منكر الكرامه .

يرى هذا الكاتب أن الكرامات شعوذات وأباطيل والعلم الحديث يفرمنها والعقل ينقضها ولا يصدقها فهو ينفى ظهور الخوارق مطلقا على يد أحد غير الرسل ، ويخالف ما أجمع عليه السلف والخلف وشهد به سواد الأمة بعد أن شاهدوه وأثبتوه وتناقلوه ودونوه فيما يعجز عن حمله ونحن نقول له ان الكرامة أثبتها القرآن نفسه فى محكم آياته ، وقد أجمع العلماء على أن من ينكر القرآن أو شيئا من آياته المحكمه أو المتشابهة أو حكما دلت عليه آية محكمة فهو كافر — وثبوت الكرامة دلت عليه آيات محكمات فى أكثر من موضع من القرآن فى قصة آصف ومريم وأصحاب الكهف وغيرهم فأخذت حكما ثابتا يجرى على قياس منطقى صحيح المقدمات مسلم النتيجة وهو أن الكرامه ثابتة بنصوص القرآن المحكمة وكل ما هو ثابت بنصوص القرآن المحكمة يكفر منكره ، فكيف يقول المعترض بعد هذا أن الكرامات شعوذات وأباطيل والعلم الصحيح يفر منها والعقل ينقضها ولا يصدقها وكيف يقول فى مستهل كتابه ان الله لا يخرق العادة لأحد من خلقه الا لاظهار معجزه على يد أحد من رسله

فشل المعترض فى حججه الواهيه :

علمت المهاوى التى سقط فيها المعترض واطلعت على عقائده الفاسده التى تقوده من مماطله وتدفعه الى أسوأ مصير — فرأيت هذه العقائد فى صفحتين من أول كتابه ثم قرأت صفحة ثالثه ورابعة وخامسه فاذا هى صفحات سوداء جرداء سودها بالجهل قلمه وجردها عن الآداب الانسانية عدم

الخيلاء عنده — أحد يجمع فيها من الخرافات كل ساقطة ويحشو فيها من كلمات العجائز كل شائنه ويرويها للناس كأنها مقاطع اليقين ليتخذمنهاسلما للطعن وبابا للقدح فى أبطالالاسلام وعباقرة المسلمين — ومالسيدالبدوى ولعجوز شمطاء فهمت بجهلهاأوقالت علىحسب طبها — أنزيارةسيدىأحمد البدوى سبع مرات تعدل حجة مقبولة أو تعدل سبع حجات متقبلات — وما له رضى الله عنه ولكذاب وضاع افترى على الله قوله « الملك ملكى وصرفت فيه أحمد البدوى » وقال عنه أنه حديث قدسى — فهل يليق برجل عاقل أن يتصيد هذا الكلام وأمثاله من أفواه العجائز وأقوال الوضاعين ويجعل منه أداة للطعن فى قادة المسلمين وسندا يحاجج به ويحاول أن يحط بسببه من هذه العظمة التى أرسى الله قواعدها وأقام دعائمهـا وباركهـا حتى عمت الخافقين — ان رجلا لا يملك دليلا واحدا يستند اليه فى طعنه لا يعدو أن يكونجاهلا أو معتوها ومثلهذاجدير بأنيهمل أمرهويسد قولهويرمى به فى زوايا المهملات ، وانى لأعجب كيف يتلقى هذه الخرافات بالقبول ويجعلها سندا له وهو فى الوقت نفسه لا يتلقى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبول حتى ولو ثبت فى الكتب الستة الصحيحة — ان الرجل العاقل اذا سمع طفلا يسب رجلا سأله لماذا تسبه فاذا ذكر له سببا معقولا عذره واذا لم يذكر له سببا معقولا مقته ولعنه وها نحن أولاء نسمع سبا وهذيانا فنسأل لماذا كل هذا ونبحث عن السبب فلا نجد سببا فلا يسعنا الا أن نمقت ونلعن من يسب الناس عدوا بغير دليل

السر فى ان ملايين البشر تتزاحم على زيارة سيدى احمد البدوى :

ان هذا المعترض لو علم البواعث الحقيقية على ارتباط القلوب بسيدى أحمد ، والأسباب التى تحمل الناس على اعتقادهم فيه لأراح واستراح ، فليعلم أن هذه البواعث ليست من عمل الناس ولا هى من قوة نفوذ سيدى أحمد ولا من عمل يده ولا هى نتيجة ظاهرة أو مستترة استطاعت أن تجمع ملايين البشر على حبه واعتقاده على رغم تفرقهم فى أنحاء الدنيا وأرجاء

المعموره ولكنها آثار أنوار الذات المقدسه التى املأ بها قلب هذا الولى الكبير وامترجت بها روحه وانسجت فيها هويته فأنوار معرفه الحق اذا قذفه الله بها فى قلب ولى امتحت لهذا الولى القلوب اليسيره ، وأجمعت على محبته واحترامه الا من طرد ربك وهرعت اليه وأقبلت بكليتها عليه حبيبا من نور ايمانها الى نور أقوى اضاءه وأقرب الى أصله فهو تواصل فطرى وتجاذب روحى عبر عنه الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير بقوله «ان نور معرفة الله مخدوم فى أى قلب حضر صار ذلك الانسان مخدوما» وقال الامام أيضا « ان الكمال محبوب لذاته لالغيره وكل من اتصف بصفه الكمال صار محبوبا لكل أحد » ثم قال «ولا كمال للعبد أشرف وأعلى من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله ، مستغرق اللسان بذكر الله ، مستغرق الجوارح والأعضاء بعبوديه ، فاذا ظهر على العبد أمر من هذا الباب صارت الألسنة جارية بمدحه والقلوب مجبوله على حبه ، وكلما كانت هذه الصفات أكثر كلما كانت هذه المحبه أكثر » وانتهى كلامه ، وجميع المؤرخين وكل الناس أجمعوا على أن سيدى أحمد البدوى قد قضى حياته الطويله منذ نعومه أظفاره الى آخر لحظة من حياته مستغرق القلب بمعرفة الله مستغرق الجوارح بعبوديه يعرف من موارد أنوار الذات ويقتبس من معينها ويستمد من فيوضاتها لاينثنى عن ذلك ولا يحيد فمشاهداته كانت دائمية وجمعيته بالحق كانت أبديه كما يشهد بذلك ملازمته للسطوح ومداومه الأحداق ببصره نحو السماء وملازمته للثامين، فكان يلازم السطوح السنين العديده لا ليستنشق الهواء ولكن فرارا من الخلطاء لئلا تحجب الأغيار صفاء الأنوار عن شغاف بصيرته ، وكان يحدق ببصره نحو السماء لا لينظر فى النجوم ولكن لمطالع تجليات الحق وينابع أنوار الذات ومن كثره هذه المطالعة انطبعت على محياه هذه الأنوار وتركت أثرا ظاهرا يقرؤه كل واحد ، فكان يستر وجهه باللثامين ليحجب عن الأعين آثار تلك الأنوار وهذا أمر معروف عند أهل هذه المشاهد ومشاهد لهم ، ونحن نشاهد مثله فى بعض المعادن اذا أديب من المصباح فانها على حجريتها تتلألأ فى الظلام ، وبهذا يظهر مدحه وبداؤه بأبى اللثامين وكأن لثاما واحدا كان ينم عنه فلهذا الزم اللثامين زيادة فى الاحتجاب عن أعين الناظرين .

من أجل ذلك توافدت ملايين البشر لزيارته مما لا تشهد مثله في أي بقعة من بقاع العالم ولاسيما في موالده وليحمرهم ذلك على انتهاج سيرته والأخذ بسادئه في الطاعه وسلوك سبيله في المعرفه — وليشهدوا للاسلام بالصحه ولرسول الاسلام بالصدق — وليعرفوا كيف خرج الاسلام أبطالا ربانيين وعلماء محمديين ، وما ثمره الديانات اذا لم تثمر مثل هذا الثمر وتنتج مثل هذا الانتاج ، ومن أجل ذلك ألقوا في صندوق نذره مالم يلق عشر معشاره في أي صندوق آخر من صناديق النذور ، ومن أجل ذلك وقفوا عليه من الضياع والعقار ما لم يوقف مثله أو بعضه على غيره — ومن أجـل ذلك قدموا له الهدايا واختصوا بها فقراءه والمساكين من حوله ، ومن اختصهم الله بالبلاء والعجز والعمى والمصائب التي عافاك الله منها أيها المعترض ولو شاء لأمسك لسانك عن الطعن في أصحابه وأطلقه بالثنـاء والحمد على من تستدر الرحمات بركتهم من أصحابه المقربين — وما كان لهذا المعترض أن يزج بنفسه في التكلم عن شخصية البدوي وهو لا يعرف عنها الا مثل ما يعرف الأكمه الذي ولد أعمى عن قرص الشمس اذا وصف له بأنه جسم مستدير كالرغيف ، فخيل الى هذا الأكمه أن الشمس جسم مثل يمكن تناوله بسهولة وهضمه بسهولة فأخذ ذلك الأعمى يهذي ويقول اسمعوا أيها الناس لا تصدقوا أن الشمس جسم نوراني ما دامت جسـما مسـتديرا كالرغيف ، ان هذا الضوء الذي تزعمون أنه منبعث منها خيالات وأوهام انها لاتنير لكم الطريق ولا تهديكم السبل ، انهـا تضـللكم ولا تنفعكم اسمعوا أنا الـدر العريان انكم ان اعتقدتم أن فيها أي فائدة أو صدقتكم أن فيها أي منفعة فسيوقعكم هذا الاعتقاد في عبادتها من دون الله ، وسيجركم ذلك الى الاشراك لا محالة ، فاستمتاعكم بأشعتها اشراك ، واعترافكم لها بأي فائدة اشراك ، وطلبكم لأي منفعة من منافعها اشراك وما هي الا جسم مستدير كالرغيف اسـمعوا فأنا الأعمى الموحـد وأنتم يا ذوي الأبصـار والبصائر جميعا مشركون — وليس أدل على عدم معرفته بالأولياء ممـا كتبه هو نفسه في كتابه (السيد البدوي) وهو أنه أراد أن يعرف ولي الله فعقد لذلك فصلا من فصوله العجيبه عنوانه بالحروف العريضة « من هو الولي» ثم افتتحه بما يأتي قال تعالى «أم اتخذوا من دون الله أولياء

فالله هو الولى » ثم احسمه بقوله وبحتم قولنا بقوله تعالى « ان وليي الله الذى نزل الكتاب »

وانى لأعجب من خلط هذا المعترض الذى يخلط بين أوليـاء الله وأولياء الناس ، ولا يعرف الفرق بين ولى الله وولى الناس ، فيـذكر فى تعريف ولى الله ولى النـاس ولا يميز الفرق بين الوليين — والفرق بين الوليين أن ولى الناس هو الله ورسـوله والمؤمنون وليس لمن حالفهم فى دينهم عليهم ولاية أمامهم فبعضهم أولياء بعض قال تعالى «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ولا يذكر ولى النـاس فى القرآن الا مضـافا للناس نحو قوله تعالى «ان وليي الله» فأضاف ولايته عليه الصلاة والسلام الى نفسه ونحو قوله (انما وليكم الله) فأضاف تبارك وتعالى ولايته الى عباده المؤمنين ، وقد يذكر ولى الناس غير مضاف للناس — ولكن المعنى على الاضافة للناس نحو مالهم من دونه من ولى أى ولى لهم — أما ولى الله فلا يذكر فى القرآن الا مضافا لله نحو «ألا ان أولياء الله» — اذا علمت ما تقدم فاعلم أن هذا المعترض قد خلط بين ولى الله وولى النـاس فذكر فى تعريف ولى الله وقوله «ان وليي الله» ، وقوله فالله هو الولى مع أن قوله (فالله هو الولى) وقوله « ان وليي الله » فى بيان ولى الناس لا فى بيان ولى الله فكيف يحمل هذا فى تعريف ذاك — فحصره المعترض يعرف ولى الله بما ينافيه ويغايره — ولعل هذا من العـلم الحـديث الذى ينكر من الكرامات وينفيها ولا يصدقها — واذا كان حكم على البدوى بأنه درويش ضئيل الشخصية فانى أترك للقارىء أن يحكم على شخصية هذا المعترض من الناحية الدينية والعملية والعلمية والأدبية بما سمعه من عقائده وفهمه من علمه الحديث أما أنا فأدعو الله أن يحفظ عليه الايمان والعقل ويبصره بالعلم ويمسك لسانه عن السخرية بآل بيت رسول الله الطاهرين وعلى رأسهم امام العالمين

شخصية السيد البدوى

تعرف شخصية الرجل بقوة عزيمته ، واعتزازه بنفسه وتفانيه فى التمسك بمبادئه الحقة ، وبذل روحه وراحته فى سبيل الحصول على غايته الشريفة ، ووصوله الى قمة المجد بعمله ، وصموده فى مواجهة الشدائد بمفرده ، وقوة جلده على تحمل شطف الحياة وتكاليفها الشاقة عن طمأنينة ويقين ، وحدبه على الضعفاء ، وعطفه على الفقراء وتسوئه فى النفوس أسمى منزلة بقوة شخصيته، واختراقه لحجب المستقبل ببعد نظره، ومساهمته فى تثبيت دعائم الحق وتقويم المعوج فى أمته ، وتعرف أيضا بعلو الهمه ، ونبل المقصد ، وطهارة النفس وتعدى النفع ، وكل هذه الصفات يلمسها المتتبع بامعان لصفات سيدى أحمد البدوى يلمسها متمثلة بكل معانيها فى تاريخه اللامع واحدة واحدة ولو شئنا أن نفرد لهذه الخصال الشريفة فصولا مستقلة ، نوضح فيها بالأدلة والوقائع التاريخية كل خصلة منها لفعلنا ذلك ولكنا نكتفى ببعض الأمثلة حذرا من التطويل .

قوة عزيمتـه :

عنوان شخصية الرجل قوة عزيمته فالرجل القوى العـزم هو الذى لايعرف معنى هوادة ولا لين ولا يعترف باعتراض أى مشكلة من مشاكل الحياه أمامه مهما كانت وكيفما كانت عظمته حتى يعبر بعيته ويصل الى غايته وقد تصل به قوة العزيمة الى بذل روحه وراحته فى سبيل الحصول على غايته الشريفة ، ومن يمعن النظر فى سلوك سيدى أحمد البدوى يجد أنه يصدق عزيمته كأنه يسابق ركب الحياة ليسبقه ويناهض متن الوجود ليعلوه، سبعون عاما من حياته يقضيها كلها فىطلب غاية واحدة وحاجةواحدة يقوم لها الليل ويصوم لها النهار ويقطع لذيذ الطعام، ويمتنع لأجلها عن

الكلام ، ويمضى فى سبلها حواسه وجوارحه ، فسوف عساه فى طلبه كالجمر وتلتهب أحشاؤه من الشوق اليها حتى يصبح مستغيثا وينادى مستجيرا ، ويهيم على صيم فى سبيلها عشرات السنين بين عشائر غير عشرته ، وأهل غير ذوى قرباه ، يهيم فى طلبها ولا يتحول الى غيرها ، بين قائم وساجد وذكر لها مستديم ، حتى يتحول نصاب القلب اللا ارادية الى نصاب ارادية ، تنطق بذكر الله وتتوالى فى سرعة البرق وخصه الريح مردده الله الله ، حتى غلبت تلك النبضات على ذكر اللسان وشقشقة البيان ، فأى عزيمة هذه وعلى أى شئ تدل ، واذا كانت العزائم تعبر عن أقدار الرجال فجدير بهذه العزيمة أن تضرب مثلا أعلى فى علو القدر وقوة الشخصية وعلو الهمة وانقطاع النظير

اعتزازه بنفسه

كان رضى الله عنه يعتز بنفسه أيما اعتزاز ولا يعول الا عليها فى بلوغ أهدافه وفى سبيل الوصول الى غايته ويؤثر عنه أنه عرضت عليه مفاتيح الشام والعراق من سيدى أحمد الرفاعى ومن سيدى عبد القادر الجيلانى عرضا روحيا فأبى ذلك وقال كلمته المشهورة أنا مسكما وأنا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح ، قال هذا اعتزازا بنفسه وتحسبا لأن يكون تابعا لغيره بأى نوع من أنواع التبعية ولو كان فى تلك التبعية تسلم الزعامة الدينية فى تلك الأصقاع ، لأن نفسه وثابة الى العلا ، طموحة الى غاية لانهائية ، فهى تبغى الكمال المطلق ، والمعرفة المطلقة ، والزعامة المطلقة ، فلا يأخذ المفتاح الا من يد الفتاح ، وقد منحه الله ما اراد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم

وكبار الأولياء يرون من واجب قيامهم بالدعوة الى ربهم أن يعرضوا طريقتهم على كل من يرون فيه استعدادا لأن يشرب من منهلهم ويقتبس من قبسهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا ونشاهد من بعض الأولياء من يحظر على مريديه مقابلتهم لغيرهم ونشاهد بعضا آخر يطلق العنان لمريديه فيبيح لمن يرى منهلا أعذب من مورده أن يرده ويبالغ بعض آخر فيحظر مقابلة الأحياء وزيارة الأموات ويستثنى بعضهم من هذا الحظر آل بيت رسول الله

الأعرابي ، يقول هذا ليعلم أن مقابلة الرفاعي للبدوي كانت روحية وكذلك مقابلة الجيلاني له أيضا وأن عرضهما عليه طريقهما أمر معروف عند القوم ومفروغ منه وأنه كان عرضا روحيا

يقول بصيرته وعزازة علمه في الشريعة

كثر الحديث عن سيدي أحمد البدوي وعن حاله الذي يتزايد يوما بعد يوم حتى بلغ الحديث مسامع شيخ الاسلام الكبير تقي الدين أبي الفتح بن محمد بن علي بن دقيق العيد القوصي حامل لواء العلم في عصره فاستهضه هذا الحديث للقيام بزيارته بطنطا ، ولكنه تريث في الأمر وأحب أن يستطلع حقيقة أمره قبل أن يسافر هو بنفسه فأرسل الى الشيخ عبد العزيز الدريني يقول له توجه الى السيد أحمد البدوي واسأله عن العلم ثم اكتب لي تقريرا عن صحيح مشاهداتك التي تشهدها منه فتوجه الشيخ عبدالعزيزالىطنطا وأخذ معه كتابايسمىكتاب الشجرةليمتحنهفيهوهو يشتمل على فن الحديث والفقه وبعض الفنون الأخرى، وقابل في طنطا أول من قابل فاضلا الشرعي وكان يدعى علاء الدين وأخبره بأن شيخ الاسلام أرسله ليستطلع حالة السيد البدوي العلمية وأنه أحضر معه كتابالشجرة ليمتحنه فيه فان هو فهم ما فيه فأنا أعتمده وأرد الجواب عنه الى قاضي القضاة فقال له هو في بيت الشيخ ركين ، فلما وصل الى البيت استأذن الشيخ عبد العال فأذن له ثم سلم على سيدي أحمد البدوي فرد عليه السلام وقال له ياعبد العزيز من وصل الى مقام التسليم فاز برياض النعيم حيث تسأل عن العلم وفي كمك كتاب الشجرة فتعجب الشيخ عبد العزيز من نفوذ بصيرته ثم قال له سيديأحمد سلني عما شئتفاني أجيبك فسأله عن المسائل التي جاء ليسأله فيها فأجابه عنها بأحسن جواب فما وسع الدريني اذا سئل عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار ، ولما هم بالانصراف

الدريني اذا سئل عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار — ولما هم بالانصراف

قال له قل لقاضي القضاة يصحح مصحفه المعلق في صدر حجرته فان فيه خطأين أحدهما في سورة الرحمن والخطأ الثاني في سورة يس وكأنه

رضى الله عنه قرأ القرآن فى مصحف ابن دقيق العيد وهو فى مجلسه مع الدريسى فلم يجد فيه الا هذين الخطأين وهى ســورتين متــاعدتين وهو بطنطا والمصحف معلق فى حجرة الشيخ بالقاهرة ولم يسع الشيخ الدريسى الا أن يكتب تقريرا بما رآه وعلمه ، ولما عاد الى القاهرة ورفع تقريره الى شيخ الاسلام كشف عن الخطأين فوجدهما كما أخبره فازداد يقينهمــا فى صدق ولايته فأجمع شيخ الاسلام أمره على الذهاب بنفسه الى طنطا لزيارته ولما صعد الى سطح البيت وجد حوله جما غفيرا من الناس ثم رآه مشغولا عنه ، فخر ذلك فى نفسه فقال ســبحان الله ما هذا الأعتقاد فى هذا الرجل ثم قال فى نفسه (ما هو الا مجنون) فلمــا جلس فاجأه سيدى أحمد ببيته المشهور :

مجــانين الا أن سر جــــنونهم عزيز على أعتابهم يســجد العقل

يقول له فى رده الرائع الحكيم رأيت المطهر فقلت مجانين ولو علمت السر لعرفت أن على أعتابنا تسجد العقول فأخذ الغضب من شيخ الاسلام مأخذه حيث علم أنه سمع منه حديثه النفسى بأنه مجنون ، ثم كان منه هذا الرد الحكيم فلم يسعه الا أن يقبل يده ويقر له بالعلم والفضل ، ثم تحادث معه فى بعض المسائل العلمية وانصرف وهو يعتقد أن ما رآه من البدوى أكثر مما سمعه عنه لأن نفوذ البصيرة الى درجة أنه يســمع منه حديثــه النفسى بأنه مجنون ثم يرد على البداهة بهذا الرد الحكيم مع ماثبت عنده من اطلاعه على مصحفه وهو بالقاهرة وتعيين الخطــأ فيه ثم اطلاعه على كتاب الشجرة بكم الشيخ عبد العزيز ثم اجابته عمــا فيه من المســائل العلمية بنصها وهو لم يطلع عليها من قبل كل هذا أثبت له أن نفوذ بصيرته أمر خارج عن حد العادة ومنتهى العقل وقد يبدو أن سماع سيدى أحمد البدوى للخواطر النفسية ، أمر غريب لكن من يخالط سيدى أحمد البدوى روحيا يعلم أن ذلك قطرة واحدة من فيض علومه ومعارفه ، وقد علمت منه ذلك بنفسى وتحققته سمعى — فكثيرا ما أسمعه رضى الله عنــه يأمرنى بالسكوت « اسكت اسكت » مشددا براءته بالأمر وأكون فى نفس الوقت ساكتا لا أتكلم وانما يأمرنى بالسكوت عما أحدث به نفسى وعما يجول فى

حاطرى مما لا قبل لى بدفعه عن نفسى من الحواطر النفسية وهى سلسله من الأحاديث النفسية تتحدد فى النفس بين آن وآحر طوال اليـوم حتى فى أثناء الصلاة والعبادة تمر تباعا فى حاطرى فيسمعها بأعيابها كما يسمع أحدنا (دردشة) الناس حوله فيؤلمه دلك فيصيح فيهم (اسكتوا اسكتوا) ولما أعود وأتحول الى دكر الله تعالى بقلبى وبدون أن ينطق بالدكر لسانى ثم أعمل عن هدا الدكر القلبى كما هى العادة أسمعه يصيح (ادكر ادكر) وليس سماعه لهده الحواطر النفسية أمرا قاصرا على دلك ، بل انه قد يرد على حاطرى سؤال من الأسئلة بدون أن يتحرك بالسؤال لسانى فأسمعه رصى الله عنه يجيبنى عن هدا السؤال ، ومن العجيب حقا أنى أسمع جوابه ولا أسمع سؤالى لأنه يخطر بنفسى مجرد خطور ، ولو أن الناس يعترون بأن سيدى أحمد البدوى عبد مخلوق لا يملك لنفسه صرا ولا نفعا وهو من سماع الحواطر النفسية على ما وصفنا لفاضت نفوسهم خجلا ، وانكمشت أرواحهـم حسره وندامه ، مما يحملون فى أنفســهم من الدخائل الخبيثة والحواطر الملوثه التى لاتنفك عنهم أبدا حتى فى أثناء صلاتهم وعبادتهم بين يدى ربهم ، والله سبحانه وتعالى يسمعها حرفا حرفا وكلمة كلمــة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) هده هى قوه الشخصية وهدا هو العلم وهدا هو النور ، فلتخسـأ دائرة معـارف المستشرقين وليخسأ دلك المعترض الدى نقل عنها قولها (ان السيد البدوى صئيل الشخصية) ولتخشع الأقمار الساطعة بأنوارها الخافتة ولتهبط من عليائها ساجدة تحت أقدام العلم والنور قبل أن تحترق ولم يتمتع بنورها أحد من الناس ، فهل هده شخصية صئيلة كما يقول المعترض المسكين وهل هذا درويش جاهل كما ينطق به لسان الغافل (كبرت كلمــة تخـرج من أفواههم ان يقولون الا كدبا)

سبب حملة المعترض الفاشله على السيد البدوى

ويرجع سبب هده الحملة الى تأثر جهلاء المصريين بـكلام دائـرة المعارف للمستشرقين الذين لا يعرفون عن الاسلام وأصول تعاليمه وأسراره وأبطاله الا عناوين يقرؤنها فى موسوعاتهـم ويدرسونهـا فى مجاميعهـم

ويدونونها فى دوائر معارفهم ، ثم يلقون بهـا الى جهلاء الأمم وانصــاف المتعلمين فيتلقونها كما يتلقى الناس تعاليم دينهم المقدس وقرآنهم الكريم ، وكأن كان دائرة المعارف للمستشرقين فى نظر هؤلاء الجهلاء وأنصــاف المتعلمين حبل الله المتين ، وكتــابه المبين وطريقــه الهــادى الى الصراط المستقيم ، وكأن أحكامها التى تصــدرها على الناس هى منزل الوحى وفصل الخطاب

اسمع أيها القارئ ما تكتبه دائرة المعارف التى يتهافت عليها جهلاؤنا ويهرعون الى المكاتب للنقل عنها ويشودون الناس معارفها الرائعة وضلالاتها التى يقدسها جهلاؤنا كل التقديس قالت دائرة المعــارف (من عجائب الحياة الدينية أن يتأثر رجل مثل الشعرانى بسحر السيد البــدوى مع أن هذا الأخير دونه من الوجهين العقلية والأدبية) هذا ما تكتبه دائرة المعارف عن اعلامنا وأبطالنا لتعرفنا بهم فتصف السيد البدوى بأنه ساحر وتقول عنه أنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا ، أكاذيب ثلاثة تحملهــا دائرة المعارف على السيد البدوى فى سطر واحد من سطورها ، وفقرة واحدة من فقراتها، لتطعن بها المصريين من الخلف وتبث فيهم روح الفرقة، وتسحر بعقولهم من حيث لا يشعرون من ذا الذى أطلع دائرة المعارف على ان السيد البدوى ساحر ، ومن ذا الذى أعلمها بأنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا ، قالت ذلك دائرة المعارف وهى تعرف أن فى المصريين جهلاء سيتقبلون هذا الكلام بالتسليم والقبول وسيهرعون لنقله عنها ، ونشره بين الناس وفعلا صــدق تنبؤها فسارع هذا المغرض ونقل عنها هذه الضلالة الكاذبة وقلده آخر وقال ان الشعرانى قد اندفع الى احترام هذا الدرويش — ولا تعدم فى المصريين عشرات من امثال هؤلاء الذين ينقلون عن المستشرقين والمستعمرين هذه الضلالات التى تولد فيهم روح الفرقة وتبعث فيهم المخاصمات والمجادلات والخلافات التى تمكن المستعمرين من رقابنا وتجعله يسود على حسابنا — هذه هى الغــاية من وصف دائرة المعــارف للسيد البدوى بأنه ضئيل الشخصية والعقلية ليتلقف قولها قــوم ويبغيه قوم آخــرون فتقع بينهم الحربية والفرقة من أجل كلمة قالها هــؤلاء الخبثاء الشــياطين فمتى كان المستشرقون خلصاء النية ، ومتى كانوا يريدون خيرا بالمسلمين ؟

هذا لون من ألوان الاستعمار ومكر ودهاء ، وحيله أمل من أسماء المصريين وحسه رجاء ، يهرعون اليهم ويميلــون عنهم هــده الحمائث التى يفردهم وتجعلهم أحزابا وشيعا من حيث لا يشعرون ، ولا تلبث أن تسع سهم دائرة الفرقة من أجل كلمة دائرة المعارف ، ومن أجل حكمها الخبيث على السيد البدوى فتعدى الأفراد الى الجماعات وتتعدى الجماعات الى أوسع دائرة فى كيان المسلمين ، والمسلمون من جهلهم يظنون أنهم سوف ويصلحون وهم فى الواقع انما يهدمون فى كيانهم ويوجهون السهام الى نحورهم ، فمتى نعقل ومتى نتدبر ومتى نتبصر ؟

أطلع ممنون على كلمة دائرة المعارف وحكمها على السيد البدوى بأنه أجل من الشعرانى عملا وأدبا فشمر عن ساعديه الهرقليين وقام وألف كتابا هزيلا أسماه « السيد البدوى » وجعل محور طعنه على السيد البدوى فى كتابه هو كلمة دائرة المعارف فى السيد البدوى ، وحكم دائرة المعارف على السيد البدوى وفى كل صفحة من صفحاته ترى عنوانا بهذه الكلمة ، وفى كل صفحة ترى اعادة وتكرارا لهذا الحكم ، وكأن كلمة دائرة المعارف فى السيد البدوى آية من آيات الله المحكمات أنزلها الله على رسوله للتعبد بها ولتحفظ للاستشهاد بها وبناء الأحكام الشرعية عليها ، وكان حكمها من أحكام الله يجب العمل به والاستنان بشرعته ، فاللهم أعذنا من جهل الجاهلين واحفظنا من فتنة الممسوخين ولعنة الله على دائرة معارف المستشرقين ولعنة الله على كل من يقسم لكلامها وأحكامها وزنا

البدوى يقول ... أنا زيت من لا زيت له .

الأعمال الاصلاحية التى يقوم بها الأصلاحيون تختلف وتتباين على حسب اختلاف حاجات الناس وتباينها ، فالناس من ناحية حيويتهم يحتاجون الى سعادة دنيوية تكفل لهم رغد العيش وبسط الرزق وتيسيــير سبل الراحة لهم فى كل أطوار حياتهم الى مماتهم وهــذه قد تكفل بها القادة الاصلاحيون الذين يعملون ويكافحون فى ســبيل الحصــول على رغيف العيش الذى يلهمه من أفواههم المستعمرون ، هذا ما يحتــاجه الناس من ناحية حيويتهم ، أما من ناحية روحانيتهم فهم يحتاجون الى سعادة دينية تكفل لهم تقوية أرواحهم وانارتها واخراج ظلمات الجهل منها ومحو الحوائل

التي تعوقهم فى طريقهم الشائك الممتد الى غايه لا يعلم الا الله مداها والتى تسمى بالشقاء الدائم أو النعيم المقيم ، وهذه قد تكفل بها القادة الدينيون الذين يجاهدون فى سبيل ايصال الناس الى ربهم ويعملون على ازالة كل ما يعوقهم عن بلوغ أهدافهم فى هذا السبيل ويوضح سيدى أحمد البدوى أنه من هذا الطراز الدينى الممتاز فيقول « ان الفقراء كالزيتـــون وفيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له ريب فأنا ربيته أســاعده فى جميع أموره وقضاء حوائجه لا بحولى ولا بقوتى ولكن ببركة النبى صلى الله عليـــه وسلم » يريد رضى الله عنه أن الفقراء كالزيتون متفاوتون فمنهم الكبير ومنهم الصغير فالكبير هو الذى امتلأ قلبه نورا من أنوار الحق نتيجــة لذكر الله ذكرا كثيرا — وشبهه رضى الله عنه بالزيتون الكبير لأن الكبير من الزيتون غنى بالمادة التى تحصـــل بها الانارة وهى الزيت فالكبير من الفقراء كالكبير من الزيتون لاشتمال كل منهما على مادة النور ، ومن كان من الفقراء بهذه الصفة فهو متصل بالله ورسوله يستمد انواره ومعارفه منهما بطريق مباشر ، أما الصنف الصغير من الفقراء فهو الذى حافظ على قواعد الشرع ولكنه لم يحرق العادة بذكر الله ذكرا كثيرا فلم تحرق له الحجب فلم يكمل فى قلبه النور ، وشبهه رضى الله عنه بالزيتون الصغير لأن الصغير من الزيتون ليس غنيا بالمادة الزيتية بل هى فيه قليلة أو هـــو منها خلاء — فالصغير من الأولياء كالصغير من الزيتون لخلو كل منهما من ماده النور ، ومن كان من الأولياء بهذه الصفة فهو فى حاجة الى من يعاضده ويسانده حتى يصل الى درجة الكمال والاتصال بالله تعالى ورسوله صـــلى الله عليه وسلم — يقول ومن لم يكن له ربت فأنا ربيته أى من لم يكن على نور من ربه فهو نوره يرشده الى طريق الحق ويهديه السبيل ويكون له عونا فى الوصول الى غايته وقضاء حوائجه لا بحوله ولا بقوته ولكن ببركة النبى صلى الله عليه وسلم — يقرر رضى الله عنه فى هذه الوصية أن مبادئه مبادىء اجتماعية تسير جنبا الى جنب مع مبادىء الدين الحنيف ، فهو لا يترك الفقير الصغير الشبيه بالزيتون الصغير يجف ويموت ويطرح فى العراء ، بل يوقف حياته ويهب نفسه لتنمية الفقير الصغير حتى يكبر وتغـــذيه الضعيف حتى يقوى ، وتعهـــده بالاصـــلاح حتى يتكامل ويكون كبيرا ،

ويمكن أن نخرج من هذه الوصية ثلاث حقائق هامة الأولى أن سيدي أحمد البدوي على صلة تامة برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن مساعدته للفقراء الصغار يستمدها من حضرته وليست بحوله ولا بقوته ، ولهذا اشتهر بأنه باب الرسول الحقيقة الثانية أنه يستغل هذه الصلة ويستعملها في خدمة الأولياء الصغار وتكميلهم وارشادهم الى ما فيه صلاحهم ولهذا اشتهر بأنه سلطان الأولياء

الحقيقة الثالثة أن في ذلك دلالة واضحة على علو همته وكبير فتحه وجريان أسباب الخير على يديه . ولهذا اشتهر بأنه مربي السالكين ولهذا أيضا أجمعت الأولياء على احترامه وتعظيمه ومحبته على اختلاف مشاربهم وتنوع طرقهم ، وتراه رضي الله عنه أورد هذه الحقائق الهامة وأثبتها لنفسه في كلامه بطريق تشبيهي مستملح ومبتكر لا يدرك الانسان فيه شيئا من التعالي أو الفخر ، بل فيه أنه يمد الناس بمواهبه ويفتح القلوب بمعارفه وينير الطريق أمام كل سالك حيران بدون أن تأخذ عليه كلمة واحدة فيها ادعاء أو كبرياء

البدوي يوضح العوائق التي تعوق الفقراء عن ان يكونوا كبارا :

بين رضي الله عنه في وصيته لخليفته الحوائل المعنية التي كانت سببا في تخلف الأولياء الصغار عن أن يكونوا كبارا فحصر تلك الحوائل في التعلق بالدنيا ، وعدم مراعاة الاحسان في العمل ، وشح النفس بالعطاء ، وعدم استدامة ذكر الله ، والغفلة عن قيام الليل، وسوء الخلق في المعاملة ، وعدم الصبر على تحمل أذى الناس ، وعدم ملازمة الصدق ، وخلو القلب من الصفاء وحسن الوفاء وحفظ العهود فقال في وصيته بعد ما تقدم يا عبد العال اياك وحب الدنيا فانه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل ، فالعمل الصالح كالعسل الأبيض وحب الدنيا كالخل الأسود فاذا مزجت العسل بالخل حصلت على مشروب متنافر لا يستقر في معدتك ولا تقبله كمقوم للحياة بل تدفعه المعدة وتلقيه الى الخارج بدون أن تنتفع به ، واذا مزجت عملك الصالح بحب الدنيا تغلب لا محالة حب الدنيا على

عملك الصالح فأخمد نوره وأطفأ جذوته وأذهب من القلب ثمرته فلا تبصر بقلبك الا الظلمات ، ولا تجنى من وراء ذلك الا الحسرات ، ثم أخذ يبين الحائل الثانى وهو عدم ملازمة التقوى وعدم الاحسان فى العمل فقال واعلم يا عبد العال أن الله يقـــول (ان الله مع الذين اتقـــوا والذين هم محسنون) فان أردت أن يكون الله معك بالمعـــونة والنصر أو بالمعايـــنة والمشاهدة ، فما هو الســــبيل الى ذلك ، وهو ملازمة الخوف من الله مع الاحسان فى العمل . والاحسان فى العمل هو أن تعبد الله كأنك تراه ، فاذا كنت فى صلاتك مثلا فاستحضر أنك قائم بين يدى الله تقـــرأ كأنك تراه وتخاطبه كأنه حاضر يسمع ثناءك عليه بالحمد ونعتك له بالربوبية المطلقة والمالكية المطلقة ويسمع خطابك له بافراده بالعبودية دون غيره ، وافراده بطلب الاستعانة وطلب هدايتك الى الطريق المستقيم أى الطريق الموصل اليه مباشرة وطلب تبعيدك عن طريق المغضوب عليهم والضالين من الكافرين ، ثم اذا ركعت أو سجدت فاستحضره فى طمأنينات الركوع والسجود كأنه معك على مرأى ومسمع منك يسمع تسبيحك وتقديسك له بأنواع التسبيح والتقديس ، واذا جلست فى تشهدك لتشهد له بالتوحيد ولرسوله بالرسالة فاستحضر كأنك تخاطبه بأن جميع التحيات والتعظيمات التى يقدمها العباد بعضهم لبعض من رفع اليد الى الجبهة بالتعظيم والانحنـــاء بالبدن عـــند التسليم والسجود عند قوم والركوع عند آخرين وكل التعظيمات التى يقدمها العبيد للملوك وغيرهم كلها مستحقة لك لا لغيرك فالتحـــيات كلها مستحقة لله ، كما أن الحمد مستحق لله رب العالمين، واذا قلت أشهد أن لا اله الا الله فكن كأنك لاترى شيئا في السموات والأرض الا ذاته النورانية قائمة بنفسها ممدة للعالم بأنوارها كما لا ترى فيها الا الشمس ساطعة بحرمها ، ممدة للعالم بأضوائها فانك ان أديتها كذلك كان الله معك بالمعونة والنصر أو بالمعاينة والمشاهدة على قدر ما تكون عليه عبادتك من الخشية منه تبارك وتعالى ، ثم أخذ يبين الحائل الثالث وهو شح النفس بالعطاء فقال ياعبد العال أشفق على اليتيم واكس العريان واطعم الجوعان واكرم الغريب والضيفان عسى أن تكون عند الله من المقبولين فهو يعطف عـــلى اليتامى والعرايا والجوعى والغرباء والضيفان لأن من لم يكن عنده شفقة

على اليتيم الذى فقد رائده وقائده ولا وازع يحمله على كسوة الأبدان التى ابتذلت آدميتها ولا دافع يدفعه الى اشباع جائع ولا حامل يحمله على رحمة الغريب بأبوائه والضعيف باكرامه فقلبه متحجر وليس من الله فى شىء ولا يمكن ان يكون عنده من المقبولين وما نشاهده من لجوء الفقراء الى أعتابه وتدفق الحيران حول رحابه دليل على أنه يحب الكرم ويمقت الشح ويحنو على الضعفاء كما أنه بذاته يساعد الفقراء ولذلك اشتهر بأنه باب الكرم وباب العطاء .

وقد وقعت فى كرب شديد أذهلنى وطغى على حواسى حتى كنت لا أطيق الكلام العادى مع الناس فكان يحثنى على اطعام الفقراء وكثرة التصدق عليهم ويؤسى على التصدق بالقرش والقرشين ولايرضيه التصدق بالورق الصغير فبذلت ما شاء الله أن أبذل فذهب عنى ما كنت أجده وعدت الى ما كنت عليه بعد اليأس من معالجتى

ثم أخذ يبين الحائل الرابع وهو عدم كثرة الذكر والغفلة عن قيام الليل فقال « وعليك بكثرة الذكر واياك أن تكون من الغافلين عن الله واعلم أن كل ركعة بالليل خير من ألف ركعة بالنهار » ، فهو يرى فى طريقه أن معرفة الله لا تحصل الا باستدامة ذكر الله لا باللسان فقط فانه لا ترضيه شقشقة اللسان بل بجريان الاسم الكريم فى القلب بصمة مستديمة لا ينفك عنها القلب أبدا فلا يلبث المستديم لذلك ربما ما حتى يقذف الله فى قلبه نورا ساطعا تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فيتولد عنه شوق فى القلب الى رؤية الحق ليراه بواسطة ذلك النور ومن شدة الشوق يلحقه الوجد فيتعلق بالله كله فاذا أفرط الوجد صار ولياً فيحصل للعبد فناء فى مشاهدة الذات واستغراق فى مطالعة أنواره تنمحى فيه بشريته ويبلغ الدرجة العليا فى التسامى الروحى — وبعد أن يفيض الله عليه من أسرار ذاته ما يطيقه استعداده يعيده ثانيا الى حالته الطبيعية كاملا مكملا وتعرف هذه الحالة بحالة الصحو بعد المحو أو حالة البقاء بعد الفناء — هذا ما يراه رضى الله عنه عملا للقلب ، أما عمل الجوارح فهو قراءة القرآن ولا سيما فى الصلاة بالليل كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل

ايمانه عند الموت وهذا أشد العقاب وأنكاه ونعيذ بالله منه كل مسلم ينطق بالتوحيد — واما بعض العقوبات الدنيوية العاجلة أو الآجلة على حسب ما تقتضيه حكمة الله وعدالته — وهذه أخف ضررا من سابقتها وفيما يظهر لي أن عداوة الأولياء تظهر في بعض الناس بصفة قهرية عنهم خارجة عن ارادتهم وهم لا يملكون دفعها عن أنفسهم حتى ولو أرادوا التخلي عنها لأن الله تعالى هو الذي اختص هذا الصنف من الناس بهذه النكسة الدينيــة وجعل هذه المصيبة لازمة لهم لاتنفك عنهم جزاء كسب كسبوه أو جرم ارتكبوه — قال تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن » وبضرورة قيام الأولياء بما يقوم الأنبياء من الدعوة الى الله ، وبضرورة أنهم أحبائه كما أن هؤلاء أحبائه جعل سبحانه لكل ولي عدوا من شياطين الانس والجن، جعلهم أعداء لرسله وأعداء لأحبائه يقاتلونهم ويشاكســونهم ويــكذبونهم وينتقصون من قدرهم ويحطون من كرامتهم ويرمونهم بالافتراء والجنون والجهالة والضلالة ويسبونهم عدوا بغير علم ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق هؤلاء الآثمين — ولا يعدم هؤلاء الشياطين سببا وأكثر من سبب يبررون به شنيعتهم ويسترون به فضيحتهم في معـاداتهم لله وأحبـاب الله فيظهرون أنفسهم بمظهر الغيرة على توحيد الله والمحبين لدين الله وهم في الوقت نفسه يعادون الله « يستدرجهم من حيث لا يعلمون » ويعلم الله أنهم لا يعرفون عن توحيد الله ولا عن أسرار دينه الحنيف الا الألفاظ التي ينطقون بها والعبارات التي يرددونها والرسوم التي يؤدونها ان كانوا يحافظون على الرسوم .

ان توحيد الله في قلوب العــوام أثبت وأركز منــه في قلوب هؤلاء المدعين — وانك لو قطعت أجسام هؤلاء العوام وأطعمتهــا اياهم ما نطق أحدهم بأن السيدالبدوي شريك لله في ملكه — وما اعتقد فيه أكثر من أنه عبد مخلوق صفت روحه لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا لأن توحيــد الله في قلوبهم فطري وجبلي لايمكن نزعه ولا محاولة خلعه الا بنزع أرواحهم وخلع قلوبهم من أبدانهم شأن الاسلام اذا خالط بشاشة القلوب

أعماله التى قام بها فى حياته
وآثاره التى تركها بعد ممـاته

أكبر عمل يقوم به الانسان فى حياته هو أن يعمل على اصلاح نفسه وتقويمها وازالة ما فيها من عيوب ونقائص حتى تسمو روحه وترتفع من حضيض الجهل والعمى الى أعلى مستوى العلم والمعرفة فتتهيأ للخلافة عن الله فى أرضه والنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقامة دعوته ثم يعمل ثانيا على اصلاح غيره كما عمل على اصلاح نفسه — فالرجل الكامل هو الذى يعمل ليصلح نفسه ثم يعمل ليصلح غيره وكلماسما عمله فىاصلاح نفسه كلما سما عمله فى اصلاح غيره — واذا كانت الأعمالتعبر عن أقدار الرجال فان أعمال السيد البدوى لم يكن لها نظير فى أعمال المصـلحين — فكان رضى الله عنه يصنع الرجال ويصوغ الأبطال بنظرة واحدة من نظراته الثاقبة فيحولهم بقدرته الربانية وقوته الروحية من أشباح آلية الى أرواح نورانية ومن صور آدمية الى حقائق انسانية فيصبح الواحد منهم بعد أن كان فردا آليا وشبحا آدميا يرن أمة برأسها ويملأ البلاد بحذافيرها علمـا وهديا ونورا مبينا — هكذا كان يصنع الرجال ويصوغ الأبطال ، يأتى اليه خليفته بالرجل العادى وهو قائم على السطوح فينظر اليه نظرة واحدة فيمتلىء بها هداية وتقوى ومعرفة — ويأمره بالانصراف ثم فى الوقت نفسه يحدد له البيئة التى تتوافق مع طباعه ومعارفه ويعين له الجهة التى يقيم فيها والتى تصلح لأن يبث فيها دعوته ، ويمكنأن تنجح فيها مهمته، لأن معادن الناس فى كل جهة تختلف ، كما أن الأرواح تأتلف وتختلف فينصرف الى تلك الجهة التى عينها له لا يتخطاها يعمل ويكافح ويرشد الناس الى ربهم الى أن يموت فى تلك الجهة وقد أثمرت فى الناس دعـوته ونفـذت الى قلوبهم محبته ولا يسعهم الا أن يبنوا له فى تلك الجهة قبرا يزورونه فيه تخليدا لذكراه وليبقى حدثا تاريخيا لهم ومثلا أعلى لأعقابهم — أربعـون مصباحا من مصابيح الاسلام يشعلهم السيد البدوى وهو قائم فوق السطوح ويبثهم فى طول البلاد وعرضها يضيئون للناس طريقهم ويقومون معوجهم ، ويعلم الله كم من الناس قوموا وكم من البلاد أصلحوا وكم لله قدموا ،

ويعرف هؤلاء المصابيح بالسطوحية أما غيرهم فكثير وكثير ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ولأن يصلح الله بك فريقاخير للعبد الله من الف صيغة ، أما آثاره التى تركها بعد مماته فحسن لا يطالب القارىء بتتبعها فى الفرق الأربع عشرة التى تشعبت عن طريقته الأحمدية والتى لا تزال آثارها باقية الى اليوم بعد سبعة قرون تعمل جاهدة فى هداية الناس ودعوتهم الى ربهم — ولا نطالبه فى أن يتتبعها فى تربيته للعلماء العاملين والفقراء الصادقين الذين تولى تربيتهم بنفسه وهم يعدون بالألوف وانما نوجه نظره الى تتبع تلك الآثار فى النواحى الاجتماعية الصرفة التى يخدم بها الشعب وينتفع بها الأمة ببركاته ونفحــاته التى تتزايد على مر الســنين وتتابع الأيام فمن آثاره التى تركها بعد مماته هذا النخــل العظيم والخير العميم الذى يعترف به المعترض نفسه ويعده من السيئات وهو من أفضــل الحسنات والذى يعود على المصالح العامة فى الدولة بالنفع من أوقافه التى تعد بآلاف الأفدنة ويعود على بعض أفراد الشعب بالانتفاع بعقاراته التى وسمت باسمه وكان لها أكبر فضل فى ايوائهم فى حياته الرخية — وهذه الآلاف من الجنيهات التى توضع فى صندوق النذور ويحول معظمها الى منافع الدولة — وبعضها الآخر يحول الى الفقراء من حــوله ولولا ذلك لأقفلت بيوتهم وسدت بأبواب من حديد ، وان معظم مساجد القطر لينالها أكبر نصيب من خيراته وبركاته ولولا ذلك لخربت بيوت الله ولم تجــد من يقوم بتعميرها وفرشها ممن ماتت نفوسهم وجمدت أرواحهم واشتغلوا بأمور دنياهم عن دينهم ، هذه ذرة من آثاره التى تركها بعد مماته وكم له رضى الله عنه من آثار اجتماعية يسديها الى الناس ولكنه يخفيها لأنه يعمل لوجه الله ولا يريد من أحد من الناس جزاء و لاشكورا نفعنا الله به وعمنا بخيراته ونفحاته وشملنا ببركاته آمين

علامة الولى كما يراها البدوى

لا تتحقق ولايتك لله تعالى الا اذا تحققت فيك العلامات التى ذكرها سيدى احمد البدوى لخليفته الأول حينما سأله عما هو الفقير الشرعى يريد

الولي الشرعي الذى تنطبق ولايته على قواعد الشرع وسماه فقيرا لأنه يرى تسمية الولي بالفقير لأنه فى حالة احتياج وفقر الى الله دائما فأجابه رضى الله عنه بأن الولي الشرعي له ثنتا عشرة علامة

العلامة الأولى أن يكون عارفا بالله تعالى — وليس المراد بالمعرفة بالله أن تكون عارفا بالدليل العقلي أو النقلي أن الله موجود لا شك فى وجوده بل المراد أن تعرف الله وتتحققه لا أن تعلمه وتتخيله لأن هناك فرقا بين معرفتك للشيء وعلمك به فأنت تعلم مالا تراه ولكنك لاتعرفه فاذا شاهدته عرفته — فاذا حصلت على هذه العلامة حصلت على أم هذه العلامات الأثنى عشرة وهي أصلها وبقية العلامات وسيلة لها — واذا حصلت على هذه العلامة أيضا تمكنت فصل تمكن فى مقام الاحسان لأن الاحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فاذا عرفت الله كذا قدمنا سهل عليك أن تستحضر فى عبادتك بقلبك أو فى خيالك ما سبق أن عرفته فأمكنك فى يسر أن تعبده كأنك تراه فعلى من يريد أن يصل الى مقام الاحسان فى العبادة أن يجتهد فى معرفة الله فاذا عرفه تحقق بمقام الاحسان

العلامة الثانية أن يكون مراعيا لأوامر الله فلا يترك شيئا مما أمر الله به ولا يؤخره عن وقته الشرعي المحدود له ولا يؤديه أداء ناقصا بل يراعى فى أدائه جميع ما يتطلبه من وجوه الاحسان

العلامة الثالثة أن يكون متمسكا بسنة النبى صلى الله عليه وسلم فلا يترك سنة من سنن صلاته المفروضة ولا يترك سنة مسنونة من رواتب صلاته ولا يترك صلاة مسنونه غير الرواتب كالتهجد والضحى وغيرهما ولا يترك سنة من سنن العبادات المشروعة غير الصلاة كسنن الحج والصوم وغيرهما

العلامة الرابعة . أن يكون دائم الطهارة فلا يرى فى ليل أو نهار الا وهو متطهر كأنه متهيىء للصلاة لأنه بصدد أن يشاهد ربه فلابد أن يكون دائم الطهارة

العلامة الخامسة أن يكون راضيا عن الله على كل حال سواء أحزنه أو أفرحه أعطاه أو منعه أدناه أو ابعده أصحه أو أمرضه أحياه أو اماته أقبل

عليه بالدنيا أو حرمه منها متعه بنعيم معرفته أو أدله بذل الحجاب ، فاذا تواردت عليه هذه الأمور ولا بد أن تتوارد على أوليائه فلا يكون فى قلبه الا الرضا عن ربه رضا يفتح له القلب وتنبسط معه أسارير الوجه .

العلامة السادسة أن يكون موقنا بما وعده به الله من رزق دنيوى أو نعيم أخروى فيقطع قطعا لا شك فيه أنه سيحصل عليه لا محاله

العلامة السابعة أن ييأس مما فى أيدى الناس فاذا يئس مما فى أيديهم سلم من آفة التملق لهم فلا يكون عبدهم بل يكون عبدا لله وعاش حرا كريما

العلامة الثامنة أن يتحمل أذى الناس فلا يلتفت بوجهه الى من صفعه ولا يلقى سمعه الى من قذفه ولا يحرك لسانه فى سب من شتمه ولا يتسع نظره الى من سخر منه ولا يمد يده باساءه الى من أساء اليه لأن شأن من عرف ربه أن لا يشاهد عملا لأحد غيره بدون أن يشهده قبله أو بعــده أو فيه أو معه

العلامة التاسعة أن يكون مبادرا لأوامر الله فان المبادره بالأمتثال أمارة الاهتمام بالآمر وأمارة العناية بالمأمور به ويصف لنا بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حاله اذا حان وقت الصلاه فيقول كان يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه وليس المراد المبادرة بخصوص الصلاة بل بكل أمر من أوامره فلا يتثاقل ولا يتمهل فى أداء أى أمر من أوامره سواء كان بدنيا أو ماليا أو مركبا منهما مأمورا به على سبيل الوجوب أو الندب أو الأستحباب

العلامة العاشرة أن يكون شفوقا على خلق الله ، وله رضى الله عنه فى باب الشفقة على الخلق والرحمة بهم القدم الراسخ والباع الممتد الى أبعد حد كما يؤخذ من قوله فى بعض وصاياه من لم تكن له شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله ، ومن قوله ياعبد العال اشفق على اليتيم واكس العريان الى آخر ما تقدم فالشفاعة لا توهب فى الآخرة الا لمن فى قلبه شفقة على خلق الله ، وقد تبلغ الشفقة بأحدهم أن لا ترضى نفســه أن يلحق أعداءه سوءا وان أساءوا ، ولا ضررا فى النفس وان قتلوه .

العلامة الحادية عشره أن يكون متواضعا للناس فيتواضع لهم ولا يتعالى عليهم ويرى فى نفسه أنه اقلهم

العلامة الثانية عشرة أن يكون عالما بأن الشيطان عدو له كما اخبر الله بقوله (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) فان الولى فى اثناء سيره يتعرض له الشيطان فى كل خطوة يخطوها وفى كل مرحلة يصل اليها — ولديه من وسائل الحيل والمكر والدهاء والخديعة ما هيأه ان يكون رسول الضلالة فى الأرض كما أن النبى صلى الله عليه وسلم رسول الهداية فيها — وحسبك أن الفساد الذى ظهر فى البر والبحر على أيدى الناس لا تخلو مفسدة منه من اغوائه فهو بطبيعة وظيفته يتعرض للأولياء فى طريقهم ويصف مقاعده ويرتب أعوانه ومساعديه على حسب مؤهلاتهم فى الفساد ودرجاتهم فى الأغواء فترى منهم هذا العجوز من عهد آدم عليه السلام يحاول فى اغوائه أن يظهر بمظهر الناصح فيلقى من نصائحه ما يخيل لسامعه أنه له ناصح أمين ليستدل بنصيحته المموهة قدمه لجرحه معه من دار النعم وترى منهم هذا الذى سقطت أسنانه وبرزت أنيابه يلقى من الشبهات المضللة ما يعجز عن دفعها الحاذق الفطن الأريب ، وهكذا تتوارد نصائحهم ووعاظهم على الأولياء من كل نا حية ومن كل جهة من الجهات فمن لم يتخذ الشيطان عدوا وتجاهل عداوته اغتر بما يسمعه من نصائح قد لا يعرف مصدرها احيانا وتأثر بما يلقى اليه فيتعثر فى سيره ويضل عن قصده ويقع فى الضلال المبين . فلهذا كان سيدى احمد البدوى موفقا كل التوفيق فى عد هذه العلامة بالذات من علامات الولى الشرعى ليحترس من عدوه وليتذرع فى احتراسه بالقرآن الكريم فيطبق كل ما يعن له فى سلوكه على احكامه وتعاليمه فما كان موافقا لمواصفات القرآن قبله وما كان مخالفا لها ضرب به عرض الحائط والقى به فى الطريق .

أخلاق البدوى من أخلاق أولى العزم

لا يرشدك الى أخلاق الرجل ان لم تكن تمرست أخلاقه فى معاملة مثل ما يرشدك كلامه فمن كلامه تعرف منزلته الأخلاقية من كرم نفس أو جفوة

في الطباع لأن الكلام معبر عما أرتكز في النفس ووقر في القلوب يقول سيدي احمد في بعض وصاياه التي تعبر عن أخلاقه . يا عبد العال لاتشمت بمصيبة احد من خلق الله ولا تنطق بغيبة أو نميمة ولا تؤذ من يؤذيك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك وأعط من حرمك — هـذه كلمات معدودات هي أم الأخلاق الفاضلة وأس الفضائل النفسية التي لا يمكن أن يتحلق بها الا أولوا العزم من المرسلين — ومن كان على قدمهم من الصديقين — تأمل قوله لا تشمت بمصيبة احد من خلق الله فهو يلفت نظره الى أن الكافر والفاسق والظالم كلهم خلق الله ويرشده الى أنه لا يشمت بالكافر اذا اصابته مصيبة لأنه من خلق الله ولا يشمت بالفاسق اذا أصابته مصيبة لأنه من خلق الله ولا يشمت بالظالم اذا اصابته مصيبة لأنه من خلق الله ومن باب أولى الطائع اذا اصابته مصيبة لا يشمت به لأنه من خلق الله ثم أحد يحذره من الغيبة والنميمة لأنهما مضيعة الأفواه وظلمة القلوب وهما أكبر نكسة اخلاقية عرفها الانسان ولا يمكن ان يعف عنهما لسانه فقال له اقطع لسانك قطعا عن هاتين الخصلتين الذميمتين لئلا تطمس ظلمتها انوار قلبك فلا تنطق بغيبة احد كائنا من كان و لاتسعى بالتفرقة بين الناس لتسود أنت على حسابهم ومن آذاك منهم فلا تقابل أذاه بأذى مثله بل اعف عنه ولا تقتصر على مجرد العفو بل أتبع عفوك عنه بالاحسان اليه بالمال على سبيل البر ان قدرت أو بالمسالمة بالكلام الحسن ان عجزت حتى ان من حرمك عطاء فبادر انت بأعطائه بعد ان حرمك — من هـذه الكلمات المعدودات تعرف مكانة البدوى الأخلاقية — ومدى مطابقتها لأرفع أخلاق القرآن وانطباقها على أخلاق الرسول عليه السلام فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل اعداءه بهذه الأخلاق الفاضلة فلم يؤذ من آذاه منهم بل عفى عمن ظلمه واحسن الى من اساء اليه وأعطى من حرمه ولم يظهر شماتته بأحد منهم ، ولم يزد — يوم الفتح بعد أن تمكن من رقابهم — عن قوله « ما تظنون أني فاعل بكم ؟ » فقالوا خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وكأن لم يكن بينهم وبينه حرب ولا قتل ولا قتال ولا محاصرة ولا مؤامرة ولا

احراج من الديار ولا تجريد من الأموال ولا تشريد ولا تجويع ، وكأنا أبا سفيان كان صديق رسول الله الحميم فجعل داره أمانا لمن يدخل فيها ، وذلك أفضل ما نعرف من كمال الأخلاق

تاريخ ميـــلاده

اتفق المؤرخون على أن ميلاد سيدى أحمد كان بمدينة فاس احدى مدن مراكش فى سنة ٥٩٦ هجرية ويحتفل أولو الأمر قديما وحديثا فى المسجد الأحمدى بعيد ميلاده فى ليلة آخر أربعاء من شهر ذى الحجــة فى كل عام ، ويظهر من تخصيصهم الاحتفال بهذه الليلة بالذات أن ميلاده كان فى الشهر الأخير من سنة ٥٩٦

نســـــبه الشريف

كان سيدى أحمد يحمل نسبه معه حينما رحل من الحجاز الى طنطا مع بعض كتبه التى كان يعتز بها ، وفى ذلك يروى الجماحى ما قاله أخوه الحسن حينما أصبح فوجد سيدى أحمد شرع فى رحلته الى طنطا قال الحسن فأصبحنا فلم نجد أخى أحمد ولم نجد كتاب النسب وراح وتركنا كالجداد بلا فحم — ولقد كانت الدواعى موفورة على العناية بالأنساب لدى السادة الأشراف بعد أن تفرقوا فى البلاد من بطش الظالمين فكانوا يشنون بها بعناية ويشــهدون على صحتها ويعتمدونها من الرؤساء والحكام ويسجلونها فى دور خصصت لذلك ويحملونهـــا معهم أينمــا كانوا محافظــة منهم على شرف الانتساب لأشرف المرسلين واحتفاظا منهم بما فيه مصدر فخرهم وطهــور فضلهم على النـــاس أجمعين — وكان من الطبيعى أن يتناقل الناس عن سيدى أحمد البدوى هذا النسب الشريف فى حياته وبعد مماته لاسيما تلامذته الذين انتشروا فى أنحـــاء البلاد وأطرافهـــا وكان لهم السبـــق فى القيام بأمر دعــوته ليثبت لهم شرف الانتســـاب الى أصل من أصـــول أهل بيت رسول الله الطاهرين — وكان من أوائل من روى هذا النسب من المؤرخين القدامى الشيخ يوسف الشهير بابن أربك الصوفى الذى يعتبر فى حكم المعاصر لسيدى أحمد لأن وفاته كانت فى

أوائل القرن الثامن الهجرى فى عصر سيدى عبد العال ـ ثم رواه من مشاهير المؤرخين المقريزى الذى توفى فى أواسط القرن التاسع ثم رواه جلال الدين السيوطى الذى توفى فى أوائل القرن العاشر والأستاذ الشعرانى الذى توفى فى أواسطه ورواه غير هؤلاء المشهورين كثير من معاصريهم كما رواه كثرة لا تحصى من المؤرخين المحدثين ـ وكان اعتمادهم فى أول الأمر فى هذا التناقل على مخطوطاتهم لأنه لم تكن لديهم طباعة جيدالشكل فكان بعضهم يروى النسب ويضيف لكل اسم لقبه المعروف وبعضهم يرويه مجردا عن اللقب ولتشابه الأسماء فى المرحلة الوسطى من النسب وقع اختلاف فى اضافة الألقاب الى أسمائها ـ ولهذا رأى المقريزى اثباتها جميعها بدون ألقاب وكان ذلك وقع منه من باب الاحتياط ونحن نثبتها كما أثبتها احتياطا فنقول

هو السيد أحمد البدوى بن   السيد على البدرى بن
السيد ابراهيم بن   السيد محمد بن
السيد أبو بكر بن   السيد اسماعيل بن
السيد عمر بن   السيد على بن
السيد عثمان بن   السيد حسين بن
السيد محمد بن   السيد موسى بن
السيد يحيى بن   السيد عيسى بن
السيد على بن   السيد محمد بن
السيد حسن بن   السيد جعفر بن
السيد على بن   السيد محمد بن
السيد على بن   السيد موسى بن
السيد جعفر بن   السيد محمد بن
السيد على زين العابدين بن   السيد الحسين بن
الامام على كرم الله وجهه

وقد اتفق جميع المؤرخين على أن فى أحداد سيدى أحمد البدوى من الأئمة الأثنى عشرية تسع أئمة وهم الامام على كرم الله وجهه وابنه الامام الحسين المتوفى سنة ٦١ هـ وابنه الامام على زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ وقيل سنة ٩٩ وابنه الامام محمد الباقر المتوفى سنة ١١٣ وقيل سنة ١١٧ وابنه جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ وابنه على الرضا المتوفى سنة ٢٠٢ وابنه محمد الجواد المتوفى سنة ٢٢ وابنه على الهادى المتوفى سنة ٢٥٤ وهم على هـذا الترتيب مشتون فى النسب الذى رواه المقريزى وأثبت المقريزى من بعدهم جعفر وابنه حسنا وجعفر هو أخو حسن العسكرى الشهير وحسن هو ابن أخى حسن العسكرى الشهير سمى باسم عمه ومن بعد جعفر وابنه حسن أثبت المقريزى محمدا وابنه عليا ومحمد هذا غير محمد الجواد المتقدم وابنه على غير على الهادى المتقدم بن محمد الجواد ثم أثبت المقريزى عيسى من بعـد محمد وابنه على وبالتأمل فى رواية المقريزى تجد من بعد عيسى أن محمـدا وابنه عليا تكرر مرتين وأن حسن بن جعفر أثبتت بينهما وأن الأولى منهما محمد الجواد وابنه على الهادى ، هذه هى رواية المقريزى على هذا الترتيب أما رواية ابن زملك فلم يتكرر فيها محمد وابنه على مرتين فلم يكن حسن ابن جعفر بينهما ولم يجعل الأولى منهما الكائنة فى أعلى النسب والمتصـلة بالأئمة الاثنى عشرية هى محمد الجواد وابنه على الهادى بل جعـل الثانية منهما هى محمد الجواد وابنه على الهادى وأثبت حسنا ابن جعفر بينهما وبين الأئمة الاثنى العشرية ولم يذكر محمـدا وابنه عليـا الاولى لأنها عنده هى الجواد وابنه على الهادى وقد ذكرهما فلم يكررهما هـذا هو الفـرق بين الراويين من أثبت الألقاب ومن لم يثبتها ، وليس من بين أحداد البدوى من الأئمة الاثنى عشرية باتفاق السيد الحسن شقيق مولانا الامام الحسـين ولا السيد حسن العسكرى الشهير بابن على الهـادى ولا ابنه محمد المنتظر ، وقد اشتبه على بعض الناس حسن بن جعفر ابن أخى حسن العسـكرى باسم عمه فظنه حسنا العسكرى وهو ظن خاطىء لأن حسنا العسكرى وجعفر ابنان لعلى الهادى بن محمد الجواد فكيف يكون العسكرى ابنا لأخيه ، وكل المؤرخين لم يكتبوا الا حسنا مقرنا بجعفر فتسمية حسن بن

جعفر بالعسكرى تسميه خاطئة نشأت من اشتباه اسمه باسم عمه ولا يبعد أن يكون حسن بن جعفر لقب بالعسكرى تشبيها بعمه فظنه بعض الناس العسكرى الشهير

الاعتراض على سيدى احمد البـدوى

أذكر لك قصة محرية ومحرنة حادت بها قريحة نفس متآرمة حصرت همها فى الطعن فى أحباب الله وأصاعت حياتها تعمل على اطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الظالمون فكان من المحرى حقا أن يظهر بين الناس من يرفع رأسه ويمد عنقه ويحرك يديه ويقول فى بيانه هل كان أحمد البدوى من نسل على وكأنه كان فى نومة أهل الكهف فلم يسمع ما دونه المؤرخـون فى نسب السيد البدوى واتصاله بعلى كرم الله وجهه حتى قام من سباته يسممهم عن ذلك معللا عملته عما توافق عليه كل المؤرخين قال ذلك المتآرم يذكرون أن سبب هجرة أجداده الى المغرب أن جده محمدا الجواد بن حسن العسكرى هاجر خوفا من الحجاج حين نكل بالأشراف ثم قال حضرته والتاريخ الصحيح يفحص هذه الرواية ويقطع بكذبها من وجوه كثيرة منها أن محمدا الجواد هو ابن على الرضا وليس ابنا لحسن العسكرى انتهى الوجه الأول من الوجوه الكثيرة ، ثم قال ومنها أن محمدا الجواد الذى قيل انه هاجر خوفا من بطش الحجاج كان ميلاده سنة ١٩٥ هجرية وتوفى فى بغداد سنة ٢٢ أما الحجاج فتوفى سنة ٩٥ أى أن وفاته كانت قبل ميلاد محمد الجواد بمائة سنة ، ثم قال وبانهيار هذه الحجة ينهار معها نسب أحمد البدوى الى العترة النبوية ولا يستحق هذه السيادة المزورة انتهى الوجه الثانى من الوجوه الكثيرة واختتم بعد ذلك فصله المضحك ولم يذكر وجوها كثيرة ولا قليلة

ونحن نقول له ان التاريخ الصحيح يفحص روايتك ويقطع بكذبك فان أحدا لم يقـل أن سبب هجرة أجداده أن جده محمدا الجواد بن حسن العسكرى هاجر خوفا من الحجاج بل الذى قاله الشعرانى فى سبب الهجـرة هذا نصه كان مولد سيدى أحمد بزقاق الحجر ببلدة فاس بالمغرب الأقصى لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج اليها فتراه قال أجداده ولم يقل محمدا الجواد ابن حسن العسكرى كما تقول والذى قاله ابن أربك الصـوفى فى نسـب

الهجرة لم يذكر فيه أن محمدا الجواد هو ابن حسن العسكرى وهذا هو نصه كما فى صحيفة ٦٤ من الحفاجى قال ابن أرتك فلما قتل الحجاج جماعة من الأشراف خافوا وتفرقوا فى البلاد ولم يتخلف فى مكة غير الشريف محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم فتراه قال محمدا الجواد بن على الرضا ولم يقل ابن العسكرى كما تزعم وبذلك انقطعت حجتك وظهر كذبك أما اذا كان قد اشتبه عليك حسن بن جعفر باسم عمه فظننه حسنا العسكرى فاختلقت هذه الرواية من خيالك فقلت يذكرون أن سبب هجرة أجداده الى الغرب أن جده محمدا الجواد بن حسن العسكرى الخ والواقع أن أحدا لم يذكر ذلك كما بينا فانك بذلك تكون واهما ومدلسا فيدور أمرك بين شيئين لا ثالث لهما اما الكذب واما الوهم والتدليس وقد نبهنا على هذا الخطأ فيما سبق وقلنا قد يشتبه على بعض الناس حسن بن جعفر ابن أخى حسن العسكرى فيظنه حسنا العسكرى وهو ظن خاطىء وقلنا كل المؤرخين لم يكتبوا فى النسب الا حسنا مقرونا بجعفر فتسمية حسن بن جعفر بالعسكرى تسمية خاطئة نشأت من اشتباه اسمه باسم عمه

أما ما ذكرت فى بيان سبب هجرة أجداده من المقارنة والمفارقة التاريخية بين الحجاج وبين محمد الجواد ثم انتقالك من ذلك الى الطعن فى نسب السيد البدوى فهذا يدلنا دلالة قاطعة على أنك لا تتدبر الأمور على حقيقتها ولا تعرف كيف تصدر حكمك فى أبسط القضايا الضرورية ولا تدرى معنى للانصاف فى الحكم ، وما هى العلاقة بين نسب السيد البدوى وبين كاتب أخطأ فى تاريخ هجرة جده — ان خطأ الكاتب أمر يرجع الى عدم عنايته بتاريخ الهجرة وان شئت قلت الى جهله بهذا التاريخ

فاذا كان هناك كاتب ذكر ان هجرة جده محمد الجواد كانت فى القرن الأول والواقع أنها كانت فى القرن الثالث فهل من العقل أن تتخذ ذلك ذريعة الى الطعن فى النسب المجمع على اتصاله من جميع المؤرخين وتقول ما دام هناك كاتب أخطأ فى تاريخ هجره جده فان نسب السيد البدوى الى العترة النبوية ينهار وهو لا يستحق هذه السيادة ، المزورة لست أدرى ما هى علاقة الأنساب بخطأ بعض الكتاب فى تاريخ الهجره لو أن كاتبا ذكر أن هجرة

الرسول صلى الله عليه وسلم كانت عام الفيل ومعلوم أن عام الفيل هو عام ولادته لا عام هجرته فهل يصح أن نقول ان هذا الكاتب قد أخطأ في بيان هجرة الرسول فاذن يكون نسب الرسول صلى الله عليه وسلم الى عدنان نسبا غير صحيح هذا هو منطق المعترض وهذا هو علم المعترض ليته سكت وليته ستر نفسه ولم يكشفها بقوله هل كان أحمد البدوى من نسل على

هجـرة اجداده الى بلاد المغرب

أسرة سيدىأحمد لم توجد الا أيام أن وجد هو فى سنة ١٩٦ هجرية ووجد أبواه واخوته فاذا قرأت فى كلام المؤرخين أن أسرته هاجرت من مكة الى بلاد المغرب فاعلم أن ذلك المهاجر هو أحد أجداده لا أسرة سيدى أحمد لأنه لم تكن له أسرة الا فى ظهر ذلك الجد ، واذا قرأت أين كانت أسرته فى هذه القرون السنة قبل ميلاده فابحث أين كان أحد هؤلاء الأجداد فحيثما كان فى هذه القرون كانت هذه الأسرة مطوية فيه

وقد ابتدأت أسباب هجرة أجداده من انحصار حينما استأثر بنو أمية بالملك ونحوا عنه أبناء على كرم الله وجهه . ولخشيتهم على صيانة منهم ورجوعه ثانيا الى أبناء على فى زمن محاربة الحجاج لابن الزبير أمعنوا فى مطاردتهم وبالغوا فى قتلهم واخراجهـم من ديارهم ، وبالضرورة لم تكن هجرة هؤلاء الأشراف دفعة واحـدة بل كانت فى فتـرات متطاولة ممتـدة بامتداد عهد بنى أمية فى الملك ومن ورثه عنهم من العباسيين لأنهم ماكانوا يطاردون الا من وجدوا فيه كفاءة للخروج عليهم وشعروا بأنه يعمـل لسلب الملك منهم أما غيرهم ممن لم تجتمع فيهم صفات الملك فكانوا على حالهم الى أن يجدوا فيهم تلك الصفات فيطاردونهم ــ فأجداد سيدى أحمد الأوائل أعنى محمدا الباقر وابنه جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم وابنه عليا الرضا ولدوا جميعا بالمدينة ومنهم من توفى بها ومنهم من توفى ببغداد مسـجونا فى عهد الرشيد وهو الكاظم ومنهم من توفى حياته فى عهد المأمون سنة ٢٠٢ وهو على الرضا ومعنى ذلك أن هجرة أجداده الى المغرب لم تكن قبل القرن الثالث الهجرى فرواية بعضهم أن هجرة أجداده كانت خوفا من بطش الحجـاج فى

القرن الأول غير واضحة ـ ويظهر أن الحجاج لما أصبح حجر الزاوية في فتنة مطاردة الاشراف وقتلهم بمصر حتى سبب أن هذا الحدث التاريخي كانت نتيجة من نتائج تصرفاته وجبروته صار يذكر في كل فتنة من هذا النوع سواء باشرها أو لم يباشرها فيقال فلان من الأشراف هاجر في أيام فتنة الحجاج ولو لم تكن فتنة الحجاج لأنه أصل هذه الشنيعة النكراء فصار الناس ينسبونها اليه ولو لم تكن من عمله ، ويروى المؤرخون أن أول من هاجر من أجداد سيدي أحمد البدوي الى بلاد المغرب هو الشريف محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم كما ذكر ذلك الخفاجي نقلا عن ابن أرلك وذكر أن سبب الهجره هي فتنة الحجاج وقد ذكرنا أن هذه الرواية غير واضحة ـ

والذي يظهر أن سبب هجرة محمد الجواد هو أنه لما رأى أن الخليفة محمدا المهدي العباسي استقدم جده موسى الكاظم من المدينه على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وسجنه ببغداد ولم نطلقه من سجنه الا برؤيته لعلي كرم الله وجهه يقول له يامحمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، ثم رأى الجواد أن الرشيد من بعد المهدي سجنه ثانيا في بغداد ولم يخرج من السجن الا ميتا ودفن بالكاظمية هناك ، ورأى الجواد أن عمه زيدا بن موسى الكاظم خرج على الخليفة المأمون بن هارون الرشيد ، بالبصرة وفتك بأهلها ثم كانت بينه وبين المأمون مناورات انتهت باخلاد زيد لطاعه المأمون ، ورأى الجواد أيضا أن أباه عليا الرضا مات خيانة على ما قيل أقول ان محمدا الجواد لما رأى هذه التعسفات من الخلفاء العباسيين مع جده وعمه وأبيه وجد أن الاقامة بالحجاز أصبحت متعذرة في ظل العباسيين وأصبحت خطرا على نفسه لأن اضطهادهم للعلويين كان يتجدد بين آن وآخر وبصورة تدعو الى الخوف وعدم الاطمئنان ، هاجر الى بلاد المغرب الأقصى بعيدا عن سيطرتهم ونفوذهم وتجنبا لاضطهادهم وروى ابن أرلك في كتاب النسبة انه نزل بفاس وتزوج من ابنة السلطان وأنجب منها ابنه عليا الهادي ، ثم تزوج أحمد البدوي رضي الله عنهما ، وظاهر هذه الرواية يدل على أن نزول محمد الجواد كان بفاس في القرن الثالث وأن أجداده لم يسكنوا البادية بدليل

تروحه من دوى السلطان فى تلك البلاد وهم لا يروحون عادة سكان البوادي ومصاهرة محمد الحواد لدوى السلطان من سكان فاس أسبابها واضحة ، لأنه كان من الطهور بحيث لا تخفى مكانته على أحد فى سائر البلاد الاسلامية لاسيما وقد كان هــو وآباؤه طلاب أكبر خلافة فى الأرض انترعهــا منهم الأمويون والعباسيون بغير حق وبالضرورة كان يتمم فى المدينة مقصدا للبرك بهم من كل وافد لزيارة قبر جدهم من حجاج بيت الله الحرام مغربيا كان أو غير مغربى فلم يكن محمد الحواد نكرة فى المغرب حتى لا يرغب فى مصاهرته دوو السلطان حين نزل بأرض فاس بل ان هذا الطهور وتلك المكانة لم تفارق أحفاد السيد أحمد البدوى وآباءه مدة هجرتهم الى بلاد المغرب وبعد عودتهم من تلك الهجرة الى الحجاز بدليل ما رواه المؤرخون من تلك التوديعات التى ودعهم بها أمراء فاس وشعبها حين عودتهم وبدليل تلك التلقيات التى تلقاهم بها القبائل فى كل مرحلة من مراحل تلك العودة بل وأمراء الحجاز نفسه حين عودتهم الى أوطانهم سالمين

عودة الاسرة من فاس الى مكة
والسبب المباشر لهذه العــــودة

كانت الاسرة حــين عودتهــا من فاس الى الحجــاز مكونة من عشرة أشخاص عميدها الولى الكبير الســيد على البدرى الذى نظمه سيدى أحمد البدوى فى سلك الأئمـــة الاثنى عشرية فى أبياته التى كان يرددها فى منامــه وأجمع المؤرخون على صحة ما ورد فيها من تواريخ الأئمـــة الاثنى عشرية حيث قال فى منامها بيتا خاصا بأبيه عــلى البدرى معبرا فيــه عن مركزه فى الخلافة الصوفية وهو

وأمـــا على فالخليفـــة بعـــدهم على سائر الاقطاب وهـــو مؤدب

وزوجه عربية الأصل فاطمة بنت محمد بن احمد بن عبد الله بن موسى ابن شعيب المربيه من بنى مرية، وأولاده الثمانية سيدىأحمد وهو آخرهم ولادة ، وأكبرهم مقاما ، وأخوه الحسن وهو أكبرهم سنا وكان على بصيرة

ومعرفة بالله تعالى وعلم تام بأرباب الأحوال وذوى المقامات وما يجرى بينهم فى عالم الأرواح والأشباح كما يؤخذ من بيانه لسيدى أحمد حينما أراد الرحلة الى بلاد العراق ، وأخوه محمد ولم يرو لنا المؤرخون شيئا نعرفه به الا أنه مات بمكة ولم يعقب ـ أما أخواته الخمسة الاناث فهن فاطمة وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم عاش منهن بعد سيدى أحمد فاطمة وزينب ورقية وفضة ، ورثيته بمرثيات ذكرها الخطابى فى تاريخه كما عاش من بعده أخوه الحسن ويظهر أنه دفن بمكة ـ ويذكر بعضهم لعودتهم أسبابا منها اضطراب أحوال بلاد المغرب فى ذلك العهد ويظهر أن السبب المباشر لهذه العودة هو ما ذكره المؤرخون من أن سيدى على البدوى رأى فى المنام من يقول له ارتحل من هذا المكان الى مكة فان لنا فى ذلك شأنا لا سيما وهو يعلم أن المتصوفة أجمعوا على أنه اذا أمر أحدهم بالانتقال من مكان الى مكان فانه تجب المبادرة بهذا الانتقال حتى ولو لم يكن لذلك الانتقال وجه ظاهر فى نظر العقل ـ واذا خير فى الانتقال الى مكانين فليختر أثقلهما على نفسه لأن الخير فى ذلك أكثر ، وفى سبيل امتثال هذا الأمر ترك سيدى على البدوى بيته وضياعه وتجرد من كل ما يملك طالبا مع زوجته وأولاده مكة ـ وقد ظهرت عروبته الأصيلة فى بيتين أنشدهما يوم الرحيل حنينا منه الى وطنه الأصلى وهما .

رحلنا الى أرض يفوح شذاؤها	الى عرب مالى سواهم مدخر
رحلنا اليها ستظل بظلها	يصير لنا فيها مقام ومصدر

والمصدر كالصدر أعلى مقدم كل شىء وقد صار له ولأبنائه بعد العودة الصدارة فى الولاية الكبرى ، وكأنه فهم أنه سيصير لهم ذلك من قول الآمر له بالرحيل فان لنا فى ذلك شأنا

بدء العودة ونهايتها وسنه حينذاك

اتفقوا على أن بدء العودة كان سنة ٦٠٣ واختلفوا فى نهايتها فالأكثرون على أنهم وصلوا مكة سنة ٦٠٧ وغيرهم على أن سيدى أحمد حج مع أبيه سنة ٦٠٦ فيكون وصولهم فى ذلك العام فتكون مدة الرحلة أربع سنوات أو

سنوات على الخلاف المذكور وقد اتفقوا على أن ميلاده سنة ٦٩٦ فيكون سنه حين بدء العودة سبع سنوات باتفاق وحين نهايتها أحد عشر عاما أو ثلاثة عشر عاما على الخلاف في مدة الرحلة - والأظهر أن مدة الرحلة أربع سنوات كما روى عن الشريف حسن - ويقال انهم مروا في طريقهم بمصر وأقاموا فيها نصف هذه المدة

ماذا بعد العـــودة الى مكة

أقام سيدى أحمد بالحجاز الى حين رحلته الى العراق سبعا وعشرين سنة قضاها على النحو الآتي - اتم حفظ القرآن ثم تعلم علم القراءات وتفقه على مذهب الامام الشافعي - ويظهر أنه لقوة بنيته وشجاعة قلبه مارس فن الرياضة أيضا وفى ذلك يقول أخوه الحسن لم يكن فى فرسان مكة والمدينـة فارس أشجع من أخى أحمد وبعد ان كملت فيه صفات الرجل العالم والمؤمن القوى تحول بكليته الى ناحية العمل فأخذ يعالج نفسه بشتى أنواع العلاج فلازم الصيام ثم أدمن عليه حتى كان يطوى أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا وداوم على السهر فى العبادة حتى كان لا ينام الليل كله وكان أحيـانا يتعبد فى الكعبة وأحيانا فى جبل أبى قبيس وقال أبو السـعود الواسطى فى تاريخه انه صح عليه فى جبل ابى قبيس ثم لازم الصمت واعتزل الناس جملة - ثم ظهر عليه الوله وهى حالة عرضية تعرض للمريد السالك حين استغراقه فى مشاهدة انوار الذات العلية تتلاشى معها الأعراض البشرية من أكل وشرب ونوم وكلام - ثم يعقبها حالة أخرى تعرف فى لسان القوم بحالة الصحو بعد المحو وحالة البقاء بعد الفناء فتعود معها تلك الأعراض لكن بصورة محكمة وفى أثناء هذه المدة حج والده سنة ٦٢٧ هجرية ومات فى سنه ويظهـر من متابعة عادة سكان مكه أن سيدى أحمد حج كثيرا وزار قبر جده كثيرا ولم يذكر المؤرخون كم مرة حج ولا كم مرة زار ويؤثر عنه بيت من أدبه الرقيق قاله عند انصرافه من احدى زياراته لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقولون

رزتـــم نبـــا رجعتـــــم يا أكـــرم الرســل مـــا نقـــول

فسمع من يقول له بيتا أرى أدنا وأبعد معرى وهو يدل على شـدة اتصال سيدى أحمد بحضرة الرسول وهو

قولـوا رحمـا بـكل حـير واتحـد الفـرع والأصــول

كما يدل على شدة هذا الاتصال قول سيدى أحمد

ليس لى شـيخ ولا لى قـدوة عـير حـير الرسـل طه الأولا
فـرشى الوقت حقـا سـنتى تنتهى للمصـطفى من قـد علا
كل ولى آحـد عهـدى كمـا كـل قطب كـان قبـلى أولا
مـا عطى قبـلى ولا بعدى أحد من عـلومى واتصـالى حردلا

ويوضح قوله واتحد الفرع والأصول ما جمى فى البيتين الأخيرين فان كل ولى وكل قطب قبله يأخذ عهده عن شيخه بالصرورة وشيخه انمـا يعطى دلك العهد بالنيابة عن حضرة الرسول فادا اشتد قرب أحد بحضرةالرسول ساغ أن يقول كل ولى وكل قطب آخذ عهدى وساغ أن يقول ما أعطى أحد من علومى واتصالى حردلا

لماذا لم يتزوج السيد احمد البدوى

كان انصرافه الى العبادة على النحو الذى سلف اكبر صـارف له عن الزواج فان من أدمن على أن يقطع ليله قائما ونهاره صائما فقد أحيا فى نفسه عوامل الروح ودوافعها وأمات فيها دوافع البشرية ونوازعها وتموت معهـا رغباته الطبيعية ويتجه بطبيعة الحال الى ما تقتضيه دوافع الروح وهو طلب معرفة الله وينصرف عما تقتضيه دوافع البشرية وهو طلب النساء لانعدام تلك الدوافع فيه . وقد يكون من عوامل اعراضه عن الزواج ما رواه المؤرخون من أن أخاه الحسن تزوج سنة ٦١٧ وأن أخاه محمدا تزوج سنة ٦٢٦ ولكون سيدى أحمد يليهما فى السن كان زواجه تاليا لزواج أخيه محمد الا أن الذى تلا زواج محمد هو وفاة والدهم سنة ٦٢٧ ، ثم وفاة محمد سـنة ٦٣١ وبذلك تفككت الأسرة وكان لتفككها فى نفس سيدى أحمد أثره المعروف فعززت هذه العوامل عزوفه عن الزواج لما عرضه عليه أخوه الحسن .

رحلته الى العراق وأسبابها

ترجع أسباب هذه الرحلة الى أنه رأى وهو نائم بجوار الكعبة من يوقظه فاستيقظ وتوضأ وقرأ ورده الذى نام عنه وفهم أن ايقاظه لهذا السبب ثم نام فجاءه وأمره بالرحلة الى العراق فأخبر أخاه الحسن بذلك فحذره من السفر الى العراق لأنه مزدحم الأولياء والصالحين ومن له ما يقع أحيانا بين أربا بالاحوال وأصحاب المقامات العالية من المنازعات والمخاصمات فى الأمور التى تتعلق بآدابهم وعاداتهم وكأنه كان بصيرا بهذه الأمور ملما بها عالما حق العلم بها كما يبدو واضحا من كلامه بل الذى يظهر من كلامه أنه خاض تلك الأمور واصطلى نارها — ولهذا كان شديد الخوف على أخيه من تلك الرحلة وحذره منها كل التحذير الا أن السيد البدوى أصر على هذه الرحلة لما رآه أولا ولأنه رأى الكيلانى والرفاعى يستحثانه على السفر ويعرضان عليه الزعامة الدينية فى بلادهما فقال لهما أنا ممكنا ولكن أنا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح وارافقه أخوه فى هذه الرحلة فمضيا عليه مسافرا يوم الاثنين عاشر المحرم سنة ٦٣٤ ووصلا فى شهر ربيع الأول من تلك السنة ، فزارا جدهما السيد موسى الكاظم ثم السيد عبد القادر الكيلانى والحلاج وأبا الوفا والروالى والبزار وعدى بن مسافر وغيرهم ، ويقول الحسن انهما كانا يلقيان فى كل منزل ينزلان فيه كل تقدير وأنه بيت باسمهما أروقة وزاويه للاقامه فيها ، ولكنهما أبيا ذلك وواصلا سفرهما الى قرية أم عبيد لزياره السيد أحمد الرفاعى وبعد تمام هذه الزياره رأى السيد أحمد البدوى أن الرفاعى يأمره بالذهاب الى بنت برى ليكفها عن سيرها المعوج فى طريق القوم ويردها الى الصواب فيما يقع منها من تعرضها للرجال وسلبهم رأس مالهم فى طريق القوم فبدا له أن يذهب اليها ليقوم بهذه المهمه الدينية ، الا أن أخاه الحسن غلبت عليه شفقته على أولاده فبدا له أن يعود الى مكة ويترك سيدى أحمد بالعراق ليقوم بهذه المهمة ، فودع كل منهما أخاه ، فانصرف الحسن الى مكة ، وانصرف سيدى أحمد فى طلب بنت برى

قصة بنت برى

كانت مفارقة سيدى احمد لأخيه الحسن فى رحلتهما الى العراق هذا الى مكه وذاك الى بت برى ميقاتا أقت به المؤرخون مبدأ هذه القصـة وكانت دليلا واقعا على أن لها أصلا فى تاريخ رحلته الى العراق وأنها جزء متمم لهذه الرحلة وقد اشتهرت هذه القصه بين الناس وتناقلوها جيلا بعد جيل كما تناقلها المؤرخون بصفة مفصلة تاره وبصفة مجملة تاره أخـرى ويظهـر أن السبب فى هذا الاجمال هو غموض عناصر هذه القصة وكثرة المبالغات التى داخلتها من تحريف الناقلين أو المتحيزين فقد بالغوا فى عدد الجمال التى كان يرعاها سيدى احمد لبت برى حتى أوصلوها سبعة آلاف وقد لا تتجاوز السبعين ، وبالغوا فى أن سيدى أحمد حسب بت برى الأرض فعاصت فيها هى وفرسها الى حماليق العيون وبالغوا فى الموقعة التى خاضها سيدى أحمد وأعوانه من الأرواح الصالحة مع بت برى وأعوانها من أرواح الصالحين بما لا يتفق مع الحقيقة فى شىء وبالغوا فى كيفية تعرض بت برى لأرباب الاحوال من الرجال حتى أظهروها بمظهر المستهترة المتبذلة كل هذه المبالغات التى ادخلت على هذه القصة شوهت جمالها وسترت جلالها وأبرزتها فى صوره القصه المزدراة فأجملها بعضهم اجمالا ، ولكونها كما قدمنا لها أصل فى تاريخ السيد البدوى وجزء هام من أجزاء رحلته الى العراق آثرت أن اكتبها مجرده عن تلك المبالغات موضحا ما يمكن ايضاحه بقدر ما يقتضيه المقام فأقول

كانت فاطمة بت برى سيدة غنية بالمال رائعة فى الجمال وعليها مسحة من الجلال لا تقع عليها العين حتى تقع هى فى القلب ــ ولها أيضا رأس مال من العمل الصالح اكسبها بعض منازل أهل القـرب من ارباب الأحـوال ويذكرون من حالها أن لها فرسا معلمة كانت تركبها بغير لجام وأينما أرادت ان تسير هى سارت فرسها تبعا لما تريد ــ وقد أحبها الناس واشتغلوا بهـا طلبا لتحصيل رضاها وقد يكون أيضا طمعا فى مالها وجزيل بذلها ويظهر انها لم تحسن التصرف فيما كسبته من حال ومنحته من جمال فاعتمدت فيهما على ثقتها بنفسها ولم تراع مع تلك الثقة قواعد الشرع وصريح الأحكام ، فالعادة المتبعة عند أرباب الأحوال وذوى المقامات أن يمتحنوا من توسموا

فيه صدق النية وسلامة القصد بأن يأمروه ببذل شيء من حطام الدنيا يعز على نفسه ويعظم عليها أن تخرج عنه للفقراء والمحتاجين ، ليبطروا منه عمليا صدق نيته وسلامة قصده ، وهل خرج حب الدنيا من قلبه أو لم يخرج وهذه سنة من سنن الله في امتحان عباده كما هو واضح من مشروعية الزكاة أما فاطمة فقد جعلت مقياس صدق النية وسلامة القصد عندها هو أن تتعرض بوجهها الفاتن لمن تريد امتحانه فاذا تتابعت منه النظرات علمت أنه ليس من الصادقين ، واذا لم تتابع منه النظرات أولته مكان القرب والتكريم ، وقديكون ذلك منها اعتمادا على ثقتها بنفسها كما تقدم ، الا أن الشرع لا يمكن أن يعفيها من ذلك مهما حسن القصد وقويت الثقة بالنفس ، لا سيما وقد يترتب على ذلك سلب الرجال أحوالهم وضياع ثمرات أعمالهم من حيث لا يشعرون ، ويظهر أنه تكرر منها اجراء هذا الامتحان ، ويظهر أن كل الممتحنين سقطوا من أول نظرة في صحيفة الامتحان وقد يكون هذا التعرض من طغيان حالها الذي كسته بعملها الصالح ، فان لكل حال عال ومقام سام طغيانا كطغيان العلم وطغيان المال ، فقد يكون هذا الذي رسمته لنفسها من طغيان حالها الذي لم تتفطن له فاطمة فسلبت حالها وحسرت أرباحها وبعود بوجهه الكريم من السلب بعد العطاء ويحور أنها توسعت في اجراء هذا الامتحان فأجرته مع الأقربين منها وغير الأقربين

لم ترض هذه الطريقة أهل العلم والنظر من سكان العراق لا سيما الرفاعي والكيلاني حاملا لواء العلم والمعرفة في هذه الأصقاع ، ولم يجدا أحدا يملك زمام نفسه ويقدر بقوته الروحية على ازالة هذه الفتنة الدينية الا سيدي أحمد البدوي فانتدبه الرفاعي ساما لهذه المهمة أثناء زيارته له في رحلته اذ رآه يأمره بالذهاب الى بنت بري ليؤدبها ويرجعها عن التعرض للرجال وسلبهم أحوالهم فصدق سيدي أحمد هذه الرؤية خير تصديق وقاسى في سبيل تحقيقها ما تعجز عنه همم الرجال فانطلق هو وأخوه من قرية أم عبيدة مقر الرفاعي الأخير الى بغداد وهنا فارقه أخوه كما قدمنا وذهب هو وحيدا بنفسه قويا بربه في طلب بنت بري ناحية العشائر في شمال العراق ـ

ولما نزل بعشيرة بنت برى تظاهر بحيلة غريبة ليحفظ بها نفسه وليلتمس بها ما قد يتسرب الى علمها من خبر رحلته اليها لأنها من أرباب الأحوال كما قلنا فربما يتكشف فى علمها معرفة وجهة نظره قبل أن يصل اليها وقد نفعته هذه الحيلة أعظم نفع وأتمه ـ فتظاهر بأنه أصم لا يسمع وأبكم لا يتكلم ـ قال سيدى أحمد لما أقبلت على بنت برى جعلت نفسى أخرس أطرش ووجدتها تقول كل غريب يجىء اليكم « هاتوه هنا » ، وكأنها عرفت قصده قبل أن يصل اليها ، فلما أقبل على فتياتها كلمته فلم يجبهن ، ولكربه فلم يجبهن ، فأخذته الى بنت برى ، فلما وقف بين يديها نادته فلم يجبها فقالت سبحان الله ، متعجبة من أن نظرها يخيب وفراستها لا تصيب ، فقال لها من حولها ان الناس تتشابه وهذا أخرس وأطرش وأبله فقالت أخاف أن يكون الذى رأيته وكانت قد رأت أن عاقبة أمرها صائرة للزوال ممثلة فى صورة رجل بدوى يقدم عليها ويقضى على طريقتها ويسلبها حالها ، كما يرى أحدنا عاقبة أمره فى أحداثه وشئونه تماما وقد تكون قد رأت ذلك بصورة واضحة لأنها كما يذكرون أعطيت عطاء جزيلا

ولهذا كان عجبها شديداجسيما نادته فلم يجبها، وقالت الشخص شخص الذى رأيت فسبحان من ليس له شبيه ، ثم أمرت باخلاء سبيله ، الا أن النقيب أشار عليها بأن يرعى جمالها ، وكأن هذا منه من باب الشفقة والرفق برجل أبله أطرش أخرس لا يعى مايقول فناداه النقيب وقال له ترعى الجمال فلم يجبه قال سيدى احمد فصرخ فى أذنى صرخة ترعرع الجمال مبالغة فى شدتها فأشار برأسه الى أسفل ـ أى نعم أرعى الجمال ـ فقالت بنت برى يانقيب بالله شيعه عنى فان قلبى خائف منه ـ ولما وصل مع النقيب الى الجمال ألفته وكرهت رائحته ـ لأن بيت السوء لهم رائحة خاصة يعرفون بها وأعرفهم أنا بها اذا شممتها منهم وأميزهم بمجرد استنشاقها من عرقهم أو ثيابهم او أبدانهم ولو كانوا فى عرض الطريق وقد رأيت فى كتب المؤرخين أن سيدى أحمد كان يعرف الشريف من غيره اذا شم منه رائحته ـ فأشار الى الجمال كما هى عادة الأخرس أن تسير الى المرعى فسارت وانتشرت ترعى ليلا وتعود نهارا ـ قال سيدى أحمد وفى اليوم السابع قلت فى نفسى أقصى أربى من

ست ري فمسي سيدي أحمد على الله أن تموت تلك الجمال لأنها سبب من أسباب غرورها ، وعنصر من عناصر اعجابا بنفسها فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فما يشعر الا وقد رآها تساقطت بنفسها وماتت باذن ربها ، عندئذ قوت ثقته بنصرالله فتمسى علىالله ثانيا أن تحضر بنت ري الى المرعى ليرى فيها رأيه وليمم أمره ولسبب من الأسباب رأت أن تذهب الى المرعى فلما رأت سيدي أحمد قالت لنفيها ما أحوجني أن يكون هذا هو الذي رأيته في المنام ثم التفت لنفيها وقالت فقير حال أم محال بفتح الميم — أي هذا رجل من الأولياء أرباب الأحوال والمقامات العالية أو هو رجل محـــل والمحل هو الذي لا يتمتع به — فقال لها النقيب وما هو فقير الحال ياسيدتي فقالت يكون هكذا وعرفت بيدها عرفه من الهواء كما يعرف الحاوي فاذا بقدح مملوء ماء في كفها قال سيدي أحمد فأشارت الى بالقدح ، قال فأخذته منها لئلا أخربها وذحوته في الهواء ، وكأنها بذلك أرادت أن تظهر له قوتها الروحية على اعتبار أنه جاء ليسلبها حالها ، فسأل الله في نفسه أن يظهر فيها من بطشه وجبروته مايردعها عن غيها ويردها الىصوابها ، فلمتشعر الا وقد نزل بها وهي على فرسها ما أعجزهما عن الحراك والسير ، وكأنها تصلب هي وفرسها في الأرض فلا يستطيعان سيرا ولا حراكا ، وبالضرورة لم يظهر سيدي أحمد نفسه بمظهر الخصومة والمحادة لها لا سيما وهـــو يعلم أنه وحيد في أرضها وتحت متناول عشيرتها وأنه لا يسلم من بطشهم اذا ظهر لها بمظهر الخصومة والعداء ، بل كانت هذه الحوادث من موت الجمال جميعها وتصلبها هي وفرسها في الأرض تتوالى وهو ساكت أخرس أطرش أبله لا يعي ما يقول ، وهم لا يجدون ما يوجهونه من لوم أو عتاب ، ولما رأت ست ري أنها أصيبت بهذا التصلب وأن فرســـها المعلمه أصبحت غير قادرة على أداء مهمتها على اثر ما كانت تفجر به من أن الهواء ينقلب في كفها ماء في اناء ، أدركت أن الأمر جد خطير ، وأنه لابد أن يكون الرجل البدوي الذي رأته في منامها يقدم اليها ويسلبها حالها ويقضي على طريقتها هو ذلك الرجل الأخرس العجيب عند صرخت واســـتغاثت بمن يعيشهـــا ونادت ياآل ري ياآل نعيم نادي أهل الفضل عليها وأصحاب النعمة التي منحتها على أيديهم وساداتها فيما وصلت اليه من فتوح .

فرآهم سـيدى أحمـد يقبلون عليهـا من كل الجهات قال سيدى أحمد فأيقنت حينئذ بالهلاك ـ وماذا يعمل وحده فى هذه القوة المسترة فى أعوان ست برى والبادية فى أتباعها من آل برى وآل نعيم ـ لم يسعه الا أن يستغيث بربه ويستعين بأجداده من آل محمد وآل على فلحقه الغوث وجاءه العون من كل مكان ، ولما رأى أعوان ست برى أعوان سـيدى أحمـد راقسموا بأن الحق فى جانبهم لم يسعهم الا التسليم لأعوان سيدى أحمد ولم تثبت لأعوانها قدم مع أعوانه لان النصر مقرون بالحق فحيثما كان الحق كان النصر ـ وفاطمة قد أخلت نواجها وتمادت فى غيها وخرجت عن حدودهـا فاستحقت ما ألم بها فلم يسعها الا أن تعتذر عما فرط منها من سلب الرجـال وتعرضها لأرباب الأحوال فطلبت العفو من سيدى أحمد وأخذت تذكر له قول على كرم الله وجهه عجبت لمن يشترى العبد بماله ولا يشترى الحـر باحسانه وعفوه وامسانه أى بالأحسان اليه والعفو عنه والمنة عليه ولم يسـع اتباعها حين سمعوها تعتذر اليه وتطلب العفو من هذا الأخرس الأطرش الأصم لم يسعهم الا أن يطلبوا منه العفو عنها واذا بالأخرس يتكلم وبالأصم يسمع ويملى عليهم شروط العفو ويقول بشرط أن لا تعود للتعرض للرجال من أرباب الأحوال وأن تعيش برأس مالها من الايمان فرضيت بتلك الشروط وحرمت عطاءها وسلبت حالها وانفض الناس من حولها وعلمت أن الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنـة والينـا ترجعون »

وقد ذكر الشعرانى هذه القصة مختصرة جدا ، فقال كانت ست برى امرأة لها حال عظيم وجمال بديع وكانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدى أحمد البدوى حالها وتابت على يديه وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا حولها أعوانا لست برى وكان يوما مشهودا بين الأولياء رضى الله عنهم

والذى يلفت النظر فى هذه القصة هو مسألة حضور أرواح الصالحين ليكونوا طرفا ثالثا فى الخصومة ـ وهل يقع تخاصم بين الأرواح كما يقع بين الناس تخاصم ؟ والذى يظهر من قوله تعالى «ماكان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون) ومن المقاولة التى حصلت من الملائكة فى شأن استخلاف آدم

ودريته فى الأرض ، ومن مقاولة ابليس فى أعواء آدم وبنيه ، ومن قوله تعالى « ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة » أنه قد يقع بين الأرواح تخالف فى الرأى وقد يؤدى الى التخاصم والى ما هو أبعد من التخاصم كما يقع بين الأرواح وبين غيرها من الأحياء تعاون وتناصر ، لا سيما الأرواح الخيرة ونقل العلماء أن روح السيد الصديق رضى الله عنه تهزم جيشا بمفردها ، أما الأرواح غير الخيرة فقد قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى أمين ودكر بعض المؤرخين لفاطمة أبياتا تربو على خمسين بيتا تتضمن هذه القصة قالتها بعد توبتها وبعد ان عرضت نفسها للزواج من سيدى أحمد فانى

ومن هذه الأبيات قولها

يا قارىء الخط فاقرأ ما كتبت وكن	ذا فطنة فهما حاذقا حذرا
وافهم كلاما رموزه ليعرفه	أهل الحقيقة ان هم أمعنوا النظرا
كنت للحب فى قلبى محبته	هذا الذى عاص فى قلبى وما ظهرا
يا طال ما كنت للفرسان أقتلهم	فأسلبهم سرا كذا جهرا
قضيت دهرى والأيام تخدمنى	فى صفو عيش ولم أنظر له كدرا
فتاهت النفس فى الأفعال واعتجبت	وقالت الآن فقت البدو والحضرا
رأيت فى النوم أن القوم قد عشقوا	لى الملثم ذا عزم له اشتهرا
فصاد قلبى بسر منه صيرنى	عصفوره وهو لى كالسبع اذ كسرا
كتمت سرى وأمرى لم أبح بهما	للخلق كلا ولم أظهر له خبرا
عرفت وصفها له فى النوم حليته	ليست بخافية عمن له نظرا
وقلت ان جا غريب ليس نعرفه	ملثم بلثام يشبه العذرا
هاتوه لى سرعة أو عاجلا بهتا	واكرموه ولا تبدوا له ضررا
لما أتانا عرفناه بحليته	حقا يقينا ولكن داك قد سترا
ناديته باسمه جهرا وكنيته	فلم يخش ولم يبد لنا خبرا
فقال لى القوم والجمهور أجمعهم	هذا أصم وأيضا فاقد البصرا
فقلت انى أخاف اليوم صولته	لابد يبدى لنا من أمره ضررا

فقلنا له سيدى ترعى الجمال لنا ... أجابنا نعم سرا وما جهرا
لما توجه تلقاء الجمال أتت ... اليه تكرف منه السد والمطرا
جاء النقيب وأخبرنى قصته ... فقلت سيد قوم صار مفتخرا
ومد كفا نمس الريح قد قصت ... قلبى وروحى وكلى والحجا نهرا
ضاقت بى الأرض والدنيا بأجمعها ... وها فؤادى من الأحشاء قد طهرا
لما ركبت وجئناه لنظره ... رمى الى ولى قد طول النظرا
أتى شجاعا وانى كنت أحمده ... فما سلمت وعنه ساعدى قصرا
وطاوعه الأراضى فالطمس بها ... لما رآنى وللأرضين قد أمرا
فصحت يا آل برى من أماكنكم ... هيا سريعا فقلبى صار منحصرا
جاءت رجال على خيل مضمرة ... كما رعود تسوق الوابل المطرا
لما رآهم تحققهم وأهلهم ... وللقتال أتى بالعزم واقتدرا
شال اللثام عن وجهه وبيسه ... كأن عينه جمرا يقدح الشررا
وقال يا ربنا انصرنى وساعدنى ... يا ناصر الرسل يا مولى قد اقتدرا
يارب عونا نمولى المؤمنين على ... محل الرجال ومردى كل من كفرا
فجاءت الخيل فى الميدان واعتركت ... وأظلم الجو والاقطار واعتكرا
فصاح فى الخيل والفرسان جد لها ... وابن الرفاعى وعبد القادر اشتهرا
لما رأت آل برى صولة جيلهم ... راموا الفرار وولوا منهم الدبرا
فقلنا لهم سادتى أنتم ذخيرتنا ... بكم نصول على الأعدا لننتصرا
فارس منكمو فردا يعجزنا ... فكيف تقوى جيوش خصمهم قهرا
يا جاهلا عن كلام لست تعرفه ... فانما يعرف الأشيا من اشتهرا
ختمت قولى بتقبيلات نعلكم ... يا سيدى وأمير الناس والفقرا

ما هو أثر رحلة العراق فى سلوك البدوى

كانت رحلة العراق نقطة تحول كبيرة فى حالة سيدى أحمد البدوية فقد أعقب تلك الرحلة تغير ملحوظ فى سلوكه وعاداته لم يكن معهودا عليه قبل الرحلة فكان صيامه وصالا ، وقيامه اتصالا وكلامه اشارة وتحول بوجهه نحو السماء وقطع النظر عمن فى الأرض حتى قلقت عليه أخته الكبرى فاطمة فكانت تنبه أخاها الحسن من نومه ليلا وتشكو اليه من حالته وتبث له قلقها

على أخيها احمد وتقول ياس والذى ان أحى أحمـد قائم طول الليل وهـو شاخص بصره الى السماء ونهاره صائم وانقلب سواد عينيه بحمره تتوقد كالجمر وله مدة أربعين يوما ما أكل طعاما ولا شرابا ــ والذى يظهر لى أنه استعاد من رحلته الى العراق كثيرا بسبب حلوص بيته فى زياراته لأجـداده وأبناء عمومته والصالحين فى العراق كما يظهر أنه كوىء على ما بذل من جهد وصحى من راحته فى سبيل مرضاه ربه بذهابه لست برى ، فانه ليس باهن على نفسه أن يذهب من بغداد الى العشائر شمال العراق وحيدا فريدا متحملا وعثاء السفر ووحشة الطرق ليزيل منكرا رآه منابذا لقداسة الدين الحنيف وقد يرى الواحد منا ألف منكر من هذا النوع أمام عينيـه جهارا نهـارا ولا تتحرك فيه شعرة واحدة من ايمان ، ولا تنس مع ذلك أنه امتهن ولكر واقتيد واستخدم كما تستخدم العبيد ، وعرض نفسه للهلاك وأيقـن به كل ذلك فى سبيل مرضاه ربه وازاله هذا المنكر البغيض ، وكأنه لما أزال فتنة ست برى التى كانت سببا فى سلب الرجال ثمرات أعمالهم كافأه الله بأن جعله سببا فى امداد الرجال بما يقوى روح الايمان والعمل فى نفوسهم جزاء وفاقا وانمـا كان جزاءا وفاقا لأنه أزال سبب السلب فوهبه الله سبب الامداد

أمره بالانتقـال الى طنطا

كان انتقاله بناء على أنه سمع من يأمره ثلاث مرات بالسير الى طندتا ليقيم بها فانه يربى فيها أبطالا ورجالا وهذا الانتقال من نوع الانتقالات التى تحدث للربانيين الذين عاهم الله بعنايته وعهد اليهم أمر القيام بدعوته ليقوموا بنشرها فى الأمكـنة التى يمكن أن تثمر فيها الدعوة وتلاقى فيها قبولا ــ وهو على نمط الهجرة التى كانت تحدث للمـرسلين ، وعلى غرار ما حدث لابـن العربى والشاذلى والمرسى وغيرهم كثيرون رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد تكون لتلك الهجرة أسباب تقتضيها كظلم بعض الحكام وتوافق اعدائهم من شياطين المجرمين على ظلمهم واضطهادهم واخراجهم من ديارهم بغير حق ، وقد لا يكون لتلك الهجرة أسباب خارجية تقتضيها وقد يجتمع السبب الخارجى مع الأمر بالانتقال ، ولم تدم اقامته بمكه طويلا بعد رحلته الى العراق لأنـه وصل الى مكة سنة ٦٣٥ ودخل طنطا سنة ٦٣٧ ــ وقيل كان وصوله الى مكة

سنة ٦٣٤ أى فى نفس السنة التى أنشأ فيها رحلة العراق ودخل طنطـا سنة ٦٣٥ وأيا ماكان فان اقامته بمكة لم تدم طويلا، ولايترتب على الاختلاف فى وقت دخوله طنطا الا أن اقامته بطنطا كانت ٣٨ سنة أو كانت أربعين ، وظاهر قول سيدى عبد العال خدمت الشيخ أربعين سنة فما رأيته غفل عن ذكر الله ، أن دخوله طنطا كان سنة ٦٣٥ لأنه توفى سنة ٦٧٥ وما بينهما هــو أربعون سنة كما يقول سيدى عبد العال

وكان نزوله بطنطا بشيرا بحلول الخير فيها وفتحا عمـرانيا لها وسـببا مباشرا لاشتهارها واقبال الناس عليها من كل صوب بسبب اقترانها باسمه وانتسابها اليه حتى صارت ثانية المدن التى تلى العاصمة فى علو الشان ووفرة السكان ، وأول مدينة تلى العاصمة فى القوة الروحية والنهضة العلمية والحركة التجارية ، وربما كانت أم المدن فى هدوء الحياة وطيب العيش وراحة الضمير ولم يكن لها من قبل شىء من هذه الميزات التى لازمتها وتتزايد فيها على مــر السنين ، وكانت تعرف قديما قبل الاسلام باسم طنتثا ثم عرفت بعد الاسلام الى زمن سيدى أحمد باسم طنتدا ، وبعده عرفت بطنت ثم عرفت بطنط ، ثم عرفت بطنطا ، ويظهر أنها كانت فى الأصل اسما مركبا من طن ومن ثثا تركيبا يشبه فى لغة العرب التركيب المزجى كبعلبك فانه اسم مركب من بعل ومن بك وقد يكون ثثا اسم لمن أنشأ قرية طن مثل نشا الذى أنشأ قرية طــن الثانية ونول الذى أنشأ قرية طن الثالثة من أعمال الدقهلية ثم دخل التحريف والتبديل على ثثا أربع مرات ولم يدخل على طن فى جميع العهود ـــ ويظهر أيضا أن طنتثا أنشئت على ربوات عالية أو تلال متقاربة مرتفعة عن ســطح الأرض قليلا بدليل تلك التدرجات والانحدارات التى تنتهى بها مســالكها وتتخلل بعض أجزائها ، وكان من بين تلك التلال التل الأحمر المجاور لدار شحيط والذى بنى مكانه سيدى عبد العال زاويته الاحمدية بعد أن أزاله بأمر سيدى أحمد البدوى قبل وفاته ، ولا يزال جزء من هذا التل الأحمر تقوم عليه أبنية مرتفعة بارتفاعه عن سطح الأرض فى الجهة المحادية للباب الشرقى للجامع الأحمدى ـــ ومن بينها أيضا التل الذى أقيم عليه مسجد البوصــة (البهى الآن) ولعــل الحداديين احتصوا بتل من تلك التلال وسب اليهم

وعرف تل الحدادين ، واشتهر على ألسنة الناس أن سيدى أحمد قال لا تقوم الساعه حتى تتصل أسية طنطا بأسية قحافة وكانت المسافة بينهما على عهده تقرب من كيلو مترين من الفضاء الفسيح والأرض المزروعة وبعض المستنقعات ، ويوشك الآن أن تندمج أسيتهما فى صعيد واحد

المنازل التى نزل بها مدة اقامته بطنطا

أول دار سعدت بنزوله فيها دار الشيخ ركن الدين ، وكان يدعى بالركن أيضا ، واشتهر بركين وكانت على مقربة من مسجد البوصة المعروف الآن بمسجد البهى ولعله أول مسجد نزل به وصلى فيه ، وقد يكون مبدأ التعارف بالشيخ ركن الدين وقع فيه أيضا وأقام فى هذه الدار اثنى عشر عاما تتابعت فيها الخيرات الدينية والدنيوية على ركين ، وذكروا من هذه الخيرات أن سيدى أحمد أخبر ركينا بأن البلاد ستواجه غلاء شديدا ترتفع فيه الاسعار ارتفاعا فاحشا ويكثر فيها الطلب ويقل العرض وأشار عليه بأن يشترى قمحا ويخزنه عنده بقدر ما تتسع له قدرته ليسمع الناس به ولا يحاجون فى طلبه الى مشقة وعناء ثم قال له واكراما لهم ولتبيعهم أرخصه لهم اذا احتاجوه فامتثل ركين لمشورته وصار يشترى قمحا بكل شىء يملكه أو تملكه نساؤه من حلى أو متاع حتى اخزن عنده ما يستطيع اختزانه وبعد أن حصل الغلاء وارتفعت الأسعار عما كانت عليه خمسة أضعاف استأذنه فى البيع فأذن له وقال بع للناس وسامحهم وأرخص لهم فى الثمن وادخر ذلك عند الله فربح من بيعه ربحا عظيما قام على أثره بأداء فريضة الحج وتكاملت عليه نعمة الدنيا والآخرة ، ويروى بعض المؤرخين أن هذا الغلاء وقع فى سنة ٦٣٩ أى بعد دخوله طنطا بستين أو بأربع سنوات على ما علمت ، وذكروا لسيدى أحمد مع ركين قصة وقعت له أثناء حجه تشبه فى موضوعها قصة آصف بن برخيا أحد كتاب سليمان عليه السلام ، وقد ذكرها القرآن وذكر أنه أحضر عرش بلقيس من سبأ باليمن الى سليمان بالقدس فى مقدار ارتداد الطرف فلما رأى سليمان العرش بين يديه قال هذا من فضل ربى ونحن نورد هنا هذه القصه كما ذكروها لأن فضل الله ليس حبسا على فريق دون فريق قالوا لما أراد ركين الخروج للحج استأذن سيدى أحمد فأذن له وقال له سافر

وتوكل على الله ويلاحظ أن اذنه له بالسفر قد اشفعه بطلب التوكل على الله وهذا الاذن بعينه وصورته الاذن الذى رواه الشعرانى ، وقد سمعه بأذنه الظاهرة من سيدى أحمد وهو فى قبره وبعد وفاته بما يقرب من ثلاث مائة عام حينما استأذنه سيدى الشناوى فى السفر الى القاهرة لقضاء بعض مصالحه ، فقال له من القبر سافر وتوكل على الله ، وهذا مما يدل على شدة حرص سيدى أحمد حيا وميتا فى اجاراته العيشة وأنه لا يسابق القضاء وممن لا يسبقونه بالقول ولما قال لركين سافر وتوكل على الله استأذنه فى أخذ عباءة له مفروشة بين يديه فلم يأذن له فأخذها ركين خلسة من غير اذن على سبيل التبرك باستصحابها ، وبينما هو راجع فى الطريق عند العقبة تفقد العباءة فلم يجدها ثم نظر فاذا هى تحت أقدام الجمال وقد أصابها بخاستهم فأسف ركين ثم غسلها ونشرها ثم اشتغل عنها ببعض مصالحه ثم جاء ليرفعها من مكانها فلم يجدها فأمعن فى البحث فلم يعثر عليها ولما وصل من العقبة الى مصر اشترى عباءة أرفع منها ثمنا ليقدمها الى سيدى أحمد بدلا من عباءته المفقوده ولما دخل عنده وجد العباءه مفروشة بين يديه فى المكان الذى اخذها منه قالوا فبهت ركين حتى كاد يذهب عقله ، فقال له سيدى أحمد لاتعجب ياركين فانك لما نشرتها جئت عليها فأخذتها ونشرتها فى مكانها والحمد لله على السلامة .

لمــــاذا اخلص فى خدمة البدوى

ان ركينا ككل الناس وككل تاجر لا يمكن أن يخلص كل هذا الاخلاص ولا يمكن أن يتسع رحابه للفقراء كل هذا الاتساع ولا يمكن أن يتفانى اثنى عشر عاما فى خدمة رجل بدوى لا يعرفه الا اذا كان عنده سند قوى ودليل واضح يحمله على تقديم هذه الخدمات وبذل هذه التضحيات وكان هذا السند القوى وذلك الدليل الواضح هو تلك الكرامات التى ذكرها المؤرخون والتى خلص بها قلب ركين من الشك والقلق وعادت على تجارته بالربح الوفير فالشك فى هذه الكرامات شك فيما يقتضيه العقل وتشهد بصحته الوقائع ، وذكروا أيضا من هذه الكرامات أن بعض الحكام أراد الاستيلاء على تجارة ركين فى الشعير لعلف الخيل والدواب ، وكان ركين يتجر فى العسل والزيت

والعلف ولم يكن يومئذ لدى التجار هذا النوع من العلف نظرا للغلاء الذى تقدم ذكره فخاف ركين على تجارته واشتكى الى سيدى أحمد أمره فقال له لا تخف يا ركين واذا سألوك عن الشعير فقل لهم الذى عندى دريعة أى تقاوى من الشعير النقى الذى يصلح للزرع وليس علفا للدواب فاذا قلت لهم ذلك صرفهم الله عنك ، فلما طالبوه بالشعير قال لهم عندى دريعة فنظروه فوجدوه شعيرا نقيا يصلح للزرع ولا يصلح للعلف فانصرفوا عنه ، ولم تزل السعادة تلازم ركينا حتى لقى أجله فانتقل سيدى أحمد من داره الى دار بن شحنط شيخ البلد — واختتم فيها حياته ودفن فيها على عادة الصالحين فى زمانه بعد أن مكث فيها ستا وعشرين سنة أو ثمان وعشرين سنة ربى فيها رجالا وأبطالا

كيف تعرف على سيدى عبد العال وهو طفل

لم يكن تعلق عبد العال الطفل سيدى أحمد وهو فى بلده شيئا اعتباطا وبدون ممتص بل لا بد أن يكون هذا الطفل شاهد بعينه ما حمله على أن يخلع نفسه من أحضان أمه ويلزم خدمة هذا البدوى الغريب ، وذكروا فى أسباب تعلقه به أن سيدى عبد العال كان يلعب مع الأطفال ، ولما رأى سيدى أحمد ورأى بيده سعفة من سعف النخيل بادر بطلبها منه على عادة الاطفال فطلب منه فى نظير هذه السعفة بيضة يضعها على عينه الرمداء يستشفى بها ، ولم يتنزل سيدى أحمد بعمل معاقدة بيع وشراء مع هذا الطفل الا لأنه يعرف أن هذا الطفل هو ضالته المنشودة وأمنيته التى وعد بتعهدها وتربيتها بل ربما كانت مبادرته طلبا وترك عادته فى العبادة وملازمة السطوح لهذا العرض السيل فرضى الطفل بهذه الصفقة الرابحة فذهب الى والدته السيدة زينب وذكر لها قصته فردت عليه بما اعتادته النساء من انكار كل ما هو موجود اذا طلب منهن فلم يراجعها طفلها بل صدقها فيما قالته وذهب الى البدوى وأخبره بما قالته فأراد سيدى أحمد أن يعرفه بنفسه ويغرس فى قلبه محبته بما يظهره له من صدق ويقين ، فقال له اذهب أنت بنفسك الى الصومعة تجد فيها بيضا فائتنى بواحدة منها فتعجب الطفل من أن أمه التى فى البيت تنفى وجود البيض والرجل البعيد عن البيت الغريب عنه يعلم أن فيه

سومعة وأن فيها بيضا فذهب ليتأكد صدقه فوجد الامر كما أخبره فأخذ له نصفه وأعطاه اياها ، ومن هذا الدرس العملي تعلق سيدى عبد العال سيدى أحمد ولازمه ولم تقدر أمه على أن تحول بينه وبينه ، ولمرارة فراق ابنها لها كانت تذكر ولدها فى غيبته عنده وتقول يابدوى الشؤم علينا فكان اذا بلغه قولها وهو بطنطا يقول لو قالت يابدوى الخير علينا لكانت أصدق ، ويظهر أن السيدة زينب أظهرت قلقا كثيرا على فراق ولدها وفهمت أن البدوى قد اغتصبه منها اغواء واغراء فأرسل اليها وهو بطنطا يطمئنها على ولدها وقال فى رسالته هو ولدى من يوم قرن الثور ، وذكر لها أن له يدا عليهم من ذلك اليوم فتذكرت حادثة الثور التى حدثت لابنها وهو فى المهد اذ وضعته بالقرب من معلف الدواب أو على حافة المعلف كما هى العادة فطأطأ الثور رأسه ليأكل من المعلف فتعلق قماط سيدى عبد العال بقرن الثور بسبب التحركات والاهتزازات التى تحصل من الدواب عادة عند بحثها فى معلفها عما تتخيره من علفها فرفع به فى الفضاء وهو مشدود بقرنه وفوق رأسه وأعجزهم تخليصه من رأس هذا الثور الثائر ولم ينج من هذا الحادث الا بأعجوبة ، وذكر لها سيدى أحمد أنه كان مصدر هذه الأعجوبة ، ذكر لها سيدى أحمد هذه الحادثه وهى تعلم أنه لم يشهدها ليبعث فى قلبها الطمأنينة على ولدها وأنه فى رعاية صادقة وعناية ربانيه تحوطه الى الأبد وقد كان فلم يكن بدوى شــؤم عليهم بل كان بدوى خير على ولدها وعلى سائر أسرته وذريته أجمعين .

القابه وما ترمى اليــه من دلالة

لسيدى أحمد ألقاب كثيرة اشتهر بها على ألسنة الناس انترعوها مما شاهدوه من صفاته الجليلة واقتبسوها مما عرفوه من مســاعيه الحميــدة وأطلقوها عليه بدون أن يكون له غرض فى وضعها له ، وحاشاه أن ينصرف عن الجوهر ويلتفت للعرض ، ولكونهــا ذات تأثير عظيم فى ايضــاح درجته الروحيه والعلمية آثرت أن اتعرض لها موضحا ما يمكن ايضاحه مبتدئا بأحد ألقابه التى لم يشتهر بها بين الناس من قبل .

لقب البدوى فيما نعرف هو لقب أبيه ولم يخطر بخاطرى أنه لقب لسيدى أحمد وربما لم يخطر ذلك بخاطر الكثير من الناس الا أنى سمعت له هذا اللقب وقد ألقى الى كما يلقى بعض الكلام على الناس فى أثناء نومهم سمعت من يكلمنى ويقول « ان وقوفك مع البدوى كان سليما » وسبب ذلك انى كنت رجوته فى مسألة اقصد منه معاونتى على قضائها فبدالى منه أنه على أهبة المعاونه الا ان الذى حدث بعد ذلك هو أنى كظمت نفسى ، وتراجعت فى رجائى حسبة لوجه الله أو خشية من الله ، فسمعت من كل الجهات من يقول لى « ان وقوفك من البدوى كان سليما » فقلت لعل لقب البدوى عرفت به الأسرة كما عرف به والده فذكرت ذلك فى أشرف الصابه تأسيا

بدوى

هذه النسبة لأنه يشبه أهل الباديه فى ملازمة اللثام ولم يثبت اطلاقا أن أحدا من اخوته لقب بالبدوى غيره حتى يكون سبب هذه النسبة سكناهم للباديه ، كما لم يثبت أن أحدا منهم التزم اللثـام مثله حتى تكون عاده له موروثة عن أهل البادية ، على أنه لم يثبت فى التاريخ اطلاقا أن أحدا منهم أقام فى البادية كما قدمنا ، ولو كانت نسبة البدوى لأنه كان يسكن البادية لكان حسنا وجميلا لأن سكنى البادية هى عاده العرب وفيها سعادتهم وهناءتهم ، وقديما قال يوسف عليه السلام لأبيه واخوته وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو ولكننا نقرر الحقيقة كما قرأناها فى تاريخه ، فنسبة البدوى لأنه كان يشبه أهل البادية فى ملازمة اللثام

الملثـم

اللثام غطاء يثبت فوق الرأس فتدلى ذوائبه على الوجه فتستتر جميع أجزائه ما عدا العينين ، والرامه رضى الله عنه لبس لثامين متطابقين بعضهما فوق بعض صيفا وشتاء يدل دلاله واضحة على أنه لم يكن غرضه مجرد لبس اللثام كما هى عادة بعض الأعراب والا لتأدى هذا الغرض بلبس لثام واحـد وأيضا لما كان هنالك ما يدعو الناس لامتداحه بالملثم ما دامت هـذه عادة

لبعض الأعراب ، وإنما كان غرضه من اللثم هو ستر أحواله التى تظهر على وجهه ، والتى تنشأ عن مشاهدته التى كانت تتوالى عليه قبضا وبسطا فتتغير أعراض وجهه تغيرا ملحوظا تبعا لتلك المشاهدات فعلى أثر تلك المشاهدات يبدو الوجه أبيض شديد البياض من غير سوء بحيث يسترعيك بياضه وأحيانا يبدو الوجه أحمر شديد الحمرة يشبه أطباق الورد بحيث تسترعيك حمرته وتلك فى حالات البسط والرضى ، أما فى حالة الخوف والقبض فيبدو الوجه أصفر شـــديد الصفرة بحيث تستنزف الدمع صفرته لشبهـــه حينئذ بالأموات ــ فلتوالى تلك الأعراض على وجهـــه كان يتستر باللثام ولشـــدة وضوحها من علوه فى المشاهده كان يبالغ فى ســـترها بلثامين اثنين ، وقـــد شاهدت شيئا من تلك الأعراض كانت تبدو على وجه سيد شريف مقعد بالهر التسعين عاما كنت أعرفه من عهد بعيد ، وكان ممسكا فى طريق القوم فصل تمكن ، وكان رضى الله عنه صريحا اذ يقول لى أن هذه التغيرات والأعراض التى تظهر على وجهه من أوضح العلامات التى يتميز بها الولى من الدعى لـــكنى لم أصعق من مشـــاهدتها فى وجهه كمـــا صعق ســـيدى عبد المجيد أخو سيدى عبد العال لما شاهدها فى وجه سيدى أحمد البدوى حين كشف له اللثام ليعرف وجهه ، ولعل سيدى أحمد قد خص بمرية موسوية تبدو على وجهه من كثرة مشاهداته واتخذ من أجلها اللثام كما خص سيدنا موسى ببياض يده معجزة اذا أخرجها من جيبه ، وخر سيدى عبد المجيد من أجلها صعقا حينما فاجأته تلك الظاهرة العجيبة ولذلك نصحه وحذره سيدى أحمد فلم يسمع النصح ولم يقبل التحذير .

أبو الفتيـــان

الفتوة درجة من درجات الصـــديقين والمتصف بها يسمى فتى وأهل الفتوه يسمون بالفتيان ، وقد وصفهم ابن العربى بأنهم أهل علم وافر لاتصدر عنهم حركة واحدة عبثا ، سواء كانت حركه قلبية أو حركة بدنية فاذا صدرت عنهم حركة من هذا النوع عوقبوا عليها عقابا صارما مقارنا لصدورها منهم ، يدركون ألم العقاب ويحسون أثره ولايرون وقعه، ومن أئمتهم الروحانيين أبو الفتيان سيدى أحمد البدوى الذى كنى بحق بهذه الكنيه واشتهر بهـــا

حتى علت عليه فى عرف الناس ، وله فى تربيتهم باع طويل يصعب فهمه كما يصعب وصفه ، وأقل وصف له هو دوام اشرافه بنفسه على مراقبة جميع حركات فتيانه سواء كانت حركات بدنية أو حركات قلبية وانزال عقابه الصارم بهم عند الاخلال بأى حركه من الحركات أو خطرة من الخطرات غير المشروعة أو المشروعة التى انصرف القلب معها عن توجهه الى الله كأنه يراه

والفتى فى اللغة هو الشاب وهى حالة بلوغ الأشد الى حالة الكهولة ، وللازمة القوة لحالة الشباب أخذوا الفتوة الروحية من ماده الفتى لأنها تنبىء عن القوة الروحيـة التى لا تصارعها قوه ، كما أخذوا الفتوة البدنية التى لاتصارعها شجاعة من هذه المادة أيضا وقد قيل عن سيدى أحمد أنه لم يكن فى سكان مكة والمدينة أشجع منه ، وقيل عنه ليس فى أوليـاء مصر من هو أكبر دونه منه كما اشتهر بين العلماء وغير العلماء الذين لايتسرب الشك الى صـدورهم فى اخبارهم بتربيته الروحية لأهل الصـدق فى الدين من المؤمنين العاملين كما شوهد فى حياته أنه ربى أبطالا ورجالا لا يحصون وكل ما قيل عنه واشتهر به وشوهد منه له من أعماله الصالحة ما يدعمه ومن أحواله الصادقة ما يصدقه فكان جديرا بكل معنى الجدارة بأن يلقب بالفتى وأن يكنى بأبى الفتيان وأن ينادى بها فى كل زمان ومكان

السيد والسيد بكسر السين

السـيد هو أجل القوم قدرا ، وسائد القوم دون السيد فى الشرف ، والسيد بكسر السين السمع وفى كل من السيد والسيد معنى الرياسة والزعامة المستمدين عن الشرف ، واشتهر بالسيد كل من ينتمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب لشرفهم المكتسب من نصحته الطاهرة ولجلالة قدره عليه الصلاة والسلام وظهور فضله على العالمين أطلقوا عليه سيد المرسلين، وتوسعوا عرفا بعد الغاء الألقـاب فى الدولة باطلاق السيد على كل مواطن حسن كريم ولاجتماع أسـباب السياده فى سـيدى أحمد وتوافر صفاتها فيه أطلقوا السيد عليه حتى صار لا يعرف من السيد عند الاطلاق الا البدوى وحده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقب أصحابه ألقابا لمعان نفسية امتازوا بها ، وظهرت فيهم واضحة من بين صفاتهم التى اتصفوا بهـا فيقول فلان

أسد من أسد الله أو سيف من سيوف الله ، ولو راعينا المعانى الحقيقيه التى أشربها روحانية البدوى ولاحظنا مشربه من بين المشارب المعروفه عند القوم لم تتحط الحقيقه قيد أنملة اذا قلنا عنه فى صراحة يقينية انه أسد من أسد الله تبارك وتعالى فلم يكن تعرضنا فى أول الكلام لبيان معنى السيد بكسر السين استطرادا بل لنلفت النظر الى أن ما اتسمت به روحه القوية من هـذا المعنى الذى تتمثل به كلما عن لها ذلك لما يجوز أن يكون هذا اللقب عند المعنيين بالحقيقة هو السيد بكسر السين ولكنه اشتهر بالسيد لأنه الطـاهر المعروف عند الناس ، ولما كان حقيقا بهذا الطاهر المعروف كما قدمنا لقبوه به أيضا

وما أنذر به البدوى الأسـتاذ الشعرانى حينما تخلف عن الحضور فى مولده من تركه سبعين أسودين عظيمين يشبهان العيلة لايفارقانه حتى يحضر مولده فيه تعزير قوى لهذا اللقب المريد لأنه لايتحكم فى الأسود الا سيدهم

وقد وقعت لى فى مقامه الطاهر قصة تعزز ذلك أيضا ، وهى تتلخص فى أنى كنت جالسا فى المقام فاذا أنا برجال يقومون بعملية كنس للمقـام غير من أعرفهم من الكناسين كأنى أنظر اليهم عيانا وأنا جالس فاستغربت ذلك فى نفسى وقلت هل هناك من يقوم بعملية كنس المقـام غير الكناسين المعروفين فجمعوا الكناسة أمامى كلها وبعـد أن جمعوها اذا سبع عظيم ربنى اللون يميل الى الحمرة لا أنسى ملاحته وأنسى به جاء من أعلى الضريح ومد يده الى الكناسة التى جمعوها أمامى فالتقط برائنه حصاة دقيقـة ثم عاد الى مكانه فى الضريح ولم أفهم ما يعنيه هذا الأسد ولكنى بعد أيام حصل عندى حصر تام فى البول هدد حياتى بالخطر فذهبت الى ثلاثة من الأطباء فى ساعات معـدودات أمكن لآخرهم أن يخرج البول بآلة خاصـة بذلك ثم عاد البول فاحتبس فأعدت عملية اخراج البول المتقدمة ومكثت على تلك الحالة سـبعه أيام تغير بعدها لون البول كأنه انذار بتسممه فدخلت احدى المستشفيـات الكبرة لاجراء عملية جراحية مهما كانت نتيجتها ، وبعد مكثى يوما ثامـنا على النظام المتقدم أحضروا أدوات العملية والسوبى لباسها فقمت لقضـاء حاجتى فى بعض المرافق وبعد خروجى من قصائها مباشرة ـــ وقع نظرى على حمام متسع مرصوف بالرخام الأبيض النقى فدخلت الحمام لا لسبب وجلست

المرفصاء فى مسععه المسيح ثم عن لى أن أنظر ثانيا هل يرل منى البول قبل احراء العملية فلم يرل ولم أر أمامى الا قطعه سوداء تشبه « شوك العمم » وقدر نواه الريتون الصغيره ، فقلت عجيب أن تكون هـذه القطعة السوداء متروكة وحدها فى هذه الأرصفة السماء ولما تأملها قلت هـذه لاشك هى الحصاة فسألت نفسى كيف خرجت ولم أشعر بها مع أنها ذات أشواك ومع أنه لم يرل معها شىء من البول فأخذتها وأطلعت عليها رجال العمليـه الذين كانوا فى انتظارى فهللوا وكـانت دهشتهم عظيمة وقالوا اصبعاهذه كرامة من السيد البدوى أكرمك الله بها فذكرت سريعا عملية كنس المقام ودور الأسد فيها والتقاطه الحصاة من بين الكناسه بمرائيـه وتحققت أن هذه العمليـة العجيبة هى عملية ذلك الأسد العظيم

القطب النبوى

قطب الرحى هو العمود المثبت فى قاعدتها القائم فى مركز القـاعده ، وعليه يدور جرؤها الأعلى اذا تطابق مع القاعدة بواسطة هذا العمود والنجمة القطبية هى النجمه السابعة فى طرف الدب الأكبر الذى يظهر فى السماء بعـد العشاء فى كل ليلة اذا جعلتها خلف الأذن اتجهت بواسطة هـذه النجمه الى قبلة الصـلاه ، ولكون الرحى لاينتظم دورانها الا بواسطة قطبهـا ، ولكون التوجه الى قبلة الصـلاة لا يتم الا بواسطه النجمه القطبية السابعه ، أطلق علماء التصوف لفظ القطب على كل من ينتظم أمر العبـاد به وترحم الأمة بواسطته وكل من يوجهك الى الله ويعرفك به ، وقطب رحى الوجود وقطب الهداية الى الله هو رسول الله صلى الله عليـه وسلم لأنه هو الذى انتظم أمر العباد به ورحمت الدنيا بواسطته وهو الذى وجهنا الى الله وعرفنـا به وقطب زمانه هو كل من سار سيره الرسول فى العمل وقام مقامه بطـريق النيابة فى هداية الناس الى ربهم وتعريفهم به

والقطب النبوى والشريف العلوى هو سيدى أحمد البدوى ، وانمـا سمى بذلك لأن المعانى التى من أجلهـا سمى القطب قطبا والصفـات التى لوحظت حينما وضعوا هذا الاسم للدلالة على مسماه كل هذه المعانى اجتمعت

له وتحقق فيه ، يعرف ذلك كل من درس بعناية تاريخ حياته وتفقد سمعه حلاله وأعماله وأدرك سور عمله ماجرى على يديه ويجرى من هداية الناس وتعريفهم بالله تعالى ولا يعلم الا الله كم هدم من أعمال وكم هدى الى الله من رجال وكم عرف بالله من أبطال ، وانما سمى سويا لأن كل قطب ينال هذه المرتبة عن شيخه الذى رباه وشيخه ينالها عن شيخه الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويظهر أن سيدى أحمد لم ينل هذه المرتبة عن طريق أحد من الشيوخ بدليل مقالته الشائعة فى تاريخه أنا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح فلم يأخذه من الكيلانى ولا من الرفاعى ، وانما مفتاح فتحه من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اشتهر بأنه القطب السوى منسوبا الى شيخه الذى رباه .

جياب الاســير

قال السيوطى والشعرانى وغيرهما أوثر عن البدوى كرامات وخوارق أشهرها قصة المرأة التى أخذ الفرنج ولدها فلاذت به فأحضره اليها فى قيوده، وقد انتشرت هذه القصة بين أفراد الشعب وتساقلها المداحون على أبواب البيوت عدة قرون فكان هذا دليلا واضحا على ثبوت هذا اللقب له ــ ولهم فى ذلك عبارة عامية سجة كثيرا ما طرقت الأسماع ببساطة مبناها ولكن معناها يتضمن معنى ذا مغزى عميق الأثر وهو قولهم «الله الله يابدوى جاب اليسرى» فهذه الكلمة على سذاجتها احقاق للحق أنطق الله بها ألسنة الخلق وأقلهم شأنا ليكون عظة واعتبارا لقوم يعقلون ، اذ معناها الله الله يابدوى هو الذى جاء باليسرى لا أنت ، فهو تذكير للمحلى بقدرة الحق ليوحدوه فيحمدوه عند حاجتهم اليه فهو على غرار قوله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وجيـاب اليسر كلمة منحوتة من جاء بالأسير وهى تدل على المبالغة فى كثرة مجيئـه الأسارى، كما تقول فلان خراج من البيت وولاج فيه اذا دخل فيه كثيرا وخرج منه كثيرا وهذا اللقب بما فيه من المبالغـات يدل على كثرة مجيئـه بالاسارى من بلاد النصارى على حد تعبيرهم ــ ولعله أحضر من الأســارى أكثر من واحد ــ لأنهم ذكروا أنحراس الأسارى من الصليبيين كانوا يوقعون

عقابهم الصارم على من ينطق باسم السدوى من الأسارى فى معتقلاتهم — وما ذاك الا لتكرر مسئولياتهم أمام رؤسائهم عما يحتمى من الأسارى من معتقلاتهم ،ولأن الصليبيين احتطوا طلما واقتصوا عدرا عددا كثيرا من طبقات الشعب المصرى والشعب لايمكن أن يصبر ويقنع من سيدى أحمد بمحو أسر واحد لامرأة واحدة من بين تلك الطغمات ، وقد أظهر استعداده لمثل هذه العملية عمريب من الحن على عهد سلمان وناشر مثالها آصف بن برخيا كاتب سليمان وما كانت روح السدوى أقل استعدادا من روح شيطان وما كان الله ليكرم كاتب سليمان ولا يكرم خادم القرآن وتلميذ سيد ولد عدنان — وليس الاحتفاظ الى الآن بالقيود والأغلال التى كانوا يغلونهم بها ونقاؤها فى أيدى أبناء الأسارى ودرياتهم الى الآن يظهرون بها فى موالد البدوى السنوية فى العهود الأخيرة الا من أقوى الشواهد على صحة هذا اللقب واثباته للبدوى

بحر العلوم ومعنى قوله سواقى تدور على المحيط

بحر العلوم لقب من ألقابه ياديه الناس به ولقبه به الدريبى بعد أن ناقش معه فى بعض المسائل العلمية فكان اذا سئل عنه يقول هو بحر لايدرك له قرار ، والحقيقة أن من يمارس سيدى أحمد البدوى يدرك أن علومه ومعارفه الربانية من طراز فوق متناول العرف ومنتهى العقل ولا يسع من يسمعها الا أن يعترف بما اعترف به الدريبى ويبحث كيف تصدرهذه المعارف من عقل انسان — وقد وصف لنا علومه وأسراره ومعارفه فى عبارته المشهورة التى نقلها عنه كثير من المؤرخين وهى قوله « وعزة ربى سواقى تدور على المحيط لو نفد ماء سواقى الدنيا مانفد ماء سواقى » فليس البحر المحيط الذى يعنيه فى هذا التمثيل الا سيد المرسلين وليست هذه المياه الا العلوم والمعارف والأسرار السوية التى يستقى منها علومه ومعارفه وأسراره كما قال المفسرون فى قوله تعالى «أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها» فأرادوا من الماء المعارف والعلوم ومن الأودية القلوب التى سالت بهذه العلوم والمعارف — ولا يصح معنى هذه العبارة تمام الاتضاح الا اذا بينا ما هو المراد بالسواقى — قال فى القاموس السواقى جمع ساقية والساقية النهر

فالسواقى الانهار الكثيرة يقول سيدى أحمد انه له سواق كثيرة أى أنهار كثيرة يسمى من هذه الأنهار علومه ومعارفه وأسراره المتنوعة تنوع تلك الأنهار ، ويعنى بهذه الأنهار السادة العمرين رضى الله عنهما والسيدة الفاضلة الزهراء وكريمتها السيدة الطاهرة وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهم اجمعين فان مدده متصل بهؤلاء جميعهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة — فالسيدة الزهراء تغترف من جانب وكريمتها من جانب آخر والسادة العمرين وأمير المؤمنين يغترفون من معين آخر ، كل على حسب ما أتيح من مشروب وقدر له من شراب ، والبدوى رضى الله عنه قد اغترف من هذه المشارب كلها فاجتمعت له هذه السواقى كلها يغترف منها حيث شاء وكما يشاء وليست لفظة الدوران الا ترشيح لهذا التمثيل ذكرها لما ذكر لفظة السواقى لو نفدت مياه أنهار الدنيا مانفدت مياه أنهاره لأن مياه أنهاره كما علمت مستمدة من ذلك المحيط الأعظم صلى الله عليه وسلم ولو نفدت علوم الأولين والآخرين ما نفدت علومه ومعارفه ، كيف والأنبياء جميعهم ستقون من ماء معينه

والمعنى الحقيقى لهذه العبارة تحملتها أن معارفه وأسراره وعلومه متنوعة تنوعا كثيرا ومستمدة من حضرة الرسول مقتبسة منه بطريق مباشر ويصف تنوعها وتكثرها بأن معارف أهل الدنيا لو نفدت ما نفدت معارفه كأنه يقسم بعزة ربه أنه بحر العلوم الذى لاساحل له ولهذا لقب بهذا اللقب

الزاهـــــد

لقب بهذا اللقب وهو لم يتجاوز السابعة من عمره بفاس وعاش تسعة وسبعين سنة ولم يترك شيئا يورث عنه الا عباءته وقميصه وعمامته ومهراشه ومسبحته — ويكفى فى معرفة زهده فى الدنيا بيانه للزهد بأنه مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية اطلاقا وأن يترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام

أبو فـراج

فرج الله الغم بالتخفيف ، وفرجه بالتشديد كشفه . وفراج مبالغة فى كشف الغموم ، وأبو فراج الكشاف للغموم ، وهى كنية اشتهر بها سيدى

أحمد وانفرد بها وحده تدل على اختصاصه بمزية اقتضت هذا الانفراد ، ولعل نوعا من العطاء الذى اختصه الله به يختص بتفريج الأزمات وتيسير الحاجات وتسهيل الكربات

وهذا النوع من العطاء يجعل باب الرجاء أمامه فى الله متيسرا واحتمال حصوله متحققــا ، لا سيما فى الأزمات الخطيــرة والأقضيــة المذهلة التى تنوء باحتمالها القدر والتى استحقها العبد بما كسب وعفى الله فيها عن كثيــ وقد يمكن استخراج هذا النوع من العطاء من كلام سيدى أحمد نفسه ومن قوله ان الفقراء كالزيتون وفيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له ريب فأنا ربته أســاعده فى جميع أموره وقضاء حوائجه لا بحولى ولا بقوتى ولــكن ببركة النبى صلى الله عليه وسلم فبركة النبى صلى الله عليــه وسلم وبقوة اتصال سيدى أحمد بهــذه الحضرة تتوالى تفريج الأزمات وتتــكاثر تيسير الحاجات وتترادف تنفيس الكربات حتى عرف عند الناس بأبى فراج هذا وان كل المحاولات التى تقدمت والتى أحاول فيها أن أوضح فيها معنى هذه الكنية لم تقنعنى بأن أوقفت القارىء على معنى هذه الكنية والحقيقة أن معنى هذه الكنية سر من أسرار طريقة البدوى الخاصة به وحده ولهذا اختص هو وحده بهذه الكنية دون غيره من الأولياء ــ وخلاصة ما يمكن ذكره فى هــذا المقام أنه رضى الله عنه اختص بباب من أبواب الفرج اختصه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف بسببه بأبى فراج وما وراء ذلك ندع سره الى الله والله أعلم

أبو العباس

فى القاموس العابس والعبوس والعباس هو الأسد ــ وكأن معنى عبس وجهه تغير وجهه من الغضب حتى بدت عليه ملامح الأسد ــ ولكون سيدى أحمد أسدا من أسد الله كما قدمنا بيانه فى لقب السيد والسيد بكسر السين وضعوا له هذه الكنية فكنوه بهذه الكنية كما كنوا بها كل من تسمى باسم أحمد وكأن على هذا القدم ــ وتوسعوا عرفا فى اطلاقها على كل من اســمه أحمد ولو لم يكن على هذا القدم كما توسعوا فى اطلاق أبى خليل على كل ابراهيم ولو لم يكن خليل الرحمن وكما توسعوا فى اطلاق أبى عوف على كل عبد الرحمن ولو لم يكن عبد الرحمن بن عوف .

سمى

القدوس اسم من أسماء الله تعالى معناها الطاهر وقدس الله وطهره معناه تنزهه عن كل وصف يدرك بالحس أو يتصور بالخيال أو يقضى به التفكير وكذا تنزهه عن كل ما يعده الناس عيبا أو نقصا — وقدس العبد وطهره معناه تنزهه عن أن تحوم نفسه حول الحظوظ البشرية التى ترجع الى لذة الشهوة ومتعة المطعم والملبس والمشرب والملمس وسائر الملذات الدنيوية وقصر همته على التوجه الى الله بحيث لايبقى له حظ الا فى الله ولا يكون له شوق الا الى اللقاء به ولا فرح الا بالقرب منه ولا أنس الا بمشاهدته وهذه الصفات التى ذكرناها فى بيان معنى قدس العبد هى نفسها التى تقرؤها فى تاريخ سيدى أحمد من أول فصل فى تاريخه الى آخر فصل فيه وهى التى من أجلها سمى قدسيا

الصامت

كان البدوى يعد الذكر باللسان شقشقة — ويعول على الذكر بالقلب لأن الذكر بالقلب أعمق أثرا وأكثر عددا وأعظم نفعا لأنه كلما دار الاسم على اللسان مرة دار فى القلب أضعاف هذه المرة لسرعة جريانه فى القلب على سرعة جريانه فى مخارج الحروف وشتان بين جريانه فى القلب وجريانه فى مخارج الحروف ومن ضرورة الذكر بهذه الصفة ظهور الصمت فى اللسان وظهور السكون على أعضاء البدن ولعلة أوقات الذكر عليه غلب عليه الصمت حتى عرف بالصامت وهذا علاوة على أن الصمت ركن من أركان الطريق المشهورة ومن هنا فضل بعضهم العزلة على غيرها

ولى الله

فى القاموس الولى المحب والنصير ثم قال وهو أى الولى اسم مأخوذ من الولى بسكون اللام ومعناه القرب والدنو فولى الله تعالى بمقتضى الاطلاق اللغوى يعتبر فيه أن يكون محبا لله نصيرا لديه قريبا منه قربا يدنيه من حضرته فمن لم تجتمع فيه هذه الصفات لايكون وليا لله فى اللغة — ويرحم الله من أدخل فى عداد الأولياء من لا ينطبق عليهم معنى الولى حتى فى اللغة

وقبل أن نبين للقارىء معنى ولى الله نبين له أولا معنى ولى الناس الذى ذكره القرآن فى كثير من آياته ليتيسر الفرق بين الوليين، وقد قلنا فى مناسبة ان بعض الناس يشتبه عليهم الولىان فيخلطون بين ولى الله وولى الناس فيحملون هذا فى موضع ذاك وبالعكس فيذكرون مثلا فى تعريف ولى الله قوله تعالى «ان وليى الله» وقوله «انما وليكم الله» مع أن قوله انما وليكم الله وقوله ان وليى الله ونحوها نحو فالله هو الولى كلها فى بيان ولى الناس لا فى بيان ولى الله وهو خلط واضح نشأ عن جهل هذا الفرق . وكيف يعرف ولى الله بولى الناس هذا جهل

وذكرت أن المعترض على سيدى أحمد هو الذى عرف هذا التعريف فى كتابه السيد البدوى ، أما ولى الله أو أولياء الله فقد أوضح القرآن أوصافهم بقوله «ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» فبينت الآية أن من أخص صفاتهم الايمان والتقوى وقد وصف الله المؤمنين بقوله «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم» واضطربت من مجرد ذكره هيبة وجلالا ولا يضطربون عند مجرد ذكره الا اذا عرفوا هيبته وجلاله كما يضطرب قلب المحب بمجرد ذكر حبيبه وهذا أحد أوصاف خمسة للمؤمنين ذكرت كلها فى هذه الآية ويطول بنا الحديث اذا نحن تتبعناها ويكفى هذا الوصف فى التعريف بايمان أولياء الله تعالى ، الوصف الثانى من أوصاف الأولياء ذكره بقوله وكانوا يتقون أى يخشون ربهم ويخافون سطوته فتحاشوا كل ما يوقع فى الاثم من فعل معصية ولو صغيرة وترك طاعة ولو مندوبة وأقبلوا على ربهم بكلهم فاذا استقاموا على الايمان كما وصفنا وعلى التقوى كما بينا استقامة مثل الاستقامة التى طلبها الله من رسوله فى قوله «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » فقد تحققت فيهم أوصاف الأولياء وكانوا أحقاء بأن يطلق عليهم اسم أولياء الله سواء أكانوا تجارا أم صناعا أم حكاما أم علماء أم فلاحين أما اذا لم تتحقق فيهم هذه الأوصاف فيجب بمفهوم القرآن أن تنفى عنهم الولاية حتى يكون مالله لله وما لقيصر لقيصر — فولى الله عبد بلغ من تفانيه فى حضرته وتهالكه

فى خدمته أن قربه الله منه وأدناه من ساحته ، حتى أنه سبحانه شرفه أعظم تشريف وكرمه أبلغ تكريم أنظر كيف أضاف ولايتــه الى الله نفسه فسماه ولى الله وفى هذا أكبر تشريف لايخفى على الفطن الاريب لأنه تولى الله سبحانه فى طاعته بالسنه لناس ولايته فكان لله وليا ــ والمعترض على ســيدى أحمد البدوى يطلق كلمة ولى الله على من اتقى الشرك بالله وقال لا اله الا الله هذا هو ولى الله عند حضرته ــ ومعلوم أن هذا الاطلاق لاتساعد عليه اللغة لأن الولى كما قلنــا معناه المحب والنصير ــ ومأخود كما قلنــا من مادة القرب والدنو فكلمة الولى من حيث اللغة ينتظم فيها بحسب معناها أن يكون العبد محبا لله ونصيرا له وينتظم فيها بحسب مأخذها أن يكون العبد قريبا من الله قربا يدنيه من حضرته ــ وهذا قد لايتحقق فى خواص الناس فضلا عمن اتقى الشرك بالله وقال لا اله الا الله ــ وكما لاتساعد عليه اللغــة يكذبه القرآن نفسه لأنه تعالى وصف عباده المقربين بأنهم قليلون فى قوله « ثلة من الأولين وقليل من الآخرين» فكيف يطلق أولياء الله المقربين على كل من هب ودب حتى من سنت فروبه وطالت آدابه، انما ولى الله هو عبد أحب الله حبا صادقا ونصر دينه نصرا حقيقيا وقرب منه قربا حقيقيا ، ولاتتحقق المحبة الصادقة بين اثنين الا عن تعارف بينهما فهو عبد عرف ربه فأحبه ولاتتحقق نصرته لدينه الا اذا حافظ على كل ما يقتضيه الدين ثم قام بدعوة الناس الى هديه المستقيم ولا يتحقق قربه منه قربا حقيقيا الا اذا شاهده فأدناه من حضرته فاذا أحب الله كذلك ونصر دينه على هذا النحو وقرب منه هذا القرب فهو الولى حقا وتاريخ سيدى أحمد كله يدور فى هذا الفلك فكان جدير بأن يلقب بولى الله

العطـــاب

ذكروا أنه اشتهر بالعطاب لكثرة ما كان يقع من الضرر لكل من آذاه ، وفى اشتهاره بهذا أمارة قوية على أن الله يعصب لغضبه ويحــارب من حاربه وأنه كان من الصادقين فى معاملتهم لربهم ومن المتوكلين عليــه حق التوكل ، وكثرة الضرر لمن آذاه لاتعنى اضطراد الضرر كلما أودى فقد يكون الضرر الأنكى فى التــأخير لا فى التعجيل ، والعطب من ضروريات الفتوة التى لقب

بها وأوصحاها فيما سبق فمن صروريات الفتوة البدنية اصابته من بارانه وعالته بالضرر والعطب ولذا سماه أخوه بالعطاب لفتوته البدنية وهو أيضا من ضروريات الفتوه الروحية ، لأن الفتى الروحى أقدر فى الانتصار واصابه العرض من الفتى الشجاع

المعرفة بالله هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله ولا يصح أن يطلق الولى على أحد من الناس الا اذا حصل على هذه المنزلة ، ولذا جعل سيدى أحمد المعرفة أولى علامات الولى وجعلها علماء التوحيد أول كلمه فى تعريف الولى بأنه العارف بالله تعالى المواظب على طاعته الى آخره ، وانما رددنا هذا الترديد وقلنا أن المعرفة هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله لأن الأولياء فى معرفتهم لله على صنفين صنف يمن الله عليه بمعرفته فى بداية أمره فشهد أول ما يشهد فى سلوكه ذات الله تبارك وتعالى وبعد أن يفيض الله عليه ماشاء من أسراره يرده الى التعرف بصفاته ثم بأسمائه ثم الى مشاهدة الآثار وصنف يشهد فى سلوكه الآثار أولا ثم ينتقل منها الى معرفة الأسماء ثم الصفات ثم الذات ولهذا قلنا أن المعرفة هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله ، ومن هنا قال بعض كبار المتصوفة كلمته المشهورة ان بدايتنا نهاية غيرنا لأنه كان من الصنف الذى من الله عليه بمعرفته أولا فى بداية أمره

وليس المراد بمعرفة الله تعالى العلم به عن طريق الأدلة العقلية التى لاتحتمل شكا أو عن طريق الخبر الصادق أو عن طريق الحواس الظاهرة بل معرفته عن طريق الشهود بالبصائر فتكون المعرفة غير العلم

وتعبير العارف عن غير العارف عسير وشاق لأن معرفة الله سر من أسراره ولا يمكن أن يدعيها عارف مهما سمت درجته اللهم الا أن يكون طريق تلميحى فقط وفى كلام المتصوفة كثير من هذه التلميحات وفى كلام الرسول بعض من هذه التلميحات ، فقد سأله أصحابه هل نرى ربنا يوم القيامة فأجابهم عليه الصلاه والسلام بقوله وهل تمارون فى القمر ليس دونه سحاب فقالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه كذلك ، فقوله عليه الصلاة

والسلام فانكم ترونه كذلك تلميح منه بأنه عارف بربه حق المعرفة وان كان ظاهر كلامه أن رؤية الله تكون في القيامة من الوضوح بحيث لاتخفى على أحد كما أخابهم أيضا في مناسبة أخرى بقوله نور أنى أراه، ولم يترك الله تبارك وتعالى عباده في جهالة من معرفتـه كيف وهو لم يخلقهم الا ليعرفوه قال تعالى «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» ، فهو سبحانه ذكر العلة الباعثة على المعرفة وهى العبادة والا فالغاية الوحيـدة من الخلق هى المعرفة ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما العلة بغايتها فقال ليعبدون معنـاها ليعرفون ، وقد وضح لهم طريق معرفته سبحانه وتعالى بالأمثلة الواضحـة التى لاتحتمل لبسا ولا خفاء ولا لفا ولا دورانا ليعرفوه فقال لهم « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشـكاة فيها مصبـاح المصبـاح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى» فمن حقق عبادته لابد أن يعرفه من كلامه الذى وضحه لهم ان كانوا يعقلون ولما كانت المعجزات هى التى ميزت لنا الصادق من غير الصادق كانت الكرامات هى التى يمكن أن نميز بها العارف من غير العارف فمتى ظهرت الكرامات على يد أحد علمنا أنه من العارفين بالله هذا هو ما يمكن أن نعرف به العارف من غير العارف وظهور الكرامات على يد سيدى أحمد شىء لايمكن احصاؤه فكان جديرا بأن يسمى سيد العارفين

فـــرائد بدوية

حث الله على التفـكر ، والذكر ، والتوبة ، والمحبـة لله ، والصبر ، والزهد ، والايمان ، فى أكثر من موضع من القرآن وقد بينها العلماء بيانات متفاوتة ، فسأل سـيدى عبد العال أسـتاذه عن بيان حقيقة هذه الأشياء ، ليخرج من بيانه على نتيجة سليمة ينتهجها فى سيره ، ويتوخاها فى سلوكه ، فيعرف كيف يفكر ، ويذكر ، ويحب ، ويصبر ، ويزهد ، ويتحقق بالايمان ، لأن هذه أبواب الوصول ومفاتيح المعرفة ، فأجابه رضى الله عنه بهذه الفرائد التى تراها مفصلة بين يديك

الفـريدة الاولى فى التفكير

أمر رضى الله عنه بأن يتفكر فى مصنوعات الله وفى خلق الله ، ولا يتفكر فى ذات الله ، فان الله لا تحيط به فكره ، فجعل رضى الله عنه مجال

التفكير قاصرا على مصنوعات الله ومخلوقاته ، لا يتعداه الى التفكير فى ذاته أو صفاته ، ولقد أحسن رضى الله عنه فى تعليل النهى عن التفكير فى ذات الله بقوله « فان الله لا تحيط به فكرة »

وذلك لأن الشأن فيمن يفكر فى أى شىء لابد أن يخرج من تفكيره بنتيجة مرتبة على مقدمات أدركها بتفكيره « وأحاط بها علما » ، وقد يظن من يفكر فى ذات الله أنه حصل بتفكيره فيها على نتيجة صحيحة ، ولكن هذا الظن خطأ لأن النتيجة مبنية على مقدمات هى فى الواقع خطأ ، وانما كانت تلك المقدمات خطأ لأن النتيجة مبنية على مقدمات هى فى الواقع خطأ ، وانما كانت تلك المقدمات خطأ لأن الله لايحيط به تفكير أحد فمهما فكر فلا يكون من وراء التفكير فى ذاته نتيجة صحيحة ، بل قد تجر صاحبها الى الكفر كما وقع لبعض رؤساء الفرق الاسلامية فانهم بحثوا فى الذات وفكروا فيما عرفوه عنها ، فأثبتوا لها ما يجب تنزه الذات عنه ، فالسبب الوحيد فى منع التفكر فى ذات الله وصفاته ، هو أن الله لايحيط به تفكير أحد من خلقه ، فانه مهما فكر حتى فيما يشاهده منها فانه لايخرج فى تفكيره عن قياس وجوده أو قدرته أو علمه أو استوائه على ما يعرف من هذه الصفات فى المخلوقات ، فيثبت لذاته وجودا أو قدرة أو علما أو استواء شبيها بما يعرفه ثم يتطرق به الأمر الى أن يثبت لذلك الوجود جهة ، وهكذا لايمكن أن يفكر فيها الا مقيسة على غيرها فيقع فى الضلال المبين — ولا يسع من يشاهد شيئا من ذلك وأراد السلامة الا أن يعرفها ثم لايفكر فيها ولهذا أحجم عقلاء العارفين بالله وهم فى الأمة المحمدية كثيرون عن التفكر فى ذات الله ونعوتها ، حتى أن من سئل منهم عن الاستواء لم يشأ أن يتكلم فيه بما يعلم من مشاهدته فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ، ولو قال والجواب عنه ضلالة لأحسن ، فتراه فى جوابه قال الاستواء معلوم ولكن لم يشأ أن يتكلم فيه بتفكيره ليبينه للسائل ، لأن بيانه يكون بوصفه للسائل ، واذا وصفه شبهه لامحالة — فيهلك من حيث أراد البيان

الفريدة الثانية فى حقيقة التوبة

بين رضى الله عنه حقيقة التوبة بقوله — التوبة حقيقتها الندامة على

ما مضى من الذنب ، والاقلاع عن المعصية ، والاستعمار باللســان ، والعزم على أن لايعود الى المعصية ، والصفاء بالقلب فهذه هي التوبة النصوح التى أمر الله بها فى كتابه العزيز «ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا» فهو يرى أن التائب لاتتم توبته الا اذا راعى فى توبته خمسة حقائق وتحقق بهـا

الحقيقة الاولى الندامة على ما مضى من الذنب ، والندم ــ الأسف والأسف، أشدالحزن،فلابد أن يستحضر الذنب الذى وقع منه وأن يراجع نفسه فيه باستعظام وقوعه منه وكيف أقدم عليه على مرأى من الله ومسمع وكيف تجاسر على مخالفة القرآن ، وخرج على تعاليم الرسول عليه الصــلاة والسلام ، وكيف هتك حرمة أخيه فى الاسلام وتعرض لأعراض الناس ظلما وعدوانا وبأى وجه يلقى ربه وبأى جسد يتحمل عذاب النار فاذا راجعها على هذا النحو حمله ايمانه على الندم ، واذا ندم تحققت الحقيقة الأولى وهى الندامة على ما مضى من الذنب

الحقيقة الثانية الاقلاع عن المعصية ، والاقلاع عن المعصية قلعها من أساسها كما تقلع الشجرة من جذورها فلا تصلح بعد ذلك الا للاحراق وكما لا يمكن أن تعود الشجرة بعد قلعها الى مكانها على ما كانت عليه لا يمكن أن يعود الى المعصية بعد الاقلاع عنها كما حصلت منه ، فاذا أقلع بهذه الصفة تحققت الحقيقة الثانية .

الحقيقة الثالثة ملازمة الاســتعمار باللسان . يرجو باستعماره غفر هــذا الذنب . وستره عن الناس ، فلا يفضح به على رؤوس الخــلائق يوم القيامة . وستره عن نفســه فلا يعرف به ولا يؤاخذ عليه ، ولا تشهد عليــه جوارحه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » وبملازمة الاستعمار بهذه الصفة تتحقق الحقيقة الثالثة

وأيضا جل فان خالفها بعض الطرف عنها ظهرت له من وراء ذلك بشــهوة راسخا على ألا يعود الى هذه المعصية أبدا ، حتى اذا جاءت له فرصة وقوعه فيها ثانية ارتطمت بعزيمته وتصميمه فأعرض عن انتهارها وبقي صــامدا على تصميمه متدرعا بعزيمته لا يهين ولا يلين ، أما اذا جاءت له فرصةوقوعه

فيها بأسرع في انهارها ، وحطب حطمته ثم عاد الى عرمه فهذا في حكم المقيم على دسه ، والمراخى في عرمه وبلازمه هذه العريمه تتحقق الحقيقة الرابعة

الحقيقة الخامسة الصفاء بالقلب لأن العرض من الحقائق الأربعة المتقدمة وهي الندم والاقلاع والاستغفار والعزم والتصميم على عدم العود هو تطهير القلب وتنقيته وتخليصه مما يغضب الله ويحول بينه وبينه فاذا لم يكن القلب في حالة صفاء لله ولعباده عند التوبة ، فلا يتحقق تطهير القلب ولا تنقيته ولا تخليصه ، فاذن لا تتحقق التوبة بدون صفاء ثم قال فهذه هي التوبةالنصوح التي أمرالله بها فيكتابه العزيز، أي التوبة الصادقة الخالصة التي تقوم مقام الواعظ في نصح الناس كأنها تنصحهم الى أن يتوبوا توبة مثلها بسبب ظهور أثرها واضحا على صاحبها حتى تغيير أحواله من قبيح الى حسن ، وحكم التوبة الوجوب على الفور ، وتأخيرها اثم يضاف الى اثم المعصية وورد مرفوعا التوبةالنصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب ، كما أن اللبن لا يعود الى الضرع ، وفى حديثة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود اليه

الفريدة الثالثة في حقيقة الذكر

أجابه رضي الله عنه عن حقيقه الذكر بقوله ، الذكر هو أن يكون بالقلب لا باللسان فقط فان الذكر باللسان دون القلب شقشقة ، وأن تذكر الله بقلب حاضر ، واياك والغفلة عن الله فانهـا تورث القسوة في القلب ، فهو يريد أن الذكر لاتتحقق حقيقته ، ولا تثمر ثمرته الا اذا كان على صفات ثلاث .

الصفة الأولى أن يكون أساسه عمل القلب لا حركه اللسان فقط ، فلا يزال يردد اسم الله بقلبه ، سواء تحرك اللســان تبعا له أولا ، ومن كثرة الترديد يتحرك الباطن بحركات سريعه لا تلبث أن يكون لهـا صدى يمثل الله الله

الصفه الثانيــة أن يكون القلب حاضرا وقت الذكر فلا يكون في قلبه وقت الذكر شواغل معيشية أو نحوها تسيطر على عقله بالتفكير فيهـا

فيكون القلب فى واد والعقل يفكر فى واد آخر ، ويستعان على احضار القلب وحضره بالتوجه بالوجه لعله الدعاء وهى السماء واستحضار مقام الاحسان ، وهو أن الذى تذكره كأنك تراه فان رفع بصره نحو السماء ودام على هذا الاستحضار كان هذا أعون على حضور القلب وحضره وحصول المقصود من الذكر وهو مشاهدة الذات

الصفة الثالثة أن يحذر عن طرو الغفلة عن الله بنوم أو غيره الا لضرورة قاهرة فانها بمثابة الاعراض عن جليسه ، وتتلخص هذه الصفات الثلاثة فى أن الذكر يكون بالقلب ، وأن يكون القلب فى حالة حضور مع الله ، وأن يحذر من الغفلة عنه فان الغفلة عنه تورث قسوة القلب

الفريدة الرابعة فى حقيقة الوجد

وأجاب رضى الله عنه عن حقيقة الوجد بقوله ــ الوجد أن يكثر ذكر الحق لا اله الا هو ، فيقذف نور فى القلب من قبل الله تعالى فيقشعر منه جلده فيشتاق الى المحبوب لا اله الا هو ، فيلحق المريد الوجد ، ويتعلق بالله كله ، وعندما يريد الوجد يصير ولها ، وعندئذ يبلغ المريد الدرجة العليا فى السامى الروحى . يقال وجد عليهوجدا غضب عليه ، ويقال وجد به وجدا أحبه حبا جما ، فالوجد نوع من المحبة الصادقة اذا لحقت العبد تعلق بالله كله ، ويرشده رضى الله عنه الى أن السبب فى هذا الوجد هو الاكثار من الذكر فينشأ عنه نور محسوس من قبل الله تعالى يقذفه فى قلب العبد يشتعل منه تجويف الرأس كما تشتعل الشمعة من أعلاها فيقشعر منه جلده ويشتاق الى معرفة محبوبه ليراه بنوره فانه لايدركه نور البصر ، فاذا شاهده لحق المريد الوجد فينتقل من درجة الشوق الى هذا النوع من المحبة الصادقة ، وفيها يتعلق العبد كله بالله وينصرف كل عضو فيه عن أداء وظائفه العادية ويتوجه الى الله بكله ، وعندما يريد هذا الوجد عن حده ينتقل الى درجة فى المحبة أعلى من مرتبة الوجد وهى الوله ، والوله نوع من المحبة ينسى معه العبد نفسه ، ويسلب عنه حسه ، وفى هذه المرتبة يبلغ المريد أعلى مرتبة فى التسامى الروحى ، فيفيض الله عليه من كمالاته وانعاماته ما يقتضيه كرمه ، ثم

يمن عليه بمقام التمكين وهو مقام البقاء بعد الفناء فيرده الى نفسه ويصحو بعد محوه ليؤدى رسالته التى اقتضاها ذلك الكرم

الفريدة الخامسة فى حقيقة

أجاب رضى الله عنه عن حقيقة الصبر بأنه — هو الرضى بحكم الله ، والتسليم لأمره وأن يفرح الانسان بالمصيبة كما يفرح بالنعمة قال تعالى « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » فأرشد الى أن الصبر لا يتحقق الا بثلاثة أشياء الرضا بحكم الله ، والتسليم لأمره ، والفرح بلائه . لأن الله قال فى وصف الصابرين « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » ، فقولهم « انا لله » اقرار منهم واعتراف بأنه سبحانه مالك لهم وهم مملوكون له ، ولا يتحقق هذا الا برضاهم عن تصرفه فى ملكه وهذه هى الخصلة الأولى ، وهى الرضا بحكمه وقولهم « وانا اليه راجعون » اقرار واعتراف بأنهم هالكون لا محالة ، ولا يتحقق هذا الاعتراف الا بتسليم أمرهم وأنفسهم له ، وهذه هى الخصلة الثانية ، وهى التسليم لأمر الله وقول الله بعد ذلك « أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » ، بشرى عظيمة تقتضى أكبر الفرح والسرور ، وهذه هى الخصلة الثالثة ، وهى الفرح بلائه فكان جميلا من سيدى أحمد أن يعرف الصبر بأنه الرضى بحكم الله ، والتسليم لأمر الله ، وأن يفرح بالمصيبة كما يفرح بالنعمة ، لأن هذا التعريف هو الذى تنطق به الآية

الفريدة السادسة فى حقيقة الزهد

بينه رضى الله عنه بقوله هو مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيويه وأن يترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام ، فأرشد الى أن الزهد لايتحقق الا بشيئين بترك الشهوات الدنيوية ، وبترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام ، ولا يتصور العقل وجود انسان يتصف بالزهد على هذا النحو فان حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وسائر الشهوات الأخرى قد فاضت بها قلوب البشر ، والسعى لطلب الحرام فضلا عن طلب الحلال قد تضافرت عليها القوى والقدر ، فلا تجد فى الناس الا عبدا لشهوة ، ولا تبصر فيهم الا قائما على حرام ، فأما

ترك الشهوات الدنيويه وترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في حرام فهذا أمر يعلم علما ويفهم فهما ولا يمكن تحقيقه ، ويستحيل تطبيقه الا على أمثال من عرفنا الزهد بهذا التعريف

فمن ذا الذى يقف مع نفســـه موقف المخالف لهـــا فى جميع شهواتها الدنيويه وهى تعرض عليه فى اليوم الواحد الف لون من الوان هذه الشهوات حسية كانت تلك الشهوات أو معنوية ، فانه ان نازعها فى شـــهوات المآكل وما أكثرها ، وردها الى الاكتفاء بما يقيم الصلب ويدفع الحاجة الى الطعام . لأن هذا أنشط للبدن وأعون على القيام بواجبه الدينى والدنيوى ظهرت له من ورائها شهوة المشرب ، فأحدث ترن له من أصنافها وتروى له روايات عن فوائدها فهذا شراب منعش وهذا مقو وهذا مهيج ، وهذا ملطف وهذا مهضم وهلم جرا فان لم يجمع بين الروايات وردها الى الاكتفـــاء بالماء لقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حى » ظهرت له من وراء ذلك بشهوة النساء تعج بصيحها وتسابقه بخيلها ورجلها ، وتلاحقه أينما ســـار وأينما حل فان غالبها بغض الطرف عنها ظهرت له من وراء ذلك بشـــهوة القراطيس المالية ، ثم من ورائها بشهوة «الموديلات» الحديثه ثم من ورائها شهوة الوظائف ، ثم الجاه والسلطان واللباس وهلم جرا ولا يمكن أن يتخلص من هذه الشهوات التى لاحصر لها ، الاان يضيق صلته بمن فى الأرض الا تربة ويكف نفســـه على كل ما أخرجت الأرض الا عن رغيف يأكله . وشربة ماء ترويه وثوب يستر بدنه والأرض بعد ذلك فراشه والسماء لحافه والكعبة قبلته والله مدده ومعينه هذا هو الزهد الذى يعنيه سيدى أحمد البدوى وهنا يتحرك شيطان من شياطين الانس ويقول هذا هو الذى جعلنا فى مؤخرة الأمم وسوقة شعوب العالم وعاقنا عن اللحاق بهم . والسير فى ركابهم وينسى أو يتجاهل أن المسلمين لم يبلغوا مجدهم ولم يملكوا غيرهم فى أول أمرهم الا بزهدهم فى تلك الشهوات واحتقارهم لهذه الملذات وتجافيهم عن تلك المهلكات فكان عملهم كله لله ، وجهادهم كله لله، وسعيهم فى مصالح المسلمين لله ، وخدمتهم لأبناء وطنهم لله ، لا يبغون من وراء ذلك شهوات دنيوية ولا حظوظا نفسية ، ولا مالا ولا جاها ولا سلطانا ، لأنهم

زهدوا فى كل ذلك . فأمدهم الله بمعونتــه وأقبلت عليهم الدنيا وهم لهــا كارهون وذلت لهم بكل ما فيها وهم عنهــا معرضون ومن يوم أن فتح المسلمون قلوبهم لتلك الشهوات وتهافتوا عليها كما يتهافت الفراش على النار فصحوا فى سبيلها بالدين كله والوطن كله قطع الله معونته عنهم ووكلهم لأنفسهم فخسروا الدارين وذاقوا الأمرين وأصبحوا مأكلة الامم . وملعبة الاستعمار .

الفريدة الســابعة

فى بيان حقيقة الايمان الناقص والكامل والأكمل

اختلف العلماء فى أن الايمان هل هو حقيقة لا تقبل الزيادة ولا النقص فايمان آحاد الناس لايفترق عن ايمان أبى بكر رضى الله عنه، وايمان أبى بكر لايختلف عن ايمان الرسول صلى الله عليه وسلم أو أن الايمان تتفــاوت درجاته فى قلوب المؤمنين فمنهم من ايمانه قوى ومنهم من ايمانه أقــوى ومنهم من ايمانه ضعيف ومنهم من ايمانه أضعف الى الأول ذهبت طائفة من العلماء، والى الثانى ذهب جمهورهم ويؤخذ من اجابة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه أن الايمان يزيد وينقص فى الناس ويتفاوت على قدر تفاوتهم فى تقوى الله فهو يقول أكثر الناس ايمانا أتقاهم لله تعالى فعلى قدر درجتهم فى التقوى تكون درجتهم فى الايمان فمن اتقى ربه بتوحيــده وتنزيه من الشرك والكفر فقد وقى نفسه من العذاب المخلد فى النار وهذه أقل درجة من درجات الايمان لأنه حصل على أقل درجة من درجات التقوى ومن اتقى ربه بالتجنب عن كل ما يوقع فى الاثم من فعل معصية ولو صغيرة ، وترك طاعة ولو مندوبة فقد وقى نفسه من دخول النار ودخل الجنة فى عداد المتشرعين وهذه درجة كاملة من درجات الايمان لأنه حصل على درجة كاملة من درجات التقوى ومن اتقى ربه باقباله بكله عليه ، وتنزيهه نفسه عن كل ما يشــغله عن الله تعالى حتى يكون الله سمعه الذى يسمع به الى آخره فقد وقى نفسه عن كل الأغيار ، حتى الجنة والنار ، وهذه أعلى درجة من درجات الايمان لانه حصل على أعلى درجة من درجات التقوى ، فلما كانت التقوى على درجات كان

ايمان الناس على درجات تبعا لتقواهم ــ ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقى الناس لانه قال « أخشاكم لله وأتقاكم أنا » ، كان ايمانه أقوى ايمان ، ومن هنا يعلم كما يقول سيدى أحمد أن الايمان يزيد وينقص تبعا لزيادة التقوى ونقصها وأن أقوى الناس ايمانا أتقاهم ثم قال رضى الله عنه كلما حسنت أخلاق المريد كلما حسن ايمانه ، وأحسنكم أخلاقا أكثركم ايمانا هذا غاية من سيدى أحمد يحث بها تلميذه على وجوب حصوله على ثمرات التقوى وهى الأخلاق الحسنة اذ لامعنى لان يعمل عملا ثم لايتخلق بما يعمله فلابد من الحصول على ثمره الاعمال ، وهو حسن الخلق ، ولذلك جعل رضى الله عنه حسن الأخلاق صنوا للتقوى فى تقويةالايمان فقال كلما حسنت أخلاق المريد كلما قوى ايمانه ، فاذا اجتمعت فيك التقوى الكامله والأخلاق الفاضله فقد اجتمع فيك كمال الايمان ، واذا اجتمع فيك أكمل التقوى وأحسن الأخلاق اجتمع فيك أكمل الايمان ، واذا حصلت على أكمل الايمان ، حصلت على أنفس شيء يحصل عليه المريد الصادق وهو المعرفة بالله ، والسبق لمقام النيابة عن رسول الله ، أو المقام الذى يسميه المتصوفة بالامامة العظمى أو القطابية الكبرى

الفريدة الثامنة

وبختم هذه الفرائد بوصيته العطره التى تعتبر من جوامع الكلم ، وتعد نحو فصل الخطاب فى أغراضها ومراميها ، قال البدوى فى بعض وصاياه لتلاميذه التى رواها عن الحسن البصرى « من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم ، ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب ، ومن لم تكن عنده شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله ، ومن لم يكن له صبر لم تكن له فى الأمور سلامة ، ومن لم يكن عنده تقوى لم تكن له منزلة عند الله ، ومن حرم هذه الخصال الست فليس له منزلة فى الجنة» ، فهو رضى الله عنه يحث تلامذه ومريديه على تعلم العلم ويبين لهم فضله وثمرته فيقول من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولا فى الآخره فعلى قدرعلمك بذات الله وأسمائه وصفاته تكون قيمتك فى الآخرة ، وعلى قدر علمك فى الدنيا تكون

قيمتك بين الناس ، ولما كان العالم الأحمق لا يفيده علمه شيئا أتبع ذلك بقوله ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم فان العلم بدون الحلم كالتاج من الذهب على رأس حيوان شرس يضحك منظره ، ويسيئك مخبره ، فلابد للعلم من حلم يزينه والا ضاعت ثمرته وانحطت قيمته ثم حثهم على السخاء بقوله ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب ، لأن الحريص على المال انما يجمعه لغيره فاذا لم يتمتع به انتقل عنه الى وارثه لا محالة ولم يكن نصيبه منه الا جمعه وعده ، ثم مناقشته عليه وعذابه به « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ثم بين لهم أن أصحاب الشفاعة عند الله هم أهل الشفقة على خلق الله فقال ومن لم تكن له شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله ، فالشفقة على الفقراء ، والعطف على البؤساء ، والرحمة بالضعفاء عنوان صادق على أنك ستكون عند الله فى الآخرة من الشفعاء ، والشح على الفقراء ، والغلظة على البؤساء والشدة والتجبر على الضعفاء عنوان صادق على أنك ستكون هنالك من أهل البعد والجفاء ، ثم أرشدهم الى أن السلامة فى الأمور لا توهب الا للصابرين ، وأن المنزلة عند الله لا تنال الا بالتقوى فقال ومن لم يكن له صبر فليس له فى الأمور سلامة ، ومن لم تكن عنده تقوى فليس له منزلة عند الله ، فالصبر لا يدخل فى شيء الا زانه ، والجزع لا يدخل فى شيء الا شانه ، وأخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ، «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا» ومن يتق الله يجعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، فاحرص على هذه الخصال الست فان من حرم هذه الخصال الست فليس له منزلة فى الجنة — احرص على العلم وزينه بالحلم ، وتوجه بالكرم والسخاء ، وباركه بالشفقة على الفقراء وجمله بالصبر على البلاء مع الخوف من الله تنل أبعد الغايات وأسمى الدرجات فى دنياك وأخراك

عادات البدوى

مما يوضح لنا بعض النواحي الغامضة فى حياة السيد البدوى معرفة عاداته لأنه اذا لم تعلم عاداته لم تعرف أحواله وما كان عليه فى سيره وسلوكه

ــ ومن عاداته ــ ملازمة الصيام ــ فكان يطوى أربعين يوما لا يذوق فيهـا طعاما ولا شرابا ، ومن عاداته ، ملازمة العبادة من قيام ، وكان يقول ركعتان بالليل خير من ألف ركعة بالنهار ــ وذكروا من عاداته حب التوسل ــ أى أنه يحب أن يسأله الناس ، وهذه سنة من سنن الله تعالى ــ فالله يحب أن يسأله الناس ويغضب اذا تركوا سؤاله ــ وكل متخلق بأخلاق الله تعالى يحب لكرم طبعه ، وخلوص نفسه وعلو همته أن يسأله الناس ، ويحب أن يسعى لهم فى قضاء مصالحهم ــ ونشاهد مثل هذه العادة فى بعض النـاس الذين صفت أرواحهم ، وخلصت نياتهم يحبون من الناس أن يسألوهم قضاء مصلحة أو تقديم خدمة عن خلوص قلب وسلامة ضمير ــ وهو رضى الله عنه من هـذا الصنف الذى يحب أن يسأل وأن يعمل لغـيره ــ ذكروا له من عاداته هذه العادة ، وذكروا أن تخلقه بها ناشىء عن اعتزازه بنفسه ، وشخصيته ، لأنه من عرب البادية الذين يعتزون بشـخصيتهم ، ونحن لا نوافقهـم على هذا التعليل لأن الأصل فى محبته للتوسل يرجع الى سلامة نيته ، وخلوص فطرته التى فطره الله عليها ، ونشاهد مثلها فى كثير من الناس الذين لم يكونوا من عرب البادية ولم يعاشروا فى حياتهم أحدا من الأعراب ، فحب التوسل هبة من الله تعالى لبعض عباده المصطفين الأخيار ، الذين اختارهم الله لاجراء الخير على أيديهم للعباد ، فيشعرون بلذة روحية تشتعل فى جوانحهم عند ما يجرى الله على أيديهم خدمة أو قضاء مصلحة للمسلمين ، والبدوى من هذا الصنف، فان أعماله كلها انسانية بحتة تدور حول العطف على الضعفاء . والرحمة بهم والتطوع لخدمتهم ، وشمولهم بكرمه السابغ وحماه المنيع .

صفات البدوى البدنية والروحية

كان البدوى بدينا ضخما طويل القامة طولا غير بائن ، عظيم الوجـه وكبيره . خفيف العارضين كث اللحية من أسفلها سهل الخدين ، قمحى اللون يضرب لونه الى البياض ، أكحل العينين ، أقنى الأنف . طويل الذراعين غليظ الساقين وبوجهه ثلاث حبات من أثر جدرى ، فى خـده الأيمـن واحدة وفى الأيسر اثنتان ، على أنفه شامتان فى كل ناحية شامة سوداء وندبة بين عينيه من

طعمة بموسى ، يعلو وجهه الكبر مسحة من الهيبة والجلال ، ولصوته عبير الجهير نبرات حاده حاسمة ، مرحا اذا شاء المرح ، حادا اذا شاء الحد ، لا يثنيه عن عزمه الا القضاء المبرم ، ولا تأخذه فى الحق لومة لائم صبيا فى احاراته حريصا فى عباراته يعمل فى الخفاء ، وقل أن يعمل فى الظهور ، ويعلب فى لسانه المزاح من نوع رفيع ولكن لا يمكن أن يكون كلامه الا حقا والا مقصودا به الحق ، ويستعمل اللغه العامة الصحة ، وحدث عن صوته الروحية ولا حرج ، قلت له مرة ان فلانا ربما كان عاصيا منى من أجل مسألة كذا فأجابنى بقوله « يتملق » بالقاف التى تشبه الجيم كلغة الشراقوة

تقبيل الآثار والمزارات والتمسح بهـــا

هذه القبلات التى نسمع رنينها ، ونرى انطباعها على المزارات ، وهذه الأيدى التى تمتد على الحواجز النحاسية والخشبية ثم تعاد للتمسح بهـا بقصد التبرك ممن أقيمت عليه من نبى أو ولى ، أو بقصـد اظهار الصـدق والاخلاص والمحبة . ليست مدونة ولا مطلوبة شرعا . وليست مما تجلب لفاعلها الرضى والمحبة وان كانت عنوانا على الرضى والمحبة وانما الذى يجلب لفاعله الرضى والمحبة هو أن يقف الزائر خارج الباب فيستغفر ربه احـدى عشره مره من خطيئاته وفرطات لســانه التى ارتكبها قبل قدومه للزياره فاذا تطهر من خطيئاته دخل فى أدب واحترام وقال لا اله الا الله احدى عشرة مرة أيضا ويختم الحادية عشرة بقوله محمد رسول الله فانه اذا كانت روح الولى غائبه أو مشغولة بأمر حضرت عند ذكر لا اله الا الله لأنه لا شىء أشـهى للولى من ذكر الله، فاذا ذكر عندها حضرت على عجل وبعد ذلك يبدؤ بالسلام فاذا سلم رد عليه السلام ورده للسلام منحة للزائر لايستهان بها ، ثم يقرأ سورة الاخلاص احدى عشره مرة ثم يقول اللهم تقبل منى هذه القراءة واجعـل ثوابها فى صحيفة سيد المرسلين صلى الله عليــه وسلم وثواب مثـل ذلك لأرواح أبينا سيدنا آدم وأمنا سيدتنا حواء ومن ولدا من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وثواب مثل ذلك لآل بيت النبى وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم .

ورضى الله عنهم وعنا وبمعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة وألحقنا بهم فى الدارين آمين وثواب مثل ذلك فى صحيفة هذا الولى ثم من تحت بعد ذلك فاذا قدم لهم هذه الهدية طالبه بهدية مماثلة فقال « شىء لله من المدد ياسيدى فلان » احدى عشرة مرة ، وبعد ذلك يبسط يديه الى السماء ويطلب من الله حاجاته الدنيوية ثم الأخروية وعندئذ يؤمن الولى على دعائه الدنيوى ثم الأخروى وتأمينه قد يكون سببا فى قبول دعائه وقد يكون سببا فى قبول ما هو منه مصلحة للداعى ، فهذه هى صفة الزيارة التى تجلب لفاعلها الرضا والمحبة من سيدى أحمد البدوى ، وقد تلقيت هذه الزيارة من ولى كبير . وأنا طالب علم صغير وكنت أتردد على زيارته ولم يمكث ترددى الا سنوات معدودات فأرى بعدها الحياة وعندما قرب رحيله الى الدار الآخرة كان يغشى عليه فيمكث اليوم بطوله لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم أحدا ولا يكلمه أحد وكنت فى تلك الأيام الأخيرة اذا ذهبت لزيارته أجده فى حالة غيبوبة تامة فأجلس وأقرأ فى سرى هذه الزيارة فاذا قلت فى سرى لا اله الا الله ثلاثا أو أربع مرات فما أشعر الا وقد انتفض بدنه وانفتحت عيناه وانبعث فيه الضوء كما ينبعث الضوء فى المصباح الكهربائى اذا تحرك مفتاحه فأسلم عليه فيقول من أنت فأحييه فيقول ماذا كنت تقول ، فأقول كنت أقرأ الزيارة التى لقنتها لى ثم يغيب وكأن لم يكن له وجود ثم اذا قدمت لزيارته فى يوم آخر شرعت فى الزيارة على النحو المتقدم فيحضر روحه عند ذكر لا اله الا الله فأسلم عليه ثم يغيب وهكذا حتى لقى ربه . فكان هذا دليلا على أن الزيارة بالصفة المتقدمة سليمة ومقبولة كما أنه دليل واضح على أن روح الولى اذا كانت غائبة أو مشغولة تحضر عند الذكر كما أن ذلك أوضح دليل على أن هذا الولى كان من الأقطاب الكبار ، والله أعلم ، ورضى الله عنه

الحجر الأسود
الموجود بركن المقام الأحمدى

مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرمل الكثيب المهيل . فقص أعداؤه أثره فلم يجدوا لقدميه الشريفين أثرا على الرمل الكثيب المهيل

ومتى على الصخر الأسود الجلمود فأثرت قدماه الشريفتان في الصخر الأسود الجلمود ليريهم بهذا وذلك أنواعا من معجزاته عليه الصلاة والسلام، وهذا الحجر الأسود الموجود بركن المقام قيل هو من ذلك الصخر الأسود الذي مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثرت فيه قدماه الشريفتان احتفظ به لأنه أثر من آثاره ، وتخليد لمعجزه من معجزاته ، وقد تناوله بالحفظ المعنيون بالمحافظة على آثاره حتى استقر في هذا المكان المناسب لحفظه فيه ليبقى في الناس على مر الدهور علما من أعلام نبوته . وشاهدا ناطقا يشهد بصحة رسالته ودليلا واضحا يدل الناس على بعض معجزاته وعظيم آياته عليه الصلاة والسلام .

وقيل انه حجر منحوت على صورة قدميه الشريفتين ليكون بمثابة ذكرى بمعجزته عليه الصلاة والسلام

وقد ذكر القائلون بأن هذا هو قدمه عليه الصلاة والسلام أدلة كثيرة ذلك

منها الشهرة والاجماع فان شهرة نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بلغت حد الحديث المشهور وان اتفاق المسلمين على هذه النسبة بلغ حد الاجماع ، واهدار هذه الشهرة واهدار هذا الاجماع بمثابة اهدار الحديث المشهور الذي يجب العمل به وبمثابة اهدار الاجماع الذي يجب الاعتداد به فكانت هذه النسبة صحيحة

ومنها أنه لا يوجد هناك أي داع يدعو الناس ويدعو الصحابي الى أن يقوموا بعملية مفتراه على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بها الناس من غير أن يعارضهم في هذه العملية المفتراه رئيس ديني أو حاكم شرعي يأخذ على أيديهم ، فلما لم يثبت شيء من ذلك في التاريخ دل ذلك على صحة نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم

ومنها أن دار الآثار ملأى بآثار قدماء المصريين ، ونسمع القائمين على حفظ هذه الآثار يقولون هذا أثر فلان ، وهذا أثر فلان ، فنسمع منهم ونصدق روايتهم . ولا يمكن أن نطالبهم بدليل واحد يدل على أن هذا الأثر

نفيسه هو أثر « ثوب عتيق أمون » أو غيره فإذن لا معنى لأن تتوقف في سنة القدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمض عليه الا أربعة عشر قرنا ، ثم لا تتوقف في ســــنة هذه الآثار الى أصحـــابها وقد مضى عليهـــا عشرات القرون فكانت هذه السنة صحيحة كغيرها مع تعزيزها بالشهرة وبالاجماع

«ومنها» أن بعض المماليك الشركسية أراد في عهده رفعه من مكانه للتبرك به عنده فأرسل عماله ليرفعوه ولما عملوا معاولهم في رفعه صادفتهم صعوبات شديدة أعجزتهم عن رفعه من مكانه ، ولما لم يستطيعوا ذلك تركوه على حاله، فكان ذلك منهم بمثابة الاعتراف بصحة هذه النسبة

« ومنها » أنه اذا كان هذا الحجر من صناعة المثالين أو النحاتين ، فانه لا يمكن أن يقتصر هؤلاء النحاتون على عمل حجر واحد ، يقيمونه في مقـــام واحد من بين مقامات الاولياء بل ان المنطـــق والعقل يقضيان عليهم بتعـــدد هذه الصناعة الفريدة ويقضيان عليهم بنشر هذه الصناعة في مقامات الأولياء فلما لم تتعدد هذه الصناعة رأسا ولما لم يوجد منها في مقام آخر حجر مثله دل ذلك دلالة قاطعة على انفراد هذا الحجر بهذه المعجزة العظمى

« ومنها » أن هذا النوع من الحجارة السود لا يوجد الا في الجبال السود وهي منتشرة بكثرة تلفت النظر في بلاد الحجاز وليس في أنحاء مصر جبل أسود واحد فدل ذلك قطعا على أن هذا الحجر هو حجر المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أما المعـــارضون فانهم يقرون بالمعجزة في ذاتها . ويطالبون بالدليل على أن هذا الحجر نفسه هو حجر هذه المعجزة وقد ذكرنا أدلة المثبتين مفصلة وهي في مجموعها تصلح أساسا للاعتماد عليها في اثبات ذلك والله أعلم وقد يكون من أوضح الأدلة على أن معارضة هؤلاء المعارضين لهذا الحجر غير سليمة . أنه يوجد بالمقام الحسيني عصا من آثاره صلى الله عليه وسلم ويوجد بمقام سيدي عبد العال شعرة من شعراته عليه الصلاة والسلام ويقول القائمون على حفظها انها آثاره صلى الله عليه وسلم فيسمع الناس كلامهم ويصدقون روايتهم فيقرءون الفاتحة له عليه الصلاة والسلام وينصرفون . فلماذا يعارضون في الحجر ولا يعارضون في العصا والشعرات ـــ يعارضون في القدم لأنه

معجزته عليه الصلاة والسلام ولا يعارضون فى العصا والشعرات لأنها ليست معجزات فليس لانكارها عندهم اشاع لعرائزهم فى انكار معجزاته عليه الصلاة والسلام

وقد وضع هذا الأثر العظيم فى هذا المكان بالذات ليكون رمزا لما انطبع عليه لأن سيدى أحمد كانت قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت سيرته وطريقته على سيره وطريقة الرسول وقد أشرنا فى مفتتح هذا الكتاب الى ما يوضح ذلك

ولزيادة الايضاح نقول ان مواهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته كثيرة لا تنحصر فى عدد ، ومن أفضل المواهب موهبة قدمه الشريف ، وموهبة يده الشريفة فموهبة القدم يهبها للعاملين بكتاب الله والعاملين بسنته وموهبة يده الشريفة يهبها للذاكرين الله كثيرا والمشتغلين باسماء حضرته وقد اختص البدوى بموهبة القدم لأنه سار على قدمه ونهج منهجه ، ومنهج خلفائه الراشدين واختص عليه الصلاة والسلام أحفاد البدوى ومن شرب من منهل أجداده بموهبة اليد الشريفة لأن سلوكهم بواسطة ذكر الأسماء فكان وضع القدمين الشريفين عند رأس سيدى أحمد رمزا لهذا المقام العظيم والله أعلم

الموالد التى تقام باسم الاولياء

هى فى الأصل احتفالات شعبية يقوم بها الشعب لاحياء ذكرى بعض الأولياء الذين سمت نفوسهم وصفت أرواحهم وتخلصت من نوازع الهوى وعمى البصائر والقلوب بسبب عكوفهم على الطاعة وانقطاعهم الى الله واعراضهم عن زخرف الدنيا وزينتها وزهدهم فيما يتهافت عليه الناس من لذة ومال وجاه ويظهر من سلوك هذه الطائفة أن أرواحهم اذا صفت وبلغت فى التسامى الروحى حدا خارجا عن العادة تغلبت عندهم عوامل الروح على عوامل البدن فكان لأرواحهم تأثير خاص يرى أثره ولا يعلم سببه . كالعائن يتوجه بنفسه الحادة الى ما يبدو عجيبا من انسان أو حيوان فيخر لوقته صريعا من غير أن يعلم سبب لهذا التأثير العجيب وحينما تظهر هذه التأثيرات الروحية على أيدى هؤلاء لا تسأل عما يقع فى قلوب الجمهور من تلقيهم لها

بالصول ولا تسأل عن اقبالهم على تقبيل أيدى هـؤلاء وأقدامهم لأنهم يبطرون اليها بطرهم للمعجزات التى تظهر على أيدى الرسل فيقبلون عليهم بكليتهم ويبالغون فى احترامهم والحظوة بمشاهدتهم ــ حتى اذا ووريت أجسـامهم فى التراب أقاموا لهم هذه الاحتفـالات الشعبية كذكريات لهم واحياء لمآثرهم التى لمسوها وعايبوها فيسدرون بما لمسوا ، ويتحدثون بما عاينوا ، ملتمسين من وراء ذلك الحصول على دعوة صالحة أو بركة شـاملة من روح ذلك الولى معتقدين بحق أن الروح لم يلحقها الفناء وأنها تتجردها عن شرنتها بالموت ، أصفى فى نفسها وأقرب الى رضا ربها ، وأرجى فى نفعها مما كانت عليه فى زمن الحياة ، وتسنى اقامة هذه الحفلات على سرد هذه المآثر منظومة فى أبيات من الشعر تلقى فى حلقات الذكر والندوات التى يجتمع فيها المحتفلون

هذا هو الأصل فى اقامة هذه الموالد الشعبية التى تقام باسم الأولياء ، وهى باعتبار هذا الاصل لا عار عليها لان اقامة الاحتفالات الشعبية أمـر شائع فى كل شعوب العالم يقيمونها لتقديس قائد أو تكريم عظيم والدين يحث على التسابق والتنافس فيقول « لمثل هذا فليعمل العاملون » والموالد بقدر ما هى ذكريات هى أيضا تستنهض الهمم العاملة والقلوب الصالحة وتستفز الناس ليعملوا عملا صالحا يخلد لهم ذكرى حسنة ويبقى لهم لسان صدق فى الآخرين .

موالد البـــدوى

لما توفى سيدى أحمد رضى الله عنه سنة ٦٧٥ هجرية ، وأذيع نعيه بين طبقات الشعب هرع الى طنطا آلاف مؤلفة من أتباعه الذين رباهم ونشرهم فى طول البلاد وعرضها ليبثوا دعوته بين الناس ، حضر أتباعه وتلاميذ أتباعه ، وكل من يعرف قدر السيد البدوى وكرامتــه على مولاه وكانوا جمـوعا لا يحصون ، فنزلوا خارج طنطا فى الموضع الذى يقام فيه مولده بين مدينة طنطا وقرية « سيجر » لأنه لا يوجد مكان فى المدينة يتسع لنزولهم ، ولما قامـوا بعملية الدفن وأدوا لخليفته واجب العزاء ، مكثوا بعـد ذلك ثلاثة أيـام فى الموضع الذى نزلوا به ، يعزى بعضـهم بعضا كما هى العـادة ، ولما أرادوا

الانصراف الى مواطنهم ، قالوا لسيدى عبد العال لابد أن نحضر كل عام فى اليوم الذى توفى فيه ، ونحيى هذه الذكرى ما دمنا على قيد الحياة ، وكانت الوفاة يوم ١٢ ربيع الأول أى يوم الليلة الختامية لمولد الرسول ، ومن أجل ذلك سمى يوم وفاته يوم مولده وبدلا من أن يسموا يوم وفاته يوم الاحتفال بذكرى وفاته سموه يوم الاحتفال بذكرى مولده لحدوث الوفاة كما قلنا يوم الاحتفال بالليلة الختامية لمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظل أتباعـه يحضرون كل عام الى طنطا ثلاثة أيام تبتدىء يوم ١٢ ربيع الأول وتنتهى فى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ، ثم توسعوا فى المدة حتى كانت ثمانية بدلا من ثلاثة أيام ــ ومن هنا نشأ مولده الكبير فى كل عام ــ وفى اليوم الثـامن يركب الخليفة ركوبته ويطوف فى شوارع طنطا الكبيرة ايذانا بانتهـاء مدة المولد ، وتقليدا لما كان يفعله سيدى عبد العال من خروجه بنفسـه فى اليوم الأخير لتوديع أتبـاع سيدى أحمد عند انصرافهم لبلادهم بعـد تمام مدة الاحتفال ــ هذا هو الأصل فى اقامة مولد سيدى أحمد الكبير

أما مولده الصغير فيظهر أنه كان يقام تخليدا لذكرى وفاة سيدى عبـد العال وسمى يوم وفاته مولدا تشبيها بتسميه يوم وفاة أستاذه مولدا لما قدمنا وقد ظل المولد الصغير يقام الى جانب المولد الكبير قرونا طويلة حتى اكتفى الناس فى العهود القريبة بالمولد الكبير عن المولد الصغير ظنا منهم أن المولدين الكبير والصغير يقامان لسيدى أحمد نفسه والواقع أن الصغير كان يقـام لذكرى وفاة سيدى عبد العال ، فترك الناس الاحتفال بهذه الذكرى،والأصل أن يقام الاحتفال بالمولد الكبير فى يوم ١٢ ربيع الأول وهو يوم الوفاة لكنه قد دخل التغيير فى زمن اقامته لأسباب اقتصادية

أما المولد الرجبى نسـبة الى شـهر رجب أو الى رجل يسمى رجب العسيلى ــ فيظهر أن الأصل فى اقامته أنه لما توفى سيدى أحمد يوم ١٢ ربيع الأول ، وهو يوم الاحتفال بمولد سيد الوجود ، ومن أجل ذلك سمى يوم الاحتفال بوفاة البدوى مـولدا كما قدمنا ــ عمدوا الى تشـبيه احتفالات البدوى بالاحتفالات التى تقام لسيد الوجود ، فجعلوا له مولدا رجبيا مثل الاحتفال بالرجبية التى تقام فى شهر رجب لسيد الوجود ويقصدها الناس من سائر الاقطار لزيارته صلى الله عليه وسلم

وقد يكون الأصل في الاحتفال بالمولد الرجبي عند سيدي أحمد البدوي ـ هو قصد الاحتفال بالرجبية التي تقام عند سيد الوجود في شهر رجب ـ شارك فيها الفقراء الذين قصرت بهم النفقة عن الذهاب الى المدينة المنوره ، وأقاموها عند سيدي أحمد البدوي باعتبار أنه باب الرسول ، وأن الاحتفال بها هنا في نظرهم كالاحتفال بها هناك ـ وقال بعض المؤرخين هو نسبة الى رجل يسمى رجب العسيلي كان من كبراء المحلة الكبرى في الأيام التي كانت فيها عاصمة للغربية قبل طنطا حيث أحضر كسوة وعمامة للبدوي ، وحضر بها في موكب عظيم وجعل من ذلك موعدا لزيارة البدوي كل عــام ووقف من أمواله على هذه الزياره ثم اتخذت عاده بعد ذلك وهذا لا ينـافي ما قدمنا .

وهذا المولد الرجبي مظهره ديني بحت يحضر فيه الفقراء والأتباع لاقامــة الاذكار ، ولقراءه القرآن ، والأوراد والصلوات ويحضرون معهم كميات وفيره من الخبز والاطعمة الأخرى لتوزيعها على الفقراء والمساكين على مدد البدوي ويمكثون في المسجد ثمانية أيام على هذا النحــو ثم ينصرفون الى بلادهم وليس فيه شيء يؤخذ على الزوار الا شربهم للدخان في المســجد وعدم اجتماعهم على امام واحد لاقامه الشــعائر . ولو أن القــائمين بالأمر أخرجوا كل من يشرب الدخان من المسجد ومنعوا الفقراء من انشاء جماعات صغيره وحملوهم على جمعهم على امام واحد للصــلاة لأدى ذلك المــولد الغرض الذي أقيم من أجله ، ويلاحظ أن الزوار لا يلقون بالا لنصائح الوعاظ وارشاداتهم التي يؤدونها من وراء حجاب فلو أنهم يواجهونهم بالموعظــة ، ويجابهونهم بالارشــاد والأخذ والرد لكان الشعب أسمع لهم ، وأكثر قبولا لقولهم ، واقبالا على سماع نصائحهم ، أما مسألة الأكل والشرب في المسجد وما يحدث منهما من قذارة فيمكن غفرها مادام القصد من وجودهم هو اطعام الفقراء والمساكين .

واذا علمت مما تقدم أن المولد الكبير هو احتفال بذكرى وفاة سيدي أحمد ـ وأن المولد الصغير هو احتفال بذكرى وفاة سيدي عبد العال ـ وأن المولد الرجبي هو احتفــال بمثل احتفال الرجبية التي تقــام لسيد الوجود مقصودا به سيد الوجود نفسه أو سيدي أحمد ـ فاعلم أن قول المعترض ـ واذا كانوا قد جعلوا لكل صاحب قبة مولدا واحدا حتى (مولد) النبي صلى

الله عليه وسلم فانهم قد جعلوا لأحمد البدوى ثلاث موالد فى كل عام — ثم قوله بعد ذلك كأنه قد ولد على عشر سنين الشهر ثلاث مرات قوله هذا جهل وعناء ، لأن هذه الموالد ليست احتفالات بمولد أحـد كما يفهم المعترض ، وليست كلها للبدوى كما يظن

محاســـن الموالد

عيد سعيد للفقراء

ان من يتأمل ما يجرى فى الموالد بصفة عامه يدرك أنها تختفى من وراء مظاهرها عيدا سعيدا للفقراء حيث يتسابق الناس حتى البخلاء منهم بالعطف على الفقراء ، والتصدق عليهم بالقليل والكثـير من الاطعمة — واللحـوم والأموال وكل ما يمكن بذله — وترى الفقراء بين غاد ورائح — يصافحـون هذا ويأخذون من هذا فيملأون جعبتهم ويسدون جوعتهم وترى حقائبهم كأنها موائد جمعت فيها أنواع الأطعمة من خبز الى قطع من اللحم الى فول معاً فى أكياس من الخبز الى أنواع من الحمص وقطع من الحص ، وملفات من «الدقة» المخصوصة التى تعلق رائحتها على الهواء فيتلهف عليها الزائرون هذا الى جانب القروش التى تفيض بها جيوبهم ، وتمتلىء منها حقائبهم

سوق رائجة للتجارة

وكما أن الموالد عيد سعيد للفقراء هى أيضا تختفى من وراء مظاهرها سوقا رائجا للتجارة — فان جميع التجار يقدرون الموالد كأنها معـرض من المعارض العامة التى تقيمها الأمم لتعرض فيها مقدار تقدمها فى الصـناعة وارتقــائها فى الحضارة وأسبقيتها فى العمران فيقبلون عليها بتجـارتهم ، ويتخيرون من ألوان الأقمشة ، وأنواع اللعب وأصناف الأطعمة ما يلفت اليهم الأنظـار فترى الأطفـال عاكفين على تاجر والشبـان مزدحمين على آخر ، والشيوخ على ثالث ، والنساء على رابع — كل على حسب حاجته يبيعـون ويشترون — جادين مجتهـدين بصورة تلفت النظر — وكأن التجار يسعون لينصرفوا الى حاجة تدعوهم الى الانصراف ، وكأن الزوار يشترون — الى

حاجة تدعوهم للاحتراز — فلا يلبث أن تتصرف بصاعبهم وتروح تجارتهم ويصرفون جمعا راضين مطمئنين

فترات رياضية بدنيـــة وروحية

تطهر النفوس الضالة

تهيء وزاره التربية والتعليم للمدرسين والتلاميذ فترات فى أثنـاء الدراسه ، يقومون فيها برحلات استكشـافية يزورون فيها معالم البـلاد وآثارها ترويضا لأبدانهم وترويحا لنفوسهم ، وتوسيعا لأفقهم ، وتدريبـا لهم على تحمل الاسفار وتشجيعا لهم على السير فى الارض للفتح والتعمير ، وليست الموالد الا رحلة شعبية رياضية يصطنعها الشعب ، ويستريح من جهد الحياه ، وعناء العمل ، والملل من استمراره ، ومداومة ملازمته ، وهى فى الوقت نفسه رحلة روحيه تسقط فيها الروح الدينية وتتمثل فى اطعام الطعام وقراءه القرآن ، وتلاوه الأوراد ، وحلقات الذكر ، فى البيوت والمساجد أثناء الليل وأطراف النهار وليست زياره الولى وما يكتنفها من عطاء وعبر بأقل أثر من زيارة المعالم الأثريه ، والآثار الفرعونية

مثالب الموالد

بالاضافه الى تلك المحاسن التى أوضحناها — يشاهد فى الموالد أمور ينهى عنها الشرع ، وتمقتها الشرائع السماوية تعج بها دور الملاهى ومسارح السينما وغيرها

ويشاهد حول المزار هرج ومرج لا يليق بأدب الزيارة ويتنافى مع مـا ينبغى لها من أدب وخشوع وقد تنطلق من أفواه احدى الزائرات الزغاريد المزعجه فيعاقبها واحده تلو الأخرى حتى تعم جنبات المزار تلك الصيحات المزعجات ، هذه هى كل المثالب التى يمكن أن تؤخذ على اقامة الموالد

الحكم لها — وعليهـــا

أحدث أقاون بين محاسن الموالد ومثالبها وبعد امعانى فى النظر وترو فى الحكم وتقليب للموضوع على كل وجه رأيت أن هذه المحاسن منبعثة من

طبيعة الموالد ومشتقة من روحها ـ فلولا اقامة الموالد ما تهيأت هذه الفرص التي يتطلع اليها التجار كمصادر لتنمية ثروتهم وموارد لاستجلاب ارزاقهم ويتلهف عليهـا الفقراء كمواسم لسـد حاجاتهم ومعالجة بؤسهم ، وينسى فيها المتأزمون من مضايق الحياة ومتاعب العمل ـ أما تلك المثالب المنبعثة من دور السينما والملاهي وغيرها فلا يمكن عقلا أن نعدها منبعثة من طبيعة الموالد ولا مشتقة من روحها ـ فسواء أقيمت الموالد أم لم تقم فهي منتشرة بين طبقات الشعب ـ ومتغلغلة في أنحاء البلاد ـ وليس للموالد تأثير فيها الا أنها تجتمع لها اذا أقيمت وتتفرق عنهـا اذا انتهت فالمحاسن ناشـئة من طبيعة الموالد فتؤخذ لهـا وتحسب من حسناتها والمفاسد ليست ناشـئة من طبيعتها فلا تؤخذ عليها ولا تحسب من سيئاتها ـ وانما تدفع عنها اذا أريد تطهيرها منها ـ أما المثالب التي تدخل في نطاق المزارات فأمرها يسير وعلاجها يكون بتثقيف هؤلاء الجهلة بآداب الزيارة وتوجيههم بواسطة القائمين بأمر هذه المزارات توجيها دينيا يتمشى مع تعاليم الدين وما تقتضيه حكمته هذا هو الحكم لها وعليها وما توفيقي الا بالله

ما كتبه الفقهاء في النذور للاولياء

قال فقهاء الشافعية لو نذر زيتا أو شمعا لاسراج مسجد أو غيره صح النذر ان كان يدخل المسجد أو غيره من ينتفع به من مصـل أو نائم والا لم يصح لأنه اضاعة للمال فهو باق على ملك مالكه يدفـع له أو لوارثه والا صار لمصالح المسلمين ، ومحصل هذا أن ما ينذر لاسراج المساجد أو غيرها كالأضرحة والمقامات من زيت أو شمع يصح نذره ان كان يدخل المسجد أو الأضرحة والمقامات من ينتفع بالزيت أو الشمع من مصل أو نائم أو زائر ـ وان لم يدخلها أحد للصلاة أو النوم أو الزيارة أو نحوها لم يصح النـذر لأنه اضاعة مال فيبقى على ملك مالكه يرد اليه ان كان حيا أو لوارثه ان كان ميتا ـ والا صار لمصالح المسلمين

وقال فقهاء الشافعية ومما يقع من العوام قولهم جعلت هذا للنبي صلى الله عليه وسلم والاقرب فيه الصحة لاشتهاره في النذر في عرفهم ويصرف ذلك لمصالح الحجرة الشريفة

وقال الرملي من كبار فقهاء الشافعية ــ ولا يصح النذر لميت الا لقبر الشيخ العلانى فيصح حيث أراد به قربة كاسراج يسمع به ــ أو اطراد عرف بحمل النذر للميت على أن يراد به قربة

فهذه النصوص تصحح أن النذور للاموات صحيحة حيث أريد بها قربة كاسراج القبر واضاءته للمصلين أو الزائرين وكصرف النقود المنذورة للاموات على الفقراء والمساكين والخدم ونحوهم

وقول العلامة الرملي ــ ولا يصح النذر للميت الا اذا اطرد العرف بحمل النذر للميت على أن يراد به قربة ، صريح فى أن جميع النذور التى تنذر لسيدى أحمد البدوى صحيحة لأن المعروف عرفا عند كل من يقدم نذرا لسيدى أحمد البدوى أن هذا النذر يصرف على الفقراء والخدم وأتباعه الملمين حوله من خلفاء وغيرهم فهو نذر لميت اطرد العرف بحمله على أن يراد به قربة ــ وكل نذر لميت اطرد العرف على أن يراد به قربة ، نذر صحيح فجميع النذور التى تنذر للسيد البدوى نذور صحيحة لأنها نذور يراد بها قربة وهى صرفها على الفقراء حتى ولو كانت فى أصلها منذورة لميت لاطراد العرف بحمل النذر للميت على ارادة القربة فما تسمع به من بطلان هذه النذور فاضرب به عرض الحائط ــ أما توزيعها على مستحقيها فأمر لا اختصاص لنا به وانما هو من اختصاص أولى الشأن والقائمين بالأمر

التوسل بالبدوى وطلب الشفاعة منه

الله تعالى يقول تعاونوا والمعترض يقول لا تتعاونوا فان التعاون اشراك ــ قال الامام الشافعى رضى الله عنه ما ناظرت جاهلا الا غلبنى « وما ناظرت عالما الا غلبته والمعترض من هذه الفئة التى حكم عليها الامام الشافعى بأن جهلها هو أمضى سيف تشهره حينما تريد التغلب على العلماء . فهو يزعم أن طلب التعاون من السيد البدوى اشراك بالله فاذا طلبنا منه العون فقد أشركناه بالله ــ كيف والله نفسه يقول للناس ويعلمهم الدين الصحيح والتوحيد الصحيح يقول لهم فى كتابه « وتعاونوا على البر والتقوى » يقول لهم تعاونوا وهو يقول لهم لا تتعاونوا فتشركوا . الله أعلم منه بما ينافى

توحيده وأعرف منه بأحكامه وتعاليمه فامتثالا لأمر الله تعالى وتلبية لنداء القرآن سنذهب الى البدوى ونقول له حسبة لوجه الله تعالى وامتثالا لأمر الله عاونا فى قضاء حوائجنا وساعدنا على قضاء مصالحنا ، واسأل الله تعالى أن يكشف عنا السوء ، واطلب منه أن يمنحنا رضاه ، واسأله أن يكشف عن المسلمين ما هم فيه من جهد وعناء وأن يزيل عنهم ما هم فيه من فاقه وبلاء — سنقول له ذلك وأكثر من ذلك ونقول له أنت أعرف منا بربك وأدرى بما يجب له من أدب وخضوع ، والله يقول « وتعاونوا على البر والتقوى » ونحن عبيد قد أعمتنا الدنيا عن معرفة الله وشغلتنا عن حضرته وحالت بيننا وبينه فأصبحنا نستحق الابعاد ونستوجب الطرد والاعراض من حضرته وليس لنا موئل ولا سند ولا معين الا أن نطلب منك المعاونة والمساعدة عنده فان لم تعاونا وتساعدنا لنكونن من الخاسرين نعم سنقول له ذلك اعترافا لله بعجزنا واعترافا بخطيئاتنا واقرارا بتقصيرنا وقصورنا عن طلب السؤال منه لأننا أعصيناه وخرجنا عن حدود الأدب فى معاملته وانصعنا لشهواتنا ، وانقدنا لأهوائنا ، وما بقى لنا وجه نسأله به ولسان نذكره به وما بقى لنا الا الشفاعة عنده وبأخص أحبابه ، وأخلص المقربين له ، هذا هو تقديرنا لتعاليم القرآن ، وتقديرنا لمقام ربنا ، وتقديرنا لمقام أحبابه وتقديرنا لأنفسنا،فمن يسمع سمع ، ومن يحاسب الدين والقرآن ، فليس لنا معه كلام

« صناديق النذور فكرة اجتماعية مهذبة وسليمة »

كلما جد الجد بالمسلمين ونزلت بهم ضائقة اقتصادية أفرغت جيوبهم وأخلت أيديهم من الدراهم والدنانير — هرعوا الى الشعب ولاذوا برحابه المسيح فوجدوا فى يديه مفتاح الفرج وباب الخلاص من هذه الضائقة لأن القرش الواحد من كل فرد من أفراد الشعب يعدل ربع مليون من الجنيهات . قد يضيق بدفعها مصرف من مصارف الدولة أو فرد واحد من أفراده الكبار ، فاذا تبرع كل فرد من أفراد الشعب بعشرة قروش أمكننا الحصول على ما يقرب من ثلاثة ملايين من الجنيهات ندفع بها

صائقتنا بيسر وسهولة وبدون أن يكون فى ذلك أقل تأثير فى اقتصاد الفرد مهما قل دخله وبهذه العملية البسيطة يمكن التخلص من الأزمات الاقتصادية التى تطرأ بين آن وآن وما معونة الشتاء الا واحدة من هذه الأزمات التى نهرع فيها الى الشعب ونجد منه العون الكثير

وقد يلجأ المصلحون الى صنع صناديق صغيرة عند طروء الأزمات يحملها الأفراد على أيديهم ويطوفون بها على المسرعين ، يجمعون فيها ما يدفعون به أى صائقة طارئة ، وقد يبذل حاملوا الصناديق الكثير من ماء وجوههم ، وقد يسمعون ممن صعرت نفوسهم الكثير من الكلام اللاذع القبيح أما صناديق النذور فهى صناديق قائمة بنفسها ، ثابتة فى أماكنها لا تسأل أحدا ولا تستجدى من أحد عطاء تؤدى وظيفتها التى أقيمت لها فى صمت وخشوع وهى جمع ما يمكن جمعه من الشعب عن طيب خاطر واقبال تام ، لصرفه فى تفريج الأزمات الفردية والصائقات الاقتصادية التى تحيط بالعائلات الفقيرة المتمتعة بهذه الصناديق ، وهذه العائلات تعد بالمئات ، وقد تبلغ الآلاف ويظن بعض الناس أن هذه الصناديق لا تؤدى عرضا اجتماعيا وانما هى فى نظرهم متعة اقتصادية للحصول على المال بأى وجه من الوجوه ويخطىء كل الخطأ من يظن ذلك الظن ويرمى نفسه بقصر النظر من يقول أن الصناديق أقيمت للترف والتمتع بالمال لحساب طائفة معينة . لا تستحق عونا ولا مساعده ولا تبعد عنهم بؤسا ، ولا تدفع عنهم شقاء

هل يصل اليهم منه ما يسدون به رمقهم ، ويسلأون به فراغ بطونهم الخاوية من كسرة العيش وفتاة الرغيف ، ان العطف والشفقة لا يعرفان طريقا لهذه القلوب المتحجرة التى لا تعرف بفائدة هذه الصناديق ، والتى تسعى جاهدة فى الحط من نفعها والتقليل من فائدتها ، وتعمل على عدم بقائها فى خدمة الفقراء والمساكين ، مع أنها تؤدى أيضا عرضا اجتماعيا خطيرا فى المصالح العامة للدولة واقامة الشعائر فى أنحاء البلاد ، حق المتبرمين من صناديق النذور أن يعلموا أن صناديق النذور فكرة اجتماعية مهذبة وسليمة ، لا يعارض فيها الا كل شارد عن طريق الحق سائر وراء نفسه ومتابعة هواه

فمن يطعن فيها ويتجاهل فائدتها لا يعرف مصالح الشعب الفردية والاجتماعية، ولا يدرى ما هى المنفعة الانسانية والاجتماعية التى تقدم لأفراد الشعب المصاحبين

ويضغط على أسنانه المعترض على سيدى أحمد ويقول فى لهفه المحترق قلبه ، ان النذور التى تلقى فى الصناديق فيها ضرران دينيان وضرر اجتماعى

أما الضرر الدينى فى نظره فبينه بقوله «ان ترك المسلمين يضعون النذور فى الصناديق يؤدى بهم الى الوثنية التى تخرجهم عن دين الاسلام الى ساحات الشرك ، بهذا التعبير ينطق المعترض فيخرج المسلمين من دين الاسلام الى ساحات الشرك فرش يضعونه فى الصندوق — بئس هذا التعبير — وبئس هذا العلم — أما الضرر الدينى الثانى فيقول فيه حضرته ما نصه — أن أموالا كثيرة تبلغ عشرات الآلاف من الجنيهات انما تذهب عبثا كل عام فى هذه الصناديق وحسبك أن تعلم أن صندوق قبة السيد البدوى يدر كل عام خمسة آلاف من الجنيهات غير المصوغات والحلى هذا فى الأيام العادية ولكن فى الموالد تزيد النذور وقد علم المعترض مما نشرته المصرى أن النذور بلغت فى مولده الكبير ثمانية آلاف من الجنيهات ، ثم يقول حضرته وبلغت فى بعض السنين مائة وخمسين ألف جنيه ، وعلى كل فلا أدرى هل هذا مدح أو ذم ، وما هو الضرر الدينى فى هذا ؟

يقول حضرته ان عشرات الألوف من الجنيهات التى توضع فى صندوق البدوى انما تذهب عبثا فى كل عام

لا أفهم ماذا يعنى بقوله تذهب عبثا هل يعنى حضرته أن صندوق البدوى يفتح ويعده العادون ثم ترمى نقوده فى الشوارع تحت أقدام المارة والسابلة ، أو هى تجمع ثم تحرق ويطرح ترابها فى الهواء مع أنه يعلم أن نصفه يصرف فى المصالح العامة للدولة ونصفه الآخر لطلبة العلم ، والعلماء والموظفين

أما الضرر الثالث الاجتماعى فيقول فيه ، ان وضع النذور فى الصناديق يدعو الناس الى الكسل والاستنامة وترك العمل ، لأنه لم يضع نذره الا وهو

يعمد أن الولى سيهض له بهذا العمل ، ويضع عنه تكاليف أثقاله — لا أدرى ما هو العمل الذى ستركه وينام عنه صاحب الندر ؟ هل يترك الصلاة والزكاة والصوم والحج لأنه وضع قرشا فى صندوق البدوى ، ويقول يقوم عنى البدوى ، بحمل تكاليف الصلاة والزكاة والصوم والحج لأنى وضعت ندرا فى صندوقه هل هذا كلام عقلاء أو مراده بالعمل الذى سينهض به الولى هو عمل الناس فى متاجرهم ومصانعهم وحقولهم وهل يعقل هذا المعترض أن من يدفع ندرا فى الصندوق سيذهب الى البيت وينام فيه ويترك متجره أو مصنعه أو حقله لسيد البدوى ليقوم عنه بالعمل فى متجره أو فى مصنعه أو يسرح للفلاح بقرته أو جاموسه لا أفهم كيف يتكلم هذا المعترض • وخير لى أن أسكت عن مناقشته وخير له أن يشطب من كتابه هذا الكلام

كرامة البدوى

أقرب كرامة شاهدتها منه بنفسى ووقعت لى معه شخصيا وهى تدل دلالة واضحة على كرم نفسه ، وحدبه على الضعفاء وتطوعه لخدمة المسلمين حسبة لوجه الله تعالى هى أنى قد أمرت ممن لا يمكننى مخالفة أمره ، ومن جهة رئيسية عليا أيضا ، بأن أقدم على فعل أمر من الأمور المشروعة وأن أحقق هذا الأمر على الفور وفى أقرب فرصة ممكنة لأن هذا الأمر تتوقف عليه مصلحة دينية تتعلق بى ، ولكون هذا الأمر صادرا ممن لا يمكننى مخالفته ، ومن جهة رئيسية عليا ، ولكون مصلحتى الدينية تتوقف عليه توقفا مباشرا ، شرعت فى العمل على امتثال هذا الأمر ولكنى لم أوفق للحصول عليه ، فحدث بعد ذلك أن هددت بأنواع التهديد ، فبذلت ما يمكننى بذله للحصول عليه ، ولكن لم أوفق أيضا فوقعت بسبب تخلفى فى كرب عظيم أعجزنى وأقعدنى حتى يئست من حياتى وإذا البدوى ينبرى للدفاع عنى ، فأسمع الأوامر توجه الى بأنه لابد من الامتثال ، فيقف البدوى معارضا لهذه الأوامر ويقول بسراته القوية الحاسمة « لا يمكن » . كانت هذه الكلمة هى حكمه الحاسم فى هذه المسألة ، فتمسك الآمرون بأمرهم ، وتمسك البدوى بمعارضتهم ، وفى هذه المشادة

العسيمة استعمل كل طرف مسهم قوته الروحية ، وقدرته الربانية ، فى سبيل وصوله الى عايته ، فلم يمكن أن تحرح المسألة من قصة البدوى ، ووقف فيها كالطود الثابت الراسخ لا ترحرحه قوة ولا يمكن أن يلويه أحد عن عرصه مهما حاول وكانت النتيجة ما حكم به رصى الله عنه فكان دلك منه كرامه تدل على تعمقه فى المعارف الربانية حتى فى الأوساط العليا من حواص الأمة المحمدية ولما رفعت المسألة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف البدوى بين يديه الشريفتين يدلى بحجته فى فوه وتماسك ولم يكن الحكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن أقره على رأيه ، والأمر لله من قبل ومن بعد « ويخلق ما لا تعلمون » حقا انه « بدهه المصام » « وحجة الحيران » فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين كل خير ، أما كراماته الأخرى المدونة فى الكتب فأمر يطول شرحه وقد مر بك كثير من هده الكرامات والبدوى لسن فى حاجه لسرد كرامات

وفاته رضى الله عنه

أجمع المؤرخون على أن وفاته كانت يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٦٧٥ هجريه بمدينه طنطا بمنزل الشيخ شحيط حيث كان يتعبد وحيث دفن وبنى له فيه قبر ، ثم بنى حوله مسجد ، ثم بنيت عليه قبة فريده فى نوعها فى عهد على بك الكبير

وكانت مده حياته تسعة وسبعين سنة على عدد مجموع الأرقام التى تدل عليها حروف كلمة « المدد » بحساب الجمل المعروف ، فالألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والدالان بثمانيه ، فالمجموع تسعة وسبعون سنة ، وهى تعادل المدة من سنة مولده وهى سنة ٥٩٦ هـ الى سنة ٦٧٥ هـ سنه وفاته وفى هـذا رمز الى أن حيـاته كانت مددا عظيما أمد الله به الناس ليبعث فيهم روح الحياة والعمل الصالح فى القرن السابع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يدور الاسبوع على ايام سبعة

فهل يستدير الزمان كل سبعة قرون

كانت مفاجأة كبرى ولادة عيسى عليه السلام من غير أب فكان هذا نحو أعظم حدث تاريخي هام من أحداث العالم التي شغلته كله بوقائعها التي لاتزال تلوكها الألسن وتتحدث بغرائبها الأجيال وفي القرن السابع من ميلاد عيسى عليه السلام فوجيء العالم بأعظم مفاجأة انصعت لها الأسماع وانطلقت بها الألسنة ، فقالوا بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا للبشرية ، وداعيا لعباده رب واحد واله واحد ، وجاء بكتاب من عند الله يهدى الى الحق والى طريق مستقيم

ويظهر أن كل قرن سابع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص بأحداث هامه في الدوله الاسلاميه خاصه وفي العالم عامه ، فكان القرن السابع — الذى اختتمت فيه حياة البدوى — خاتمة عهد الصليبيين حيث قضى عليهم فيه قضاء مبرما ، وطردوا من بلاد الاسلام الى ما وراء البحار

وكان القرن السابع الثانى بعد القرن السابع الأول هو القرن الرابع عشر الهجرى الذى قامت فيه قائمة المستعمرين على المسلمين والذى قضى عليهم فيه قضاءا مبرما على يد رجال الثوره العاملين ، ولا يدرى الا الله ما هى الأحداث التى يخبئها القدر للعالم بعد ٢٠٠٠ سنه من هجرة خاتم المرسلين ، هذه أحداث هامه تتوالى على العالم كل سبعه قرون على نظام خاص تبتدىء مقدماتها فى السادس وتنتهى فى السابع تدل على أن الزمان يستدير عليها كما تستدير أيامه على سبعه أيام ويأتى لنا بعجائبه على رأس كل سبعة من هذه القرون

ولم يبق شيئا من هذه العجائب الا عجيبة واحدة هى ذنب هؤلاء المستعمرين المنغمس فى رمال فلسطين ، وهذا الذنب هو « اسرائيل » العدوة اللدوده للعرب خاصة وللمسلمين عامه ، ونرجو الله رجاء حارا أن يقطع هذا الذنب ويبتره من أساسه ، ويلقى به فى أعماق البحار ويريحنا من سمومه

التي يحملها في طياته الحيثة التي أعدها للفتك بالعرب والاستيلاء على ديارهم ومواردهم بغير حق مشروع الا أنا وسعاهم وآكرمناهم بسبب عطف الاسلام ورعايته لحقوق أهل الكتاب الذين لا يعرفون جميلا ولا يعترفون بمعروف

مخلفات البدوي

لم يترك البدوي بعد وفاته شيئا يورث عنه الا مسبحة وعمامة وبردة وقميصا ومشطا ، وكلها محفوظة في حجرة خاصة بها بالمسجد الأحمدي بطنطا ولا يزال خلفاؤه يلبسون عمامته وعباءته في مولده الكبير والعمامة هي عمامة سيدى أحمد بيده ولا تزال على حالها الى الآن

خليفته الأولى

كان خط سيدى عبد العال الأنصارى سعيدا ، وكان فضل الله عليه عظيما ، اذ هيأ له هذه المنحة التي لايحلم بها الانسان ، فساقها اليه من بلاد الحجاز الى طنطا نحلة اختصه الله بها من بين الناس لأنه أهل لها ، وأحق بها فاختاره سيدى أحمد من بين أبنائه الذين يعدون بالألوف لطهارة نفسه وخلوص قلبه ، وكان يقول له ياعبد العال لابد أن أبنى لك زاوية وحدد له موضعها فوق الكوم الأحمر بجوار بيت الشيخ شحيط ، فقال له ياسيدى هذا الكوم عال عليا ، فقال له سيدى أحمد انى آمر من يعاونك على ازالته . فقال سيدى عبد العال فلما لقى أستاذى ربه سألت من كلفه سيدى أحمد بهذه المعاونة فقلت له أرحنى من هذا الكوم أراحك الله ، فأمر أعوانه فرفعوا الكوم وبددوه فى أقرب وقت ثم بنى الزاويه فى مكانها وعمرها ورتب فيها الفقراء والمريدين كما أشار عليه أستاذه ، قال وصرت خليفته من بعده باذنه لى صريحا وحسبك به من ثقة عارف بالله ضابط لوقائع أستاذه وله كرامات كثيرة ذكرها المؤرخون

ومن كرامته الباقية أن كل حاجة عرضت عليه أولا قضيت عند أستاذه لكونه الواسطة بينه وبين أتباعه حيا وميتا ، ولهذا ينبغى زيارته أولا قبل

زيارة أستاذه وقد اشتهر بأنه صاحب الشورى وأظهر صفاته هدوء أخلاقه وإجارته لمن يستجير بحماه كأستاذه ، وعطفه على الفقراء والعواجز حتى اشتهر بأبى العواجز ، أما مركزه الصوفى فقد بلغ درجة الأقطاب الكبار وفاقها ، لأن الخليفة لا يكون خليفة الا اذا كان على قدم أستاذه وشرب من مشربه ، ولما كانت درجة سيدى أحمد فوق درجة الأقطاب كانت درجة خليفته تبلغ درجة الأقطاب أو تزيد ، وقد عمر رضى الله عنه عمرا طويلا يربو على المائة فقد خدم أستاذه أربعين سنة وكان سنه وقت أن باشر خدمته لا تقل عن عشر سنين وعاش بعده خليفة ثمان وخمسين سنة وتوفى رضى الله عنه يوم السبت الموافق عشرين من ذى الحجة سنة ٧٣٣ هجرية .

وقد أدرك تسعة من سلاطين المماليك البحرية أولهم الظاهر بيبرس وآخرهم الناصر محمد بن قلاوون كما أدرك أستاذه عشرة من سلاطين الدولة الأيوبية وسلاطين المماليك البحرية أو أحد عشر أولهم الكامل بن العادل الأيوبى اذا كان حضور سيدى أحمد الى طنطا سنة ٦٣٥ هـ أو العادل بن الكامل ان كان حضوره سنة ٦٣٧ هجرية وآخرهم الظاهر بيبرس البندقدارى من المماليك البحرية

خليفته الثانى

هو عبد الرحمن أخو سيدى عبد العال وكان يلقب بزين العابدين ، تولى الخلافة بعد أخيه وسار سيرته فى مراعاة شئون الخلافة ، وكان على قدم عظيم فى الولاية فعمر الزاوية وقصده الناس للتبرك ، والاستشفاع به لدى الحكام ، ومكث فى الخلافة عشرين سنة الى أن توفى سنة ٧٥٤ هـ ودفن بجوار أخيه ، ثم خلفه من بعده أخوه على وكان يلقب نور الدين ، ومكث فى الخلافة خمسا وثلاثين سنة ، وتوفى سنة ٧٨٩ هـ وأعقب نور الدين هذا ولده شمس الدين ومكث فى الخلافة ثلاثة وخمسين سنة وتوفى سنة ٨٤٢ هـ وأعقب شمس الدين ولده أحمد وكان يلقب بشهاب الدين ومكث فى الخلافة أربع سنوات وثلث سنة وتوفى سنة ٨٤٦ ومن بعد أحمد تولى الخلافة عبد الكريم ابن أخى أحمد ومكث فيها عبد الكريم الى أن قتل ٨٦٣هـ وكانت خلافته ست عشرة سنة وشهرين ، ومن بعد عبد الكريم تولى سالم الملقب

بجمال الدين ، ومن بعد سالم تولى ابراهيم الشهير بالأسمر ومن بعد ابراهيم تولى محمد الشهير بالأبيض وتوفى سنة ٩٢٢ ثم عبد الكريم وتوفى سنة ٩٦١ ثم عبد المجيد وتوفى سنة ٩٦٥ ثم أحمد الأحمدى ثم كريم الدين ولم تزل الخلافة تنتقل فى أقارب سيدى عبد العال حتى انقرضوا فانتقلت الى أقاربه من جهة الرحم الى أن وصلت الى الخلفاء الحاليين وعدد الخلفاء فى هذه السبعة قرون ست وعشرون خليفة من عهد سيدى عبد العال الى الآن ـــ كما أن أجداد سيدى أحمد فى السبعة قرون الأولى من سيدنا على كرم الله وجهه الى سيدى أحمد كان سبعه وعشرين جدا فسنة الخلفاء فى السبعة قرون الثانية كنسبة أجداده فى السبعة قرون الأولى وهذا من الاتفاقات النادرة

الله جل جلاله

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعه وتسعين اسما مائه الا واحد من أحصاها دخل الجنة ، ثم قال أبو هريره هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام الى آخر الأسماء التسعة والتسعين ، واسم « الله » هو أعظم الأسماء التسعة والتسعين وانما كان أعظمها لوجوه «الوجهالأول» أنهيدل علىالذات المتصفة بالثمانيةوالتسعين اسما أما غيرهمن الأسماء فلا يدل الا على ذات متصفة بمعناه فقط ، كالقادر والعليم والحكيم ، فانه لا يدل الا على ذات متصفة بالقدره أو العلم وأما الله فيدل على الذات المتصفه بالصفات كلها

« الوجه الثانى » اختصاص الحق به سبحانه وتعالى وأنه لا يسمى به أحد غيره فلم يسم أحد باسم « الله » رأسا أما غيره من الأسماء فقد يطلق على غير الله كما اذا سميت حليما أو حكيما أو برا أو غير ذلك

« الوجه الثالث » أن سائر أسماء الله توصف بأنها من أسماء الله فيقال الحكيم مثلا من أسماء الله ولا يقال الله من أسماء الحكيم « الوجه الرابع» ان اسم الله هو أصل الذكر، وفى الحديث أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله والذكر به أعظم ثوابا من الذكر باسم الحكيم مثلا .

وهو أيضا أقرب احاطة من غيره فلهذه الوجوه كان هو الاسم الأعظم أو الاسم الجامع لسائر الصفات ، ولهذا كان العلم الخاص على الذات الواجب الوجود المستحق لصفات الألوهية المنعوت بنعوت الربوبية ، المفرد بالوجود الحقيقي الذى يفيد غيره الوجود ولا يستفيد وجوده من غيره ، ولكونه أعظم الأسماء أو الاسم الأعظم كان ذكره كثيرا هو مفتاح الوصول الى حضرة الحق تبارك وتعالى كما أشار الى ذلك قوله والذاكرين الله كثيرا كلما أكثر العبد من ذكر الله كلما استضاءت بصيرته واستنارت سريرته وانمحى عن قلبه ظلمات الأغيار ، وانمحقت عنها غياهب الأستار ، وانكشفت سرائر الأسرار ، عن نور الأنوار جل شأنه ، وعن جلال عظمة ذات الله الواحد القهار ممدا للعالم كله علويه وسفليه بأنواره التى بينها سبحانه بقوله « الله نور السموات والأرض »

وقربها للأذهان بأوضح تمثيل بقوله «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى» وان من يتصور فى نفسه زجاجة مستديرة كقرص الشمس كأنها فى صفائها وبهائها كوكب درى تضيء بذاتها اضاءة الكواكب الدرية كوكب الزهرة والمشترى ونحوهما ، ثم يتصور مع ذلك أن بداخل تلك الزجاجة الدرية الوضاءة مصباحا يزيدها بأنواره الذاتية المشتعلة فيه اضاءة على اضاءتها الدرية ، ويتصور أيضا أن هذا المصباح يوقد بزيت يكاد هذا الزيت أن يضيء بنفسه ولو لم تمسسه النار هذه الأنوار الثلاثة من يتصورها فى نفسه ثم يتصورها بعد ذلك محصورة فى كوة أى طاقة غير نافذة مستديرة دورانا تاما مستويا الحصر فى تلك الكوة نور الزجاجة ونور المصباح ونور الزيت يدرك ما يعنيه الله بقوله « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » يدرك نورا مضاعفا تناصرت فيه الأنوار الثلاثة نور الزجاجة الدرية ونور المصباح الوضاء بنفسه ونور الزيت الذى يكاد يضيء بنفسه ولو لم تمسسه النار ، هذا النور المضاعف هو مثل لنور الحق الذى لا يشبهه شيء وليس كمثله شيء يهدى الله لهذا النور من يشاء من عباده

الأطهار ، فهو نور ظهر به الوجود كله واستمد منه كل موجود ، لايحجبك عن رؤيته الا ماران على قلبك من آثارخطيئاتك فأوجد عليه طبقة حالت بينك وبين رؤية هذا النور كمـا يحول الغمام الأسود بينك وبين قرص الشمس نهارا يمنعك من مشاهدتها الاكثافه هذا الغمام، نعم لايحجبك عن رؤيةهذا النور الا ماران على قلبك،كالغطاء المائى الذي يجتمع فوق ناصر العين فيحجبه عن رؤية المبصرات حوله ولولا هذا الماء المتراكم على ناصر العين لشـاهدت الناس أمامك عيانا بيانا ، ولولا ماران على قلبك من كسبك الخسيس وعملك الخبيث لشاهدت هذا النور جهارا نهارا ولشهدت بصدق ما نادى به القرآن فى كل مكان وزمان ، وشاهدت مواصفاته حقيقة مرئية ماثلةأمام عينك بدون تأول ولا تجوز فعلم أن الله معك أينما كنت ، وتعلم أنه جل شأنه رابع لكل ثلاثة يتناجون ، وخامس لـكل أربعة يتحدثون ، وسادس لكل خمسـة يتآمرون ، ومتمم لأى عدد أقل من ذلك أو أكثر كيفما يكون ، فما كان القرآن يقول « فأينما تولوا فثم وجه الله » ، الا وهو يعنى ما يقول ، وما كان القرآن يقول « وهو معكم أينما كنتم » الا وهو يعنى ما يقول يعنى حقا أنك أينما وليت وجهك فلا ترى ببصيرتك أمام وجهك الا وجه الله كما ترى الشمس أمام عينيك أينما وليت وجهك فى رابعة النهار ، ويعنى حقا أنك أينما كنت فالله معك كما أنك أينما كنت ترى الشمس معـك لا تفارقك أبدا الا اذا غابت عنك والله حاضر لا يغيب ، واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، فاللهم ارزقنا الأدب فى معيتك والمراقبة الدائمة لحضرتك ولا تكتبنا فى عداد الغائبين عن مشاهدتك الغافلين عن مراقبتك ، ولو علمت على ازالة هذا الران عن قلبك وازالة الحجاب الحاجز لتعود بصيرتك بمـا وصف الله لك من أدوائه وأرشدك اليه من ذكر الله ودعائه لشاهدت فعلا أن « الله نور السموات والأرض » ولعاينت حقا أن مثل نوره كمثل المشكاة المشتملة على هذه الأنوار المتناصرة بذواتها الساطعة بنفسها اللامعة بأنوارها

يقول أبو هريره فى بقية الحديث المتقدم من أحصاها وفى رواية البخارى من حفظها أى التسعة والتسعين اسما دخل الجنة والاحصاء يحتمل وجوهـا أربعة

« أحدها » أن يحصيها عدا وسردا فلا يقتصر على بعض الأسماء بل يدعو الله بجميعها ، ويثنى عليه بها كلها فيستحق الثواب المترتب عليها وهو دخول الجنة ان كان من المؤمنين

(وثانيها) أن يحصيها علما واحاطة فيحيط علما بتفاصيلها ومعانيها التى تدل عليها فيعلم أن المتكبر مثلا هو الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة اليه ، ولا يرى العظمة والكبرياء مستحقة وجودها الا اليه سبحانه وتعالى — ويعلم أن الخالق هو الموجد للمخلوقات على وفق تقدير سابق وأن معنى خلق الانسان مثلا معناه أوجده بعد أن قدر ما منه وجوده وهو الماء والتراب معا لا الماء وحده لأنه رطب لا ينتصب ولا يتماسك ، ولا التراب وحده لأنه يابس محض لا ينثنى ولا ينعطف فى الحركات ، ولا هما معا من غير مزج لأنه ينفصل ولا يتماسك أيضا بل لابد من أنه تعالى يقدر له حرارة طابخة حتى يستحكم مزاج الماء بالتراب ويكون صلصالا كالفخار — وهو الطين المحروق ولابد أيضا من تقدير أن الماء والطين يكونان بمقدار خاص مناسب لأنه ان صغر جدا تسفيه الرياح ، وان عظم جدا ضاقت به السبل وهكذا القول فى سائر أسمائه لابد أن يحصيها علما واحاطة فيحيط بمعانيها التى تدل عليها كما قدمنا

« وثالثها » أن يحصيها عملا واعتبارا فيعتبر بمعانيها ويعمل بمقتضاها ويلزم نفسه بواجبها ، فاذا قال الرزاق مثلا وثق بأن الله سيرزقه لا محالة ، واذا قال الحكيم مثلا سلم جميع أموره اليه سبحانه وتعالى لأن جميعهـا جارية على مقتضى الحكمة البالغة

« ورابعها » أن يحصيها تخلقا وتحققا فيتخلق بأسمائه تبارك وتعالى ويتحقق بصفاته كما ورد تخلقوا بأخلاق الله ومن ضرورة المتخلق باسـمائه والمتحقق بصفاته أن يعرف خواصها وأسرارها فى الكون فلا يمر على موجود الا ويظهر له فيه معنى من معانى تلك الأسماء ويعرف فيه خواصها ، ومظهر كل صفة من صفاته تبارك وتعالى — واحصاؤها على هذا الوجه الاخير هـو مرتبة الأنبياء والصديقين — أما احصاؤها عملا واعتبارا فهو مرتبة العاملـين وأحصاها علما واحاطة فهو مرتبة العالمين — بكسر اللام — والاحصاء على

الوجه الأول هو مرتبة عامة المؤمنين، والمرجو من كرم الله وفضله أن من حصل له احصاء هذه الأسماء على احدى هذه المراتب الأربعة المتقدمة مع الايمان وصدق النية أن يدخله الجنة فى السابقين الاولين أو فى زمرة العلماء أو العاملين أو فى زمرة أصحاب اليمين

محمد رسول الله

قلنا ان مفتاح الوصول الى حضرة الحق هو ذكر اسم الله الأعظم كثيرا وبصفة مستديمة ، أما مفتاح الوصول الى رسوله صلى الله عليه وسلم فتجده فى التمسك بكتاب الله تعالى ، وبالتمسك بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم فبالعمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وبالتحلق بأخلاقهما تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالا مباشرا « لا يمنعك عن مشاهدته حجاب ، ولا يسترك عن رؤيته أى باب وكلما تحلقت بآداب القرآن وتمكنت فى العمل بأحكامه فصل تمكن كلما دنيت من حضرته وفزت بمشاهدته وشربت من منهله ، لأن هذه هى الطريقة التى كان عليها النبى صلى الله عليه وسلم وكان عليها أصحابه وخلفاؤه من بعده طريقة العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، واذا اتصلت بحضرة الرسول سلكت مسلكه فى معرفة ربه تبارك وتعالى سلوكا منطبقا على أحكام القرآن وتعاليمه بعيدا عن نزعات القول بوحدة الوجود ، أو القول بما يشبه الحلول أو يشبه الاتحاد أو نحو ذلك مما تسمعه فى كلام العارفين بربهم عن طريق ذكر أسمائه تبارك وتعالى — وربما كان الوصول الى معرفة الله عن طريق الذكر بالأسماء ابعد أثرا ، وأعمق غورا ، وأقوى نورا ، وأوضح كشفا — وربما كان الوصول الى معرفة الله عن طريق العمل بالكتاب والسنة أقعد وأثبت وأبعد عن الزلل والوقوع فى تلك النزعات .

وليست هاتان الطريقتان الموصلتان الى الله ورسوله ، أعنى طريقة الذكر ، وطريقة العمل بالكتاب والسنة منفصلتين عن بعضهما انفصالا تاما من كل وجه كما قد يبدو فى بادىء الرأى ، بل هما متلازمتان ولا ينفكان عن بعضهما ، فلابد للسالك عن طريق ذكر الله من العمل بكتاب

الله وسنة وسوله ، ولابد للسالك عن طريق العمل بكتاب الله وسنة رسوله من ذكر الله أيضا واسا عدتا طريقيين باعتبار علة احدى الطريقتين على الأخرى ، فادا تغلب جانب الذكر على جانب العمل كان الحكم للذكر وادا تغلب جانب العمل على جانب الذكر كان الحكم للعمل ، فالطريقان متلازمتان ويعرض الانفكاك لهما بالعلة المتقدمة ، ومرية الأولى الاتصال بالله مباشرة « ومرية الثانية الاتصال برسول الله ثم بالله عن طريقه صلى الله عليه وسلم ، واد قد وصفنا لك الطريقتين فاختر لنفسك ما يحلو جعلنا الله من المتحققين بما وصفوا لا ممن وصفوا ولم يتحققوا

عباده الله

العبادة في اللغة الذلة والخضوع ، يقال طريق معبد أي مذلل وناقة معبده أي مذلله ونفس معبده أي مذللة وخاضعة وفي الشرع طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه مع أقصى غايه الخضوع والتذلل فكل ذلة عبادة لغوية ، كذلك المحكوم للحاكم وذلة الولد لأبيه ، وذلة الزوجة لزوجها ، وذلة العبد العاصي للولي الطائع

كل هذه الأمثلة تسمى عبادةلغوية ولا يعاقب فاعلها عليها وان أوقعها لغير الله تعالى لأنها ليست عبادة شرعيه ، وانما العبادة التي يعاقب فاعلها عليها اذا أوقعها لغير الله هي العبادة الشرعية وقد علمت أن العبادة في الشرع هي طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه مع أقصى غاية الخضوع والتذلل — فاذا أوقعت طاعة الله فيما أمرك به من صلاة وصوم وحج بأن صليت لغير الله أو صمت لغير الله أو حججت لغير الله أو نذرت لغير الله بأن أردت القربة لغير الله بنذرك ، فقد عبدت ذلك الغير واستوجبت عقاب الله على ايقاع هذه العبادة لغير الله .

هذان أصلان يجب على كل مسلم أن يحفظهما ويعلمهما — الأصل الأول أن كل ذلة لغير الله ليست عبادة يعاقب عليها ، والأصل الثاني أن عبادة غير الله لا تتحقق الا اذا أوقعت طاعته فيما أمرك به من سجود أو ركوع أوقعته الى

غيره كالسجود والركوع للأصنام أو لأى أحد من مخلوقاته تبارك وتعالى — ومعنى ذلك بطريق أقصر هو أن عبادة غير الله لا تتحقق الا اذا أوقعت المعنى الشرعى للعبادة أوقعته لغير الله اذا علمت ذلك فاعلم أن قول بعض المعترضين على السيد البدوى أن وقوفك بين يديه بذلة وانكسار عبادة له كذب وافتراء وقولهم ان طلب معاونته لك عبادة له كذب وافتراء وقولهم ان نداءك لـه وطلبك لأى مصلحة منه عباده له كذب وافتراء وقولهم ان النذر له عبادة كذب وافتراء وقد قدمنا فيما كتبه الفقهاء فى النذور للأموات أن النذور لهم صحيحة حيث أريد بها قربة لله كصرف النقود المنذورة أو اطعام الذبيحة المنذورة للفقراء والمساكين والخدم ونحوهم — وانما كان هذا ونحـوه كذبا وافتراء لأنك قد علمت أن عبادة غير الله هى ايقاع طاعة الله فيما أمرك به ونهاك عنه لغير الله وليس فى شىء مما تقدم ذكره ايقاع طاعته فيما أمرك به ونهاك عنه لغير الله فكانت ادعاءاتهم كلها كذبا وافتراء، وكان هؤلاء المعترضين أصيبوا بوبه اسمها عبادة فكل كلمة يتكلم بها الزائر للولى يسمونها عبادة لغير الله وكل معنى للعبادة فى اللغة يسمونها عبادة لغير الله وجهلوا ان عبادة غير الله هى ايقاع الطاعة المأمور بها لغير الله فوقعوا فى هذا الجهل المبين

زيارة قبر الرسول — وقبور الاولياء والقبور العادية

زيارة القبور العادية سنة لحديث صحيح رواه أحمد عن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » فشرع الرسول زيارة القبور العادية لما فيها من تذكر الاخرة فان الزائر اذا تذكر أن أصحاب هذه القبور كانوا مثله يملأون العيون والمجالس بهجة وسرورا ثم انقلبوا الى هذه الحالة الذليلة يفترشون الأرض، ويتوسدون التراب، وأنهم اصبحوا رهناء أعمالهم التى قدموها فى الدنيا ان خيرا فخير وان شرا فشر، حمله ذلك التذكر على الزهد فى الدنيا والاستقلال منها وعدم الاغترار بها، وأقبل على طاعة الله وطلب الآخرة ما دام مآله لا محالة ان عاجلا وان آجلا مآل هؤلاء المزورين — أما زيارة قبر

الرسول فقد ورد فيها أحاديث كثيرة ، منها « من حج ولم يزرني فقد جفاني » ، ومنها « من وجد سعة ولم يزرني فقد جفاني » ، ومنها « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » ، ومنها « من زار قبري وجبت له شفاعتي »

فالحكمة في زيارة قبر الرسول ليست هي الحكمة في زيارة القبور العادية لأن الحكمة في زيارة القبور العادية هي أنها تذكر الآخرة — وأما حكمة زيارة قبر الرسول فقد بينها الرسول بنفسه بقوله من زار قبري وجبت له شفاعتي

اذن يكون الغرض من زيارة قبر الرسول هو حصول الزائر على فضل من الله يناله من هذه الزيارة فزيارة الرسول لتحصيل منفعة تعود على العبد من زيارته صلى الله عليه وسلم كحصول شفاعته لزائره كما أخبر عليه الصلاة والسلام وكحصول رضاه عنه ومنحه شيئا من بركاته ودعائه عليه الصلاة والسلام لزائره واستغفاره له ونحو ذلك — وليس الغرض من زيارة الرسول أن ندعو له وأن نستغفر له كما يفهم هؤلاء المعترضون قياسا منهم لزيارته على زيارة القبور العادية فانه عليه الصلاة والسلام لم يدعنا لزيارته لندعو له بل لنمنحنا عطاياه وانعاماته التى أنعم الله بها عليه وأفاضها عليه من كل ما تجود به نفسه وتقتضيه سجاياه الكريمة

هذه هى الحكمة التى من أجلها حثنا رسول الله على زيارة قبره الشريف وهذه الحكمة بعينها تجرى فى زيارة الأولياء والصالحين ، فان الأولياء والصالحين ليسوا فى حاجة الى دعاء هؤلاء الجهلة واستغفارهم لهم كيف وقد قربهم الله من حضرته وأدناهم من رحمته وأفاض عليهم من بركاته وألحقهم بالأنبياء والمرسلين وجعلهم فى معيتهم بنص القرآن الكريم — اذن يكون الغرض من زيارة قبور الأنبياء والصالحين هو حصول الزائرين على فضل من الله تعالى ينالهم من زيارتهم لهم كحصول رضاهم ومعاونتهم لهم ، ومنحهم شيئا من بركاتهم ودعائهم لهم بقضاء حوائجهم ، والحصول على مصالحهم ونحو ذلك ، وبهذا تعلم الفرق بين زيارة القبور العادية وزيارة قبر الرسول وزيارة قبور الأولياء والصالحين

الرحلة لزيارة الرسول وزيارة الأولياء الصالحين

اختلف العلماء فى أنه هل تندب الرحلة لزيارة القبور كما اعتيدت الرحلة لزيارة خليل الرحمن وأولاده وزيارة السيد البدوى وغيره من أكابر الأولياء والصالحين ، منعها بعض أئمة الشافعية الا لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة . ورد ذلك الغزالى بوضوح الفرق فان ما عدا المساجد الثلاثة مستوية فى الفضل فلا فائدة فى الرحلة اليها وأما الأولياء فهم متفاوتون فى القرب من الله تعالى وفى نفع الزائرين بمعارفهم وأسرارهم

وقال ابن حجر ولا تترك الزيارة لما يحصل عندها من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء لأن القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الانسان فعلها وانكار البدع بل وازالتها ان أمكن ــ ويؤيده الاتفاق على عدم ترك اتباع الجنازة وان كان معها نساء ونائحات ويؤيد الرحلة لزيارة الصالحين أن زيارة القبور مندوبة والرحلة لتحصيل المندوب مندوبة

الدعاء والقراءة للاموات واهداء ثوابها لهم

ورد من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وفى الحديث من قرأ الاخلاص احدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للاموات اعطى من الأجر بعدد الأموات ، وقد صرح العلماء فى باب الحج عن الغير ان للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صــوما أو صدقة أو غيرها ، وقالوا الافضل لمن يتصدق نفلا أن ينوى لجميع المؤمنين والمؤمنات فانها تصل اليهم ولا ينقص من أجره شيء وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، واستثنى مالك والشافعى العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة فلا يصل ثوابها الى الميت عندهما ــ والذى حرره المتأخــرون من الشافعية وصول القراءة للميت اذا كانت بحضرته او دعى له عقبها ولو غائبا، وقال بعض الحنفية من صام أو صلى أو تصدق وجعل ثوابه لغيره من الاحياء

أو الاموات حار ــ ومنع ابن تيمية اهداء ثواب القراءة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه الا بما أذن فيه ــ وهو الصلاة عليه وسؤال الوسيلة له ــ وبالغ ابن السبكي في الرد على ابن تيمية بأن مثل ذلك لا يحتاج الى اذن خاص لأن ابن عمر اعتمر عن النبي صلى الله عليه وسلم عمرا كثيرة

وحج ابن الموفق عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين حجة ، وختم ابن السراج عنه صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة آلاف ختمة وضحى عنه مثل ذلك

وأما الدعاء للاموات فلم يخالف في نفعه أحد لثبوته بنص القرآن الكريم ، قال تعالى « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم »

من كرامات بعض الاولياء

للأولياء كرامات لا يجحدها الا جاحد ولا ينكرها الا معاند ، وقد أحببت في هذا الملحق أن اذكر منها ما باشرته بنفسي وشاهدته بعيني ليكون عظة واعتبارا للمنكرين ، وتبصره وذكرى لقوم يؤمنون ، ولهذه الكرامات التي شاهدتها قصة استغرقت وقائعها أربع سنوات تبتدىء من سنة ١٩١٥ ميلادية وتنتهي سنة ١٩١٨ ، وتتلخص هذه القصة في أني كنت طالب علم بالقسم العالي بالسنة التاسعة سنة ١٩١٥ وعلمت أن بعض العلماء وعلى رأسهم شيخ الجامع الأحمدي « الشيخ الأحمدي الظواهري » حينذاك يترددون على زيارة ولي كبير من أولياء الله تعالى يدعى « السيد محمد أفندي الشريف » فتاقت نفسي الى أن أتردد مثلهم على زيارته ، فذهبت اليه مع زميل لي يدعى « الشيخ محمد قاسم » وكان على جانب عظيم من العلم كما كان على جانب من التقوى أيضا فلما وقع بصري على الشيخ أحببته حبا عظيما « وأحبني هو الآخر حبا عظيما » وكان طاعنا في السن يناهز التسعين

عاما ـ كما كان مقعدا لا يستطيع أن يجلس بنفسه فأما القيام على قدميه فلا يستطيعه بحال من الأحوال ـ فدعانى الى زيارته كل أسبوع فلبيت دعوته فمكثت أتردد عليه كل أسبوع مره ، ومكثت على ذلك مدة طويلة ، ثم دعانى لزيارته كل أسبوع مرتين ثم كل يوم مرتين فى آخر حياته ، وقد شاهدت منه خلال هذه الزيارات فى تلك السنوات المعدودات مثات من الكرامات ، وسأقص على القارىء بعضا منها كشهادة على صحة وقوع الكرامات من الأولياء وليزداد القارى بها ايمانا وهديا واستبصارا

فمن كراماته رضى الله عنه

أن والد زميلى مرضت احدى عينيه مرضا حادا ، وكان مقيما بالأرياف، فشكى زميلى الى الشيخ وهو بطنطا حدة المرض فى عين والـده ورجاه أن يدعو له بالشفاء ، فلم نشعر الا وعين الشيخ نفسه ترمد فى الحـال وتنتفخ حتى تكبر كالبيضة الصغيرة ، ثم تهمل منها الدموع ثم تحمر ثم تعود الى حالها الأولى فى دقائق معدودات ثم قال لزميلى هاهى عينى قد مرضت كما ترى ثم سأله هل عين أبيـك المريضة هى اليمنى أو اليسرى ، وكانت اليمنى فأجابه الشيخ محمد بأن العين المريضة هى اليسرى خطأ ـ فقال له الشـيخ ولكن عينى اليمنى هى التى مرضت ، فتذكر زميلى وضع أبيه فى جلسته فعلم أنها اليمنى فاستدرك وأخبر الشيخ بأنها اليمنى ـ فقال له الشيخ الحمد لله قد زال كل شىء فسافر زميلى من طنطا الى والده فوجد عينه سليمة قد زال عنها المرض تماما بما حمله الشيخ عنه من المرض فكان ذلك كرامة عجيبة من كراماته ، وليس من السهل على الانسان أن يتصور كيف انتقل المرض من عين شخص الى عين شخص آخر بهذه الصوره الغـريبة مع ما بينهما من البعـد الشاسع ، ولا يسعنا بعد المشـاهده الحسية الا التسـليم والايمان بكرامة الأوليـاء .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى كنت جالسا عنده يوما بعد صلاة العصر ، ومعى شقيقى وكان طالب علم أيضا . وكان الشيخ لم يعرفه والذى من قبل ولم يتقابل معه ، فسألنى

هل يلبس والدكم تحت عمامته لبدة حمراء فأجبناه بأنه لا يلبس لبدة حمراء أبدا ، ثم سكت قليلا وقال قوما الآن وقابلا والدكما على المحطة فقلنا له ان قطار المنصورة الذي يصل طنطا من جهتنا انما يصل في الساعة الواحدة والثلث بعد الظهر ولا يمكن أن يحضر أحد من جهتنا عادة الا في هذا الميعاد، فقال قوما الآن وقابلاه وكنا بعد العصر فانصرفنا من بين يديه فأما أنا فلم أذهب الى المحطة لعلمي بأنه لا يحضر أحد من جهتنا عادة بعد العصر فانصرفت الى المسجد الأحمدي ، وأرسلت أخي الى المحطة امتثالا لأمر الشيخ فاذا هو يحضر الى المسجد بوالده ، فسألته عن السبب في مخالفة عادته في الحضور الى طنطا في هذه المرة فقال انى كنت بالمنصورة لتسجيل شروط مبايعة ثم عن لي أن أبيت معكما بطنطا فطرب الى رأسه فوجدت تحت عمامته طاقية من الوبر الأحمر ، وهذه هي التي كان يسميها الشيخ لبدة حمراء فكان ذلك منه كرامة رضي الله عنه

ومن كراماته رضي الله عنه

أني كنت في زيارة له مع زميلي ومع زميل آخر هو ابن أخي الشيخ نفسه فعن للشيخ أن يقضي حاجته وكان يقضيها في قصرية في نفس الحجرة وعلى سريره وهو على جنبه ، فأمرنا بالانصراف على أن نعود بعد نصف ساعة ، فخرجنا نمشي على ترعة الجعفرية التي كانت تخترق مدينة طنطا فرأى لزميلي أن نشتريا « سندوتشا » لنأكلاه على شاطىء الجعفرية في الطريق العام — فاشتريا « السندوتش » وأكلاه أما أنا فرأيت أن ذلك محلا فامتنعت عن الشراء والأكل — ثم عدنا الى الشيخ وعندما دخلنا عليه مسلمين فاجأنا بقوله أنا أعلم أن أحمد لا يأكل في الطريق أما أنتما فتأكلان في الطريق فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه

ومن كراماته رضي الله عنه

أن أحد وكلاء عائلة أبو جارية « بأبو العز » حضر الى الشيخ وشكى اليه أن موكله من عائلة أبو جارية لم يعطه أجره عمله التي تكون منها عنده

١٥٠ جنيها وعزله من الوكالة ورفع عليه دعوى فى طنطا بالملع وجلستها غدا ثم قال للشيخ ادع الله أن أكسب القضية فقال الشيخ غدا سيحكم لك القاضى بمائه وخمسين جنيها وبمائه وخمسين قرشا بصفة مصاريف ، فحضر الجلسة غدا ، واذا بالقاضى يحكم على « أبو جاريه » بمائة وخمسين جنيها وبمائه وخمسين قرشامصاريف فكانت دهشة الشيخ محمد جاد وكيل « أبو جارية » عظيمة فجاء الى الشيخ يشكره على ذلك فكانت منه كرامه رضى الله عنه

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الشيخ ابراهيم الكاشف حضر اليه ومعه رجل فقير ليس له الا ولد واحد وقد ظلمه العمدة فأرسله الى السلطة فى حرب الانجليز ضد الأتراك حينذاك ، ورجا الشيخ فى اطلاق سراح ابنه الذى تعمد العمده ارساله الى السلطة ظلما وعدوانا ـ فلما فرغ من شكواه سكت الشيخ قليلا ،ثم قال له اذا أطلق الله سراح ولدك فاذبح شاة واطعمها للفقراء ولا تدع اليها الأغنياء ، ثم أمره أن يقوم على الفور ويذهب الى مركز طنطا ليأخذ ولده من المركز ويذهب به الى بلده فتقاعس فى المبادرة بالقيام ظنا منه أن الشيخ يريد صرفه من أمامه بأى طريقه، فاشتد الشيخ عليه وطلب منه القيام على الفور ليأخذ ولده من المركز فخرج الى المركز فوجد ولده عند وصوله خارجا من باب المركز ، فسأله عن السبب فى خروجه فقال له أمرنى الرئيس بالانصراف الى بلدتى بدون سبب وقال لى «روح روح بلدك» فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الانجليز فى سنة ٩١٨ دخلت فئة منهم مدينة طنطا ، وعسكروا فيها فانزعج الناس منهم فعز ذلك على الشيخ فقال لابنه «السيد أمين الشريف» سر فى الطريق خلف الانجليز وقل لهم فى سرك ولا ترفع صوتك « أبى يقول

لكم أخرجوا من طنطا » ففعل ذلك وفي اليوم الثاني خرجت هذه الفئة أمتعتها وخرجت من طنطا فكان ذلك منه كرامة رضي الله عنه

ومن كراماته رضي الله عنه

أنه لقنني كيفية زيارة الأولياء، فقال لي إذا أردت زيارة أحد من الأولياء فقل قبل أن تدخل الضريح استغفر الله العظيم احدى عشرة مرة، فإذا دخلت فإن كنت ترى الولي فتوجه نحوه وقل لا اله الا الله احدى عشرة مرة وإن كنت لا ترى شيئاً فقف حيث شئت وقل لا اله الا الله احدى عشرة مرة وفي الحادية عشرة محمد رسول الله لأن روح الولي ربما تكون مشغولة في مكان آخر فتحضر في الحال عند ذكر لا اله الا الله ، ثم بعد ذلك قل السلام عليك ياسيدي فلان ثم اقرأ الصمدية احدى عشرة مرة ثم قل اللهم تقبل مني هذه القراءة واجعل ثوابها في صحيفة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وثواب مثل ذلك لأرواح أبينا سيدنا آدم وأمنا سيدتنا حواء ومن ولدا من الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وثواب مثل ذلك لآل بيت النبي وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وعنا بهم ونفعنا الله بهم في الدنيا والآخرة ، وألحقنا بهم في الدارين آمين وثواب مثل ذلك في صحيفة الولي الذي تزوره ثم من تحت ثم قل « شيء لله من المدد » ياسيدي فلان احدى عشرة مرة ثم تطلب من الله حاجاتك الدنيوية ثم الأخروية — وكنت أتقبل منه ما يقوله بقلب سليم الا اني كنت أحب أن أتأكد مما يقوله لي فكنت أدخل عليه وهو نائم فأجلس في صمت وسكون ثم أشرع في تلاوة هذه الزيارة لأنظر هل تحضر روحه عند ذكر لا اله الا الله كما يقول لي في كيفية الزيارة فأقول في سري لا اله الا الله وفي المرة الثالثة أو الرابعة ما أشعر الا وقد انتفض بدنه وقام من نومه فزعاً كالمنزعج من شيء يحييه فأقبل يده وأسلم عليه — وقد كنت أوقظه وهو مغشى عليه في سكرات موته بهذه الطريقة فكان ذلك منه كرامة رضي الله عنه

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى تقدمت لشهادة العالمية سنة ١٩١٩ م وكنت مشغولا عن المذاكرة مكثرة زيارته لأنه أخيرا أمرنى بملازمة زيارته فى اليوم مرتين فكان احوانى يلوموننى على ترك المذاكرة والاشتغال بزيارته حتى تأثرت من كلامهم فقلت للشيخ ان النجاح بيد الله بلا شك وأنا لم أذاكر الى الآن وبقى ثلاثة شهور على الامتحان وهى لا تكفى للمذاكرة ، وأنا أريد أن أمر على العلوم لأستأنس فى اجابتى بهذا المرور وان كان النجاح بيد الله كما قلت فقال لى ان كلمة استأنس كلمة المحامين فهل أنت محام ؟ ثم قال لى اعلم أن الله سيوجد لك وقتا متسعا تذاكر فيه علومك وزيادة ، فسلمت له قوله وبقيت على زيارتى له فى اليوم مرتين وعطلت المذاكرة ولم أسمع لكلام اخوانى ، ولما ذهبنا من طنطا الى الأزهر لأداء الامتحان فوجئنا بالاضراب العام سنة ١٩ فتأخر الامتحان الى سنة ٢٠ وبذلك وجدت وقتا متسعا لمذاكرة علومى وزيادة ، فكان ذلك منه كرامة

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى لما أردت الامتحان لشهادة العالمية قال لى الشيخ من الذى تريد أن يكون معك فى الامتحان؟ فقلت الذى تختاره هو ما أريده فقال أتريد أن يكون معك النبى صلى الله عليه وسلم فقلت نعم أريد ذلك ثم قال ومن الذى تختاره أن يكون مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت ما تختاره أنت فقال أتحب أن يكون معه سيدنا على فقلت نعم أحب ذلك فقال ان شاء الله يكون ذلك ، ثم استدرك بعد يومين على اختيار سيدنا على بقوله « انما اخترت سيدنا على لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أنا مدينة العلم وعلى بابها » . وكان يظهر عليه الأسف وهو يقول ذلك ، وكأنه عوتب فى تخطيه اختيار سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان الى اختيار سيدنا على من بينهم ، هكذا فهمت من ملامح وجهه

ثم توفى رضى الله عنه قبل دخولى الامتحان ، ولما جاء يوم الامتحان رأيت فى صبيحته أن نورين عظيمين قصدانى وأنا بالقاهرة وجاءا الى

حتى دنيا منى ثم استيقظت ودخلت الامتحان فى ذلك اليــوم ولما جلســـ فى اللجنة وكان رئيسها الشيخ عبد الحكيم عطا شرع الشيخ عبد الحكيم يروى للجنة قصة طريفة فسب مما مائة فى المائة أنه يريد اسقاطى فى الامتحان فقال فى قصته ـــ فى العام الماضى حضر أمامى فى اللجنة طالب يشبه هذا الطالب فى الشكل والسن واللون ، وكان سنى اذ ذاك أربعـــا وعشرين سنة فأعطيناه شهادة العالمية ، وبعد ذلك ظهر لنا أنه « معاوى » يغنى للنــــاس بأغنيات لا تتناسب مع كرامة العلم والعلماء ، ويسمعهم «مواويل» وهم يسمعون له ويعجبون من مواويله ، فاضطررنا لأن نسحب منه شهاده العالميه وعلى الرغم من أنى فهمت غرضه لم أعبأ بقصته ولم أعرها التفاتة بل انى ضحكت من رواية هذه القصة فى هذا المقام بالذات فاستجمعت قواى وانتظرت ما يلقيه الشيخ عبد الحكيم من أسئلة التى يتحـــدث الأزهر كله بصعـــوبتها وتعقيدها وكثرتها وكان ثرثارا فى الأسئلة وشديدا فيها هو والشيخ دسوقى العربى والشيخ عبد المعطى الشرشيمى رحمه الله تشمل الجميع ، وبعد أن قص الشيخ عبد الحكيم قصته لم نشعر الا بمفتاح النور قد افتتح وحده وبدون أن يحركه أحـــد فامتلأت الحجرة بأنوار المصـــابيح الكهربائية التى كانت تجمعها نجفة واحدة فوق رأس اللجنة فخر الجميع برءوسهم نحو الأرض على أثر مفاجأة هذه الأنوار لهم ، ففهمت أن هذه الحالة عنوان على مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشت الشيخ عبد الحكيم روع اللجنة من هذه المفاجأة وأخذ يسألنى أسئلة لا أكاد أحصيها فكنت أجيبه عنها جميعا وأحيانا أقلبه مسئولا واقلب أنا سائلا فكان الرجـــل يعجب من ذلك حتى أنه قال أقسم بالله العظيم ياولدى ماعلمنى أحد فى الأزهر الا أنت، ثم قال لى والله ياولدى انك لأعـــلم منى وليس من المعقـــول أن يكون قسمه هذا وقوله هــــذا صحيحين ، وانما حصل هذا القول وصدر هذا القسم ببركة النبى صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كله من أكبر الكرامات التى تسجل للشـــيخ بالفخر والاعجاب

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه قال لى أن حضرة الرسول زارنى الليلة ، ومعه نفر من أصحابه لم يعينهم لى — ثم التفت الرسول الى هؤلاء النفر وقال لهم تزودوا من أخيكم يعنى صلوات الله وسلامه عليه بذلك أن يأذن لأصحابه فى أن يطلبوا من الشيخ دعوة صالحة ينتفعون بها عند ربهم وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم ، كما قال لسيدنا عمر وهو ذاهب لحج بيت الله الحرام لا تنسانا من دعائك يا أخى — كما أنه تكريم للشيخ واظهار لفضله عند أصحابه وهذا من أفضل كرامات الشيخ رضوان الله عليه

ومن كراماته رضى الله عنه

ان عشرة من زملائى فى الفصل أرادوا تحويل أسمائهم من معهد طنطا الى معهد الاسكندرية الدينى — طلبا منهم أن طلب العلم فى معهد الاسكندرية الدينى أنفع منه فى الجامع الأحمدى ، فذهبوا الى الشيخ لاستشارته فى هذه النقلة ، فلم يرض عن ذلك ومنعهم منها ولما وجدهم مصممين على هذه النقلة لأنهم فعلا طلبوا تحويل أوراقهم قال لهم اذهبوا الى معهد الاسكندرية بشرط العودة الى الجامع الأحمدى ثانيا ، ثم قال لهم اذا دخلتم الى معهد الاسكندرية فزوروا « السيد محمد الشريف » واسمه مماثل لاسم الشيخ وهو فى مجموعة الأولياء العشرة المقامة أضرحتهم بين السيد « أبو العباس المرسى » وبين سيدى « ياقوت العرشى » واذا وقفتم على الشباك المطل على مقبره السيد محمد الشريف فأول كلمة تسمعونها وأنتم وقوف على الشباك اعملوا بمقتضاها ، فذهب هؤلاء العشرة لزيارة السيد محمد الشريف ولما اصطفوا على الشباك ظهرت لهم سيدة فقالت لهم جميعا ما نصه « جايين هنا ليه ياكسمة » فلما سمعوا أول ما سمعوا هذه الكلمة انصرفوا فورا حاملين أمتعتهم الى المحطة ، ثم الى طنطا ، ثم طلبوا أوراقهم من معهد الاسكندرية والتحقوا ثانيا بالجامع الأحمدى وأتموا معنا دراستهم فكان ذلك من أعجب الكرامات رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنني وجميع زملائي بالفصل لما أردنا أن نتقدم لامتحان شهادة العالمية سنة ٩١٩ ذهبنا اليه ليبشرنا بالنجاح ـــ فكان يقول أنت يافلان لا حاجة لك بأخذ العالمية لأنك صاحب مزرعة ومن الأعيان ، فتقدم للامتحان وسقط فيه ولم يأخذ شيئا ، وأنت يافلان لا تأخذها فى هذا العام فسقط وأخذها فى العام الذى بعده ، وهكذا أخبر جميع اخوانى فى الفصل ، الناجح يخبره بأنه سينجح والساقط يخبره بأنه سيسقط ، فكان الأمر كما قال لهم واحدا واحدا أما أنا وزميلى فقال لنا « ناجحون ، ناجحون ، ناجحون ، ومن عاداكم كاسدون ، كاسدون ، كاسدون » فكان كما قال رضى الله عنه

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه أوصى الشيخ الأحمدى الظواهرى ـــ وكان شيخا للجامع الأحمدى بأن يشملني برعايته ، وقال له « ان الذى يرضى أحمد يرضينى » ـــ والذى يغضب أحمد يغضبنى فاستوصى به خيرا فقال نعم ان شــاء الله ـــ ثم توفى الشيخ ـــ وعين الشيخ الظواهرى شيخا للاسلام ـــ ولما أخذت شهادة العالمية وكان ترتيبى بين المتخرجين هو «السادس» كانت العادة المتبعة أن يوظفوا العشرة الأوائل بلا شرط ولا قيد غير أن الذى حدث هو أنهم وظفوا صاحب الترتيب الأول والثانى والثالث والرابع والخامس ـــ ثم أوقفوا التعيــين فى الوظائف بالأزهر نظرا لحدوث أزمة اقتصادية فى الدولة على عهد صدقى باشا رئيس الوزراء حينذاك فنبه بالتليفون على شيخ الأزهر بايقــاف التعيين فى الوظائف اطلاقا حتى تنتهى هذه الأزمة ، ومضت الأزمة عشر سنوات لم يعين فيها موظف واحد فى الأزهر ، ولما لم أعين فى هذه المدة الطويلة ، وكان دور التعيين واقفا عند ترتيبى السادس قلقت قلقا شديدا على مستقبلى فى العلم وكانت نفسى طموحة الى تدريس العلم فى المعاهد وكانت هذه كل أمانيها لا أفضل على تدريس العلم شيئا من الوظائف الأخرى ولذلك لم تنصرف نفسى اطلاقا الى طلب وظيفة أخرى سوى هذه طول حياتى ، ولما قلقت على

مستقبلي طبعت مذكرة بقضيتي ورفعتها الى شيخ الاسلام عساه يتذكر وصية الشيخ برعايتي وكانت هذه المذكرة واضحة وطلبي فيها معقولا لأنهم عينوا واحدا بعدي بسبب الوسائط ولما رفعت المذكرة لشيخ الاسلام كانت أول كلمة فاجأني بها بعد أن اطلع عليها أن قال لي « من الذي كتب لك هذه المذكرة » فكدت أصعق من سماع هذه الكلمة وكانت لهجتها قوية ومتماسكة فلما سمعت منه هذه الكلمة عرفت نيته نحوي فانصرفت من بين يديه يائسا من مستقبلي ثم رفعت مذكرتي الى رؤساء الكليات واحدا واحدا عساهم يشفعون لي عند شيخ الاسلام ، فبعضهم وعدني وردني ردا جميلا ، وبعضهم ردني ردا سيئا ، ولما شعرت بأن رجائي قد انقطع من شيخ الاسلام صبرت واحتسبت ثم لم أشعر بعد ذلك بقليل الا وطلبة الأزهر جميعهم خرجوا عن بكرة أبيهم على الشيخ الظواهري ، وأنزلوه من فوق كرسيه ، وحطموه وأقعدوه في بيته ، فأدركت أن عدم سماعه لوصية الشيخ ولما اكتسبها من التأكيد واهماله لقوله ان الذي يعصيني يعصيه والذي يرضيني يرضيه ربما كان هو السبب المباشر في اسقاطه والخروج عليه وتحطيم كرسيه والله أعلم فاعتبرت ذلك من كراماته رضي الله عنه

ومن كراماته رضي الله عنه

ان السيدة والدة رميلي مرضت في الأرياف ــ فاستأذن رميلي الشيخ في أن يحضرها له ممسها لزيارته ليحصل لها بركته الشفاء فقال له لا تحضرها ياشيخ محمد ثم قال له (نحن ليس لنا الا في الحضرة) فعلم رميلي أنه لابد أن تموت في مرضها ، وفعلا ماتت بعد ذلك بشهرين فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه .

ومن كراماته رضي الله عنه

ان احدى السيدات من قريباتي كانت في زيارته مع زوجها ، فقال لها الشيخ ما هو الذي يلعب أمام عينيك؟ وكان والدي جالسا فرد عنها والدي

وقال له ان الذى يلعب أمام عينيها هو « البرقع » الذى تغطى به وجهها — وكان على وجهها برقع — وعليه قطع من الذهب اللامع بعضها يسمى (محرا) وبعضها يسمى «عوارى» علىعادة «الشراقوه» ، فقال الشيخلوالدى أنا لا أسألك وإنما أسألها هى وكانت حييه فاستحت أن ترد على الشيخ ولما انصرفنا من زيارة الشيخ قالت لنا ان الذى كان يلعب أمام عينى هى طيور كثيرة فوق سرير الشيخ كانت كأنها تتمرغ فوق ستارة السرير وتلعب من فوقه ألعابا عريبة — أما نحن الجالسين جميعا فلم نر طيورا تلعب ولم نر مطلقا أى شيء من الطيور فى حجرته لا قبل ولا بعد هذه المرة فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الشيخ محمد الشاذلى من بلدة (تفهنة العرب) حضر عنده وشكى اليه أنه قد مضى على زواجه ثلاث سنوات ولم يرزق بمولود فقال له سيرزقك الله بمولود فى هذه الليلة وكانت زوجته معه فى مولد السيد البدوى ثم قال له اذا ولد لك هذا المولود فسمه محمد الشريف على اسم الشيخ فقارب أهله فى نفس الليلة التى كان يزور فيها الشيخ فرزقه الله بمولود بعد تسعة أشهر من هذه الليلة أسماه (محمد الشريف) فكان ذلك من دقائق كراماته ، والشيخ محمد الشريف الآن خطيب وإمام مسجد تفهنة العرب

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى أخذت له أصغر اخوتى وقلت له انى أريد أن ادسه فى طلب العلم بالجامع الأحمدى فقال لى أدسه فى طلب العلم بالجامع الأحمدى وان شاء الله يأخذ العالمية وهو لابس هذه العمامة على رأسه فألحقته بالمعهد الأحمدى فأخذ العالمية وهو الآن مدرس بالمعهد الأحمدى فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه طلب منى أن اقرأ أمامه سورة طه فقرأتها عليه ولم أنس فيها كلمة واحدة ، ثم من باب المصادفة فى ثانى يوم من قراءتها أمامه طلبت منه أن أتزوج

من كريمة امه (السيد أمين الشريف) فسكت الشيخ ولم يجب رميلي الذي جعلته الواسطة في الكلام بيني وبينه فكررت الطلب وأنا جالس لأن رغبتي كانت شديده في مصاهرته بل انني صممت في نفسي على أنني ان لم أتزوج من هذا البيت فلاأتزوج نظرا لعدم صلاحية نساء هذاالزمان للزواج منهن، فقال لي الشيخ اقرأ سورة طه وكنت كما فلما قرأتها عليه قبل هذا الطلب بيوم واحد فلم أنس فيها كلمة واحدة ، فشرعت في قراءتها حتى بلغت قوله تعالى « قال فاذهب فان لك في الحياه أن تقول لا مساس » ثم وقفت وأعلى على ولم أعرف ما بعد هذه الكلمة فرد الشيخ علي وقال « وان لك موعدا لن تخلفه » ، وقد مضى على هذه المسأله أربعون سنة وكان نصيبي من الزواج ما تضمنته هذه الكلمة التي وقفت عليها « لا مساس » مع أني كنت متزوجا من قبل ، فلله الأمر من قبل ومن بعد ، فكان ذلك منه كرامه رضي الله عنه

ومن كراماته رضي الله عنه

أنه قال لي ولرميلي قبل وفاته بأسبوع كأني أنظر اليكم وأنتم تقلبونني بين أيديكم وأنا استحي منكم فحدث بعد أسبوع أن مات وبطريق المصادفة حضرنا غسله وكنا نقلبه بين أيدينا وهو يستحي منها ولكنا لم نشعر باستحيائه أسبغ الله عليه وافر رحمته وعظيم رضوانه

واذا كانت هذه الكرامات لا تخفى من ينكر الكرامات فلا أعماه الله بعماه في الدنيا ولا في الآخرة ، ومن كلامه لي قبل وفاته أنه قال لي لا نصيب لنا في الدفن في أضرحه أو مقامات ، وقد رغبنا في أن يكون حظنا من ذلك في الآخرة ، ودفن بمقبرة الطواهري بمقابر مدينه طنطا سنة١٩١٩م وله رضي الله عنه كرامات أخرى لازلت أذكرها ولكني راعيت جانب الاختصار منها أن أحد زملائي في الفصل المتازين بالعلم والذكاء كان قد أخطأ في اجابته على أسئله المنطق في السنة الحادية عشرة فلم تكن اجابته مطابقه للاسئلة فأدى ذلك الى سقوطه في المنطق

فدهب الى الشيخ واشتكى اليه حظاه فى الاجابة بسبب سبق نظره الى مسألة غير المسألة المطلوب الاجابة عنها ، وكان الشيخ يعلم أنه طالب مجد ، فقال له الشيخ لا تتكلم الآن معى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم حضر الآن ، فقال له أوصه على ثم التزم الصمت وهو جالس فى حضرته نصف ساعة ولم يتكلم معه بكلمة واحدة وبعد مضى هذه المدة عاد الشيخ الى الحديث معه فقال له ياشيخ فلان ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تكفل بنجاحك ، وكانت النتيجة قد ظهرت بسقوطه فانصرف من بين يديه منشرحا ودهب فى طريقه الى ادارة المعهد فالتقى ببعض العلماء فى طريقه فأخبره بظهور النتيجة فى الزول وسقوطه ، ولكنه عندما دخل المعهد وجد أن رئيس اللجنة قد أعاد أوراقه الى لجنة التصحيح ثانيا فرأت اللجنة أنه يستحق النجاح على اجابته وان كانت اجابته فى ناحية والأسئلة فى ناحية أخرى وبذلك نجح بعد أن كتب من الساقطين فكان ذلك من كرامات الشيخ رضى الله عنه .

ومنها أن أحد المنتسبين فى القسم العام بطنطا كان قد يئس من أخذ شهادة العالمية وأخذتها أنا قبله معأنى كنت فىرعايته وأنا طالب صغيرفذهب الى الشيخ واشتكى حرمانه من هذه الشهادة فطلب الشيخ منا أن نقرأ له سورة يس نقصد نجاحه فى العالمية فقرأناها له أمام الشيخ فقال لنا الشيخ ان هذه السورة قد كتبت فى صحيفة الشيخ محمد مكى ، ولو كنتم تطلعون على كتابتها لوجدتموها مكتوبة بالخط العربى الواضح الذى يشبه خط المصاحف الكبيرة ــ ثم قال للشيخ محمد مكى سيأتيك طلب من ادارة الأزهر وتأخذ شهادة العالمية من نفس الأزهر فلم يمض الا شهران حتى جاءه طلب من ادارة الأزهر للامتحان فى الشهادة فذهب وامتحن وأخذ شهادة العالمية بعد أن يئس من أخذها فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه

« ومنها » أن رجلا قرويا شرقاويا طيب القلب سليم النية حضر الى طنطا ومعه أحد عشر جنيها ليشترى بها بضاعة يتجر فيها ، وبينما هو سائر فى السكة الحديدة وجد الناس مجتمعين على محل تجارة رجل يهودى يدعى (أبو طون) وبينهم رجل ينادى فى الناس ويقول (يابلاش) المتر الصوف

مكدا والمتر الحرير نكدا الى آخره ، فدخل القروى هذا المحل واشترى بقوده المحدودة بضاعة لا يقل ثمنها عن ثلاثين جنيها ولما أراد أن يتسلم البضاعة قال له (ابو طون) اذهب أنت الى بلدتك ونحن نرسل لك البضاعه بطريق البريد وتصل اليك غدا فذهب الى بلدته وانتظر البريد أسبوعا وأسبوعين فلم يحضر اليه شيء فجاء الى « أبو طون » يطلب منه البضاعة أو النقود فقال له قد أرسلتها اليك بالبريد وضاع على القروى نقوده فجاء الى مستجيرا فأحدته الى الشيخ ولما شكى اليه ضياع نقوده وشكى اليه فقره وبرد الشتاء عليه فى غربته وحاجته الى القوت الضرورى قال له الشيخ اذهب الى مأمور قسم أول وبعد أن تقف أمامه أنظر فوق رأسه وقل الكلمات الآتية فى سرك ولا تسمع بها المأمور قل (أنا رجل غريب وفقير والبرد شديد على هاتوا لى فلوسى علشان آخدها واذهب الى بلدى) وبعد أن تقول ذلك فى سرك قدم شكواك الى المأمور فامتثل وذهب الى المأمور وقال كلماته السريه لمن هو فوق رأس المأمور، وقدم للمأمور شكواه العلنية فاستدعى المأمور فى الحال « أبو طون » من محل تجارته فحضر ووقف المأمور على قدميه ، وألقى عليه درسا قاسيا استغرق القاؤه نصف ساعة واجتمع عليه كل من فى القسم، وأخذ يتهمه بالنصب والاحتيال وهدده بالسجن انلم يدفع لهذا القروى نقوده على الفور ، فما كان من « أبو طون » الا أن دفع فى الحال عشر جنيهات للشيخ أحمد أبو خليل القروى وأما الجنيه الحادى عشر فزعم انه دفعه أجرة لشحن البضاعة ، وانه سيسترجعها بعد ذلك ، وبركة الشيخ عادت الى هذا القروى نقوده بعد أن سلبها هذا النصاب المحتال فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه ، ومنها أنه طلب منى أن احضر لزيارته غدا بعد صلاة الجمعة مباشرة فقلت حاضر ان شاء الله — ولما صليت الجمعة بالمسجد الأحمدى عرضت لى بعض شواغل لا أذكرها الآن عاقتنى من الذهاب اليه عقب صلاة الجمعة مباشرة فاعتذرت بالشواغل التى لا أذكرها الآن فقال لى عقب صلاة الجمعه مباشره فأعتذرت بالشواغل التى لا أذكرها الآن فقال لى « تسببت بتأخيرك عن الحضور فى حرمان نفسك » ولم يقل لى من أى شىء حرمت فاعتذرت اليه وبالغت فى الاعتذار ، ورجوته فى الصفح عن هذا التأخير

المهري وبعد أن كرر اعتذاري واسترضيته فاذا أنا أشم رائحة ليس لها مثيل في دار الدنيا اطلاقا ولم أفهم الا أنها رائحة الجنة تماما ــ فكنت أستنشق منها ، وفي كل مرة استنشقها تستولي رائحتها على حتى كدت أغيب عن عقلي وكاد شعوري ووجودي يتلاشى عند ذلك ــ وبعد أن سكت الشيخ وسكت أنا أيضا وسكت رميلي لسكوتنا عادالشيخ الى الحديث معي بعدربع ساعة تقريبا ، فانقطعت الرائحة تماما ، وعادت الحالة الى ما كانت عليه قبلها فوددت أن لو أموت وأخرج من هذه الدنيا لأستمتع فقط بشم هذه الرائحة التي تستولي على المشاعر كلها ولا يسع الانسان معها الا أن يغمض عينيه ويغيب عن شعوره في عالم آخر ويغنى عن حسه تماما . وكان رميلي جالسا معي أمامه ولم يشعر بهذه الظاهرة حتى أخبرته بها بعد أن خرجنا فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه

الاوراد التي تلقيتها عن الشيخ

وها نحن نقص على القارىء شيئا من الأدعية التي لقنها لي لتلاوتها بين العشاءين على أن يقرأ كل دعاء مرتين أو ثلاثا فان لم يتيسر في هذا الوقت فبعد صلاة الصبح وهي على هذا الترتيب (١) اللهم أنت خلقتني فلا علم لي ، ورزقتني فلا حيلة لي ، وان حاسبتني فلا حجة لي ، وان عاقبتني فلا قوة لي ، وان غفرت لي فانك أهل التقوى وأهل المغفرة ، اللهم اني توسلت بك لك اليك ، ولا أحد أمره عليك ، ان سألتني عن ذنبي طلبت عفوك ، اللهم انك سميت نفسك اللطيف ، ونبيك محمدا الشريف ، وأنا عبدك الضعيف ، كيف يخاف عبد ضعيف وهو بين لطيف وشريف ، عصيتك بجهالتي وأنت حليم وجئتك محتاجا وأنت كريم ، فرج كربتي ، وأقل عثرتي ، واعصمني من عدوي بحرمة اسمك العظيم ونور وجهك الكريم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٢) سبحان الله العلي الديان ، سبحان الله الشديد الأركان ، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار ، سبحان من لا يشغله شأن عن شان ، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبح في كل مكان (٣) شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط

لا اله الا هو العزيز الحكيم ، وأنا اشهد لله بما يشهد به لنفسه ، وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، وأنا استودع الله هذه الشهادة الى حين موتي ودخولي قبري وخروجي منه ولقائي ربي انه لا تخيب لديه الودائع (٤) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم اخلق في قدرة على رؤية الطير الذي خلقته من سر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وحملته يسبحك بلغات كثيرة ، واقدرني كذلك على سماع تسبيحه اياك بتلك اللغات التي يسبحك بها ثم مره ان شئت أن يحدثني بلغة عربية فصيحة ويجيبني بها عما أسأله فيه من تلك اللغات المتعددة رحمة منك وحنانا فأنت حسبي ونعم الوكيل وعلى كل شيء قدير ياهو ياهو يا من لا هو الا هو يا من لا اله الا هو — وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٥) اللهم اعظم جوارحنا عن المخالفات الشرعية وأنفسنا عن المألوفات العادية ، وقلوبنا عن الرعونات البشرية ، وأسرارنا عن الكدورات الطبيعية وأرواحنا عن المحارات الحسية، وعقولنا عن الخيالات الوهمية (٦) اللهم انى أسألك بنور وجه الله العظيم الذى ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم العظيم أن تصلي على مولانا محمد ذى القدر العظيم ، وعلى آل نبى الله العظيم بقدر عظمة ذات الله العظيم فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يامولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم ، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما واجعله يا رب روحا لذاتي من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة ياعظيم (٧) اللهم انى أسألك بنور الأنوار الذى هو عينك لاغيرك أن تريني وجه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم كما هو عندك آمين (٨) اللهم يا ربي بجاه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اجمع بيني وبين محمد بن عبد الله فى الدنيا قبل الآخرة — وقال لى الشيخ ان هذه الصيغة الاخيرة اذا تليت سبعة آلاف مرة بعد صلاة الفجر بدون أن يتكلم بعد الصلاة فإن تاليها يرى المصطفى صلى الله

عليه وسلم يقظة ، وقد جربتها فوجدتها صحيحة (٩) الصلاه والسلام بعدد ماقى علم الله عليك وعلى آلك ياسيدى يارسول الله أدركنى سريعا بعره الله (١٠) اللهم اهلنى من دل معصيتك الى عز طاعتك (١١) اللهم ارنى الحق حقا فاتبعه وأرنى الباطل باطلا فأجتنبه (١٢) ياحى ياقيوم باسمك الحى أحيا وباسمك القيوم أقوم (١٣) يارب كل شىء بقدرتك على كل شىء اغفر لى كل شىء ولا تسألنى عن شىء (١٤) يانور كل شىء أنت الذى فلق الظلمات نوره (١٥) يارب كن لى يا رب كن لى (١٦) اللهم عرفنا اياك حق المعرفة

(١٧) اللهم انا نسألك من فضلك أنت (١٨) اللهم زدنى من نعمائك ومن على بلقائك فى الحياه وبعد المماب بجاه سيدنا محمد سيدالسادات ، صلىاللهعليه وعلى آله وسلم فى جميع الأوقات آمين (١٩) اللهم انى أسألك يا الله يارحمن أن تفتح على بمعانى القرآن الأربعة طاهره وباطنهحدهومطلعه (٢٠) ياودود يا ودود ، ياذا العرش المجيد يامبدىء يامعيد يافعالا لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شىء لا اله الا أنت يامغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ، تقال هذه الصيغة من قوله ياودود الى آخرها سبع مرات (٢١) اللهم صل وسلم وباركدائما أبدا ياالله الكل على سيدنا محمد سيد الوجود وحقيقة الكل ، من أرسلته يامولانا رحمة للكل وفضلته ياخالق الكل على الكل ، وعلى آله وأصحابه الكرام الكل فى كل لمحة ونفس يا الهى عدد الكل وبجاهه اشغلنى بك وبه يارنى عنى وعن الكل ٠

(٢٢) اللهم اكشف لى عن غوامض سر اسمك الله حتى اصل به الى مشاهده مسماه ، وأفنى فيه عمن سواه حتى لا أشهد الا اياه واحشرنى بفضلك مع الذين عليهم انعم الله (٢٣) استغفرك اللهم ربى منى تب على ياتواب منى جذبنى اليك يا الهى منى أنت أولى بى ياولى منى « تولانى » بولايتك يامولاى وخلصنى لك شىء واغننى بك عن كل شىء سواك وانقنى لك ياباقى واعف ياعفو عما كان وما يكون منى وصل وسلم وبارك دائما ابدا على المصطفى وآل المصطفى ، وبجاهه يا الله تقبل منى (٢٤) الهىنعمتنىفلم تجدنى شاكرا ، وابتليتنى فلم تجدنى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا

أنت أدمت الشدة نترك الصبر الهى ما يكون من الكريم الا الكرم (٢٥) اللهم انى توسلت بك اليك وأقسمت بك عليك أن تنصر المؤمنين على القوم الكافرين (٢٦) اللهم ارحم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم اصلح أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٧) اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (٢٨) اللهم انى أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم فى الأقوال والأفعال (٢٩) ياولى الاسلام وأهله أمسكنى بالاسلام حتى ألقاك به (٣٠) اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب (٣١) يالطيف أنت لك فى كل بلوى تصريف (٣٢) يالطيف، فوق كل لطيف الطف بى فى أمورى كلها كما أحب ورضنى فى دنياى وآخرتى (٣٣) اللهم رضنى بقضائك حتى لا أحب تأخير ماعجلت ولا تعجيل ماأخرت ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم آمين (٣٤) اللهم خذنى من نفسى واسلبنى عن حسى ، واختطفنى من بين أسماء جنسى ، وارفعنى اليك ثم ردنى على وقربنى لديك يا كريم — وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم آمين (٣٥) اللهم أقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته اليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (٣٦) اللهم أقذف فى قلبى من نورك ، ما أدرك به أسرار ملكك وأشاهد به غيب ملكوتك وألاحظ به صفات جبروتك ياكريم (٣٧) لا اله الا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله (٣٨) اللهم انى أشكرك واحمدك كما حمدت به نفسك (٣٩) الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويدافع نقمه ويكافىء مزيده (٤٠) الحمد لك والشكر لك ما دامت النعماء لك أعفر لعبد قائل ، الذنب لى والعفو لك (٤١) حسبنا الله عن زلتنا وبالحبيب المقرب لا فيهما عن نصرنا ، لا جاه ومنصب ، ومن أراد ذلك ، من قريب وأجنبى ، سيفا فيه قولنا ، حسبنا الله والنبى (٤٢) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف ايديهم عنكم — واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

(٤٣) قل الله ثم درهم فى خوضهم يلعبون (٤٤) الله الله الى ما لا نهاية له ، وقد أخبرني بأن الذى لقنه اسم الله هو السيد محمد الادريسى عن شيخه السيد احمد الادريسى عن سيدى عبد الوهاب التازى عن سيدى عبد العزيز الدباغ عن الخضر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول ليس بينى وبين النبى صلى الله عليه وسلم الا خمسة شيوخ فقط ـ أما سيدى احمد البدوى فليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة اصلا نفعنا الله بهم وأمدنا ببركاتهم

رســـالة
فى الأدلة على ثبوت التوسل بالأنبياء
والمقربين احياء أو أمواتا

رأينا أن نختم هذا الكتاب برسالة مختصرة نثبت فيها مشروعية التوسل والاستعانة والاستشفاع بالأنبياء والصالحين أحياء أو أمواتا لتكون بمثابة إيضاح وارشاد لهؤلاء الذين ارتكبوا فى دينهم أشنع منكر واشنع جريمة تكفيرهم اخواننا لهم فى الاسلام والحاقهم بعبدة الاصنام لا لاثم ارتكبوه ولا لذنب فعلوه بل لأنهم يباشرون حقا مشروعا ، وأمرا مطلوبا ، طلبه الله من كل مسلم يؤمن بالله ورسوله . وحث عليه الرسول فى أكثر من موضع من أحاديثه الشريفة ، فقد امرنا الله ان نطلب اليه الوسيلة أى نطلب ما نتوسل به اليه من كل ما يقربنا اليه ـ وامرنا ان نشفع لنؤجر على شفاعتنا وأمرنا ان نتعاون فى قضاء مصالحنا وحاجياتنا فاذا امتثل الناس هذه الأوامر ووحدوا السبيل الى ربهم فى شئ من اشيائه أو فى عبد من عباد الله الصالحين سواء أكان ذلك وهو فى حال حياته البدنية أو فى حال حياته الروحية فاتخذوه وسيلة الى الله فكانت النتيجة أن دلهم على الله وبين لهم طريقه وعرفهم به حتى عرفوه بصفاته التى جاء بها القرآن وأرشد اليها سيد الاكوان عليه الصلاة والسلام فازدادوا بذلك ايمانا على ايمانهم وازدادوا اخلاصا لله فى العبودية ، واقرارا لله بالتوحيد الخالص واعترافا له بالألوهية المطلقة والانفراد المطلق ـ فمن الجهل ـ ومن الحمق بل ومن الخروج على الدين أن يقول هؤلاء المعترضون عمن يعرفون

الناس ربهم كالبدوى وغيره ، انهم كالأصنام وانهم كهبل فى الجاهلية واللات والعزى عند المشركين — ومن عمى البصائر ان يستبيح لأنفسهم هؤلاء المعترضون أن يقولوا عمن عرفوا ربهم على أيدى هؤلاء أنهم مشركون بالله ، ومن الجمود والجحود أن يسووهم بعبده الأوثان والاصنام — هذا هو منطق المعترضين ، وهذا هو واقع حال هؤلاء المقربين الصادقين ، واذا كان وضع الأمور فى نصابها هو ما ذكرناه فانى أنصح لهؤلاء المعترضين أن ينطقوا بالشهادتين وأن يجددوا ايمانهم بالله ورسوله ، وأن يجددوا أيضا عقودهم التى استحلوا بها حرمات الله ، ولو أن هؤلاء المعترضين استعملوا عقولهم ، وحكموا ضمائرهم ، نظرة واحدة صادقة تكشف لهم أحقية مذهبهم أو بطلانه لأراحوا أنفسهم من عناء المجالات والمجادلات والسفسطات التى يرتكبونها والكفريات التى يبوؤون بها فاذا كانوا يرون أن الوسيلة الموصلة الى الله التى عناها الله فى قوله « وابتغوا اليه الوسيلة » هى فى أعمالهم التى يعملونها وتطوعاتهم التى يقدمونها ، فعليهم أن ينظروا بعقولهم هل هذه الوسيلة التى دافعوا عنها وقاتلوا فى سبيلها حققت الغرض منها وأدت الى النتيجة المطلوبة لهم فأوصلتهم حقا الى ربهم أو أوصلت فردا واحدا منهم الى ربه فى هذه البضعة قرون فان وجدوا أن الأمر كذلك وأن هذه الوسيلة قد أوصلتهم حقا الى ربهم أو أوصلت ولو فردا واحدا منهم الى ربه ليستدل به على صحة وسيلتهم فعليهم ان يعضوا على هذه الوسيلة بالنواجذ وعليهم أن يدافعوا عنها وأن يستمسكوا بها بكل أنواع التمسك وان وجد هؤلاء المعترضون أن وسيلتهم لم تحقق لأحد منهم غرضا ولم تؤد ولو بواحد منهم الى نتيجة موصلة الى الله مع تقادم العهد وتطاول السنين ، فعليهم أن يبحثوا عن الوسيلة السليمة التى تؤدى بهم أو بأحدهم الى الغرض وتوصل الى النتيجة التى انتهجها العلماء الصادقون فأوصلهم الى ربهم وعرفتهم به جل شأنه .

وانما كانت وسيلة هؤلاء المعترضين غير مجدية لانهم يعتمدون فى معرفة ربهم على أنفسهم ومجرد أعمالهم ويقطعون النظر عن رسولهم والمقربين الى ربهم ويريدون أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها والله يقول « وأتوا البيوت من أبوابها » والشاعر يقول مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأنت باب الله أى امرىء   أتاه من غيرك لا يدخل

ومن العجيب حقا أن يكون الرسول هو الذي عرف الناس الطريق الى ربهم ــ ثم يسبقه هؤلاء على الأبواب ويقولون نحن أعرف من غيرنا بالوسيلة التي توصلنا الى ربنا ، وانى أتحدى هؤلاء المعترضين الذين يحكمون بالكفر على كل من جعل الرسول وسيلة الى ربه أن يذكروا لنا أن فردا واحدا من فئتهم الباغية رئيسا كان أو مرؤسا سيدا كان أو مسودا استطاع بوسيلته أن يصل الى ربه أو أن يعرفه بذاته أو صفاته التى دلت عليها آياته وأنبأها له المرسلون ، أتحداهم تحديا علنيا صريحا لأنى اطلعت على ما كتبه ساداتهم وكبراؤهم الأولون ومقلدوهم الاخرون فوجدتهم يخبطون ولا يدرون بما ينطقون فى الأحاديث والآيات التى تتعلق بالذات والصفات ، ويذهبون فى فهمها الى ما ينبو عنه العلم ويسخر منه أهل المعرفة الصادقون نعم ان لهم ألسنة ناطقة وقوة منطق فى التعبير وقوة بيان ولكنه منطق أجوف وبيان بطلي مسلسل هو أبعد فى الحقيقة عن الحقيقة بعد المشرقين . يجب على هؤلاء المعترضين أن يعرفوا الفضل لأهله وأن يعلموا أن الوسيلة التى ذكرها الله فى قوله « وابتغوا اليه الوسيلة » ليست قاصرة على الأعمال التى يقدمها العباد من صلاة وصوم ونحوهما بل ربما كانت الوسيلة التى يطلبها فى هذه الآية غير الصلاة والصوم ونحوهما لأن الله تعالى قال قبل قوله « وابتغوا اليه الوسيلة » قال « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله » ، فأوصى المؤمنين بتقوى الله وليست تقوى الله كما قلنا غير مرة الا الاعمال الصالحة ولو مندوبة وترك المعاصي ولو صغيرة فاذن يكون قوله « وابتغوا اليه الوسيلة بعد أن أوصاهم بالأعمال الصالحة مباشرة مرادا بها أمر آخر غير الأعمال الصالحة واذا بحثنا وأمعنا فى البحث عن وسيلة تقربنا الى الله غير الاعمال الصالحة فلا نجد هذه الوسيلة الا فيمن عرفنا بالله وهدانا الى الله ودلنا على الله وهو أقرب المقربين اليه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم لا نجد هذه الوسيلة الا فى حضرته والا فيمن توسلوا الى الله بحضرته فعرفوا الله بوسيلته وهم أبناء الله المقربون ولنعود الى ذكر الأدلة فنقول

الدليل الاول هو قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقبل أن نخوض فى الدليل يجب أن نقرر حقيقة واقعة تتصل بالدليل وهى أن الله قد

آنشأ الناس حمله انساءات ، وطورحم اطوارا أربعه كل طور منها يغاير لسابقه ومفصول بالسد للاحقه رمانا رقوة في الصاه (الطور الاول أو الانشاء الأول) هو انشاؤهم في نطون أمهاتهم واحياؤهم فيها حياه مقصوره وقاصرة ومحدوده بضعة أشهر أو تزيد (والانشاء الثانى) هو انشاؤهم في حياتهم الدنيا انساءا ندنيا وهو انشاء أوسع مدى من سابقه الا أنه محصور أيضا وناء ومحدود بستين عاما أو تزيد (والانشاء الثالث) هو انشاؤهم فى حياتهم البرزخية انشاءا روحيا وهو أوسع مدى من سابقه ولا يقل في قوته عن لاحقه وهو أيضا محصور ومحدود بعمر هذه الدنيا وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم عمر هذه الدنيا بأنه سبعة أيام كل يوم ألف سنة مما تعدون ونحن فى أواخر اليوم السابع من عهد آدم عليه السلام الى الآن ـ فالأرواح التى كانت محبوسة أو مقيدة فى حركاتها بالبدن أى فيما لا يزيد عن نصف متر مكعب من علاقها البدنى انحصرت عنه حواسها من سمع وبصر أصبحت بعد انعدام البدن وتخلصها من سجنه أصبحت طليقة فى أرجاء هذا الكون الفسيح ـ انها سابحة عائدة رائحة على شكل الكواكب السيارة لاسيما الأرواح المطلقة غير المقيدة بمعاصيها والأرواح الكبيرة ، وأحيانا تبدو صاعدة هابطة سائرة الى حيث تسعى وتريد ـ وهذه الأرواح الكبيرة محتفظة تماما بعلومها ومعارفها وبكل صفة كانت عليها فى الدنيا وبكل غريزة من غرائزها التى كانت عليها والتى كانت تتميز بها فى أنظار الناس وتعرف بها عندهم لم يتغير بموت البدن شىء من ذلك فى الروح حتى الصوت والسمات والتقطيعات كل ذلك باق على ما كان عليه قبل الموت وتزيد على ذلك باطلاقها وعدم حبسها فى هذا السجن الضيق الحقير فالموت أصبحت طليقة فى كل شىء ومن كل قيد تسمع سمعا غير مقيد وتبصر ابصارا غير محدود ـ فتسمع كل شىء فى هذا الكون اذا توجهت اليه ، وتبصر كل شىء فى هذا الكون اذا أحدقت اليه وأضرب لك مثل لذلك بروح النائم اذا جمد البدن بالنوم وانفصلت هى عنه تراها تسمع كل شىء فى السموات أو فى الأرض اذا توجهت اليه ، وتبصر كل شىء فى السموات أو فى الارض اذا أحدقت اليه فيرى العرش وهو نائم فى الحجرة ويرى الكرسى وأحيانا يرى الله سبحانه وتعالى ويرى رسوله وغير ذلك مهما بعد أو قرب ولو كان النائم فى طرف من أطراف الدنيا وناداه وهو نائم رجل

فى طرفها الآخر لسمعت روحه هذا النداء وأحاطته وحاطته كما هو معروف عند كل الناس وأنت نفسك تسمع صوتك وسرارك وأنت نائم هى نفسها الصوت والسرات التى تكون منك لو كان عضلات لسانك هى التى تتحرك مع أنها لم تتحرك وأنت نائم — فشأن الأرواح أنك اذا كنت فى طرف الدنيا وهى فى طرفها الآخر أبصرتك — واذا ناديتها أجابتك ولعل فى كل هذا ما يوضح معنى قوله « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قتلى قليب بدر والذى نفسى بيده أنهم لأسمع منكم — وهم أيضا أبصر من الأحياء كما علمت — لأن سماع الأرواح وابصارها بذواتها — وسماع الابدان وابصارها بآلاتها وما كان بالذات أوسع مدى مما كان بالآلات كما فى سماع النائم وابصاره واذا علمت أن الأرواح بعد الموت أسمع وأبصر وأقوى حياة وأوسع مدى مما كانت عليه وهى محصورة فى أقفاصها البدنية فانا نعود بالقارىء الى بيان الاستدلال بهذه الآية على مشروعية التوسل بالأنبياء والصالحين فنقول — حث الله الناس على التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » حيث ربط سبحانه قبولهم عنده باستغفاره لهم عليه الصلاة والسلام فقبولهم عند الله مشروط باستغفارهم ثم باستغفار الرسول لهم بعد ذلك توجب بدلالة النص أن نسعى الى حضرة الرسول ونستعين به على ازالة ما أحاط بنا من رجس وحاق بنا من فسوق — وما دمنا متمسكين بهذه الوسيلة وملتزمين باب الرسول وأعتابه فلن يمسسنا بعد ذلك سوء ولن يلحقنا بعد ذلك وصب ولا نصب بدليل لوجدوا الله توابا رحيما — والتوسل بالرسول باق ما بقيت السموات والارض ، وما بقى الناس ، وما بقى القرآن ، وما بقيت نبوته ، وان تقييد ذلك بحال حياته الدنيوية تحكم واضح لأنه لا فرق بين حياة وحياة ، وقد علمت أن الارواح بمفارقتها للبدن وخروجها من سجن البشرية الى حالة الاطلاق أقرب من ربها ، وأرجى فى نفعها من الارواح المحجوبة ببشريتها والمشغولة بالمحافظة على آدميتها وأن الموت ما هو الى انتقال من حياة مقيدة الى حياة مطلقة ومن حياة بدنية الى حياة روحية ، واذا انضم الى ذلك أن الله هو الذى أجرى الخير على أيدى الأنبياء والمقربين فى

حال حياتهم اكراما لهم فيكون اجراء الخير على أيديهم بعد مماتهم أبلغ فى اكرامهم ، وأظهر فى محاراتهم على ما قدموا من أعمال صالحات وبذلوا فى سبيله وابتغاء مرضاته من تضحيات تقول اذا انضم هذا الى ذلك تأكد السعى الى الانبياء والمرسلين ولربما أن تتحد العمل الصالح عدتنا والرسول عمدتنا فى التوسل الى الله وطلب القــربى اليه ــ وكذلك الأولياء والصــالحين لأن الحكمة التى من أجلها حث الله الناس على التوسل بحضره الرسول هى بعينها ثابتة فى شأن الأولياء والمقربين وهى شده قربهم من الله فوجب أن نسعى الى الأولياء والصالحين كما نسعى للأنبياء والمرسلين ومما يدل على أن التوسل بالاولياء كالتوسل بالأنبياء أن الاستعمار للغير ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم لعدم دليل خصوصية ذلك به عليه الصلاة والسلام فدلت الآية بعمومها على مشروعية التوسل بالأولياء والمقربين

مغالطة المعترضين فى ا نكار التوسل بالرسول

أكبر ملجأ يلجأ اليه المعترضون الفاشلون عندما يجابههم الناس بالأدلة الدامغة على ثبوت التوسل بالرسول فى حال الحياة أو بعدها أنهم يعمدون الى مغالطة الناس بإحالتهم على مجهول يتذرعون به لانكار الوسيلة فأكثــر ما تسمع منهم وأكثر ما يجرى على ألسنتهم وأكثر ما يتناقلونه فى كتبهم أنهم يتمسحون بالسلف الصالح ويتوارون وراء هذا الستار الصفيق والمجهول السحيق فيقولون ان التوسل بالأموات لم يفعله أحد من السلف الصالح وهو بدعة محدثة وضلالة منكرة لم تكن فى خير القرون وانما كانت فى القرون المحدثة مع قرن الشيطان ، وليت شعرى من الذى أطلعهم على أن السلف الصالح لم يتوسلوا الى الله برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذى يقول ان كل ما يفعله السلف يجب أن ينقل الى الناس ليعلمه الناس وليطلعوا عليه وليعملوا بمقتضاه وهل السلف الصالح مشرعون حتى تنقل الينا أخبارهم وتوسلاتهم الى الله ، من الذى يعرف منكم الالتزامــات التى كان السلف الصالح يلتزمونها فى عاداتهم ومناسكهم والعادات التى كانوا يترسمونها فى سيرهم وسلوكهم الى الله ، والتوجيهات التى كانوا يتوجهون بها الى الله أثناء

زيارتهم لقبر رسول الله - هل سمعتموهم وهم يزورون رسول الله أنهم لم يتوسلوا برسول الله ولا أخطىء الحقيقة اذا قلت ان السلف الصالح لا يمكن أن يفوتهم أبدا التوسل الى الله برسوله كيف وهو الذى أنقذهم من عبادة الاصنام وهو الذى عرفهم ربهم وأرشدهم الى توحيده وكان هو السبب فى هدايتهم لنعمه الايمان ، على أن قول المعترضين أن التوسل الى الله برسول الله لم يفعله أحد من السلف الصالح مغالطة مكشوفة فقد فعله السلف الصالح ووقع فى خير القرون ونقله الينا المؤرخون فهاهى المقالة التى نقلها القاضى عياض بين الامام مالك وبين الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور دليل صريح على أن التوسل بالأموات فعله السلف الصالح وأرشد اليه امام مجتهد فى خير القرون ، فقد سأل أبو جعفر المنصور الامام مالك وهو فى احدى زياراته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أبا عبدالله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله فقال له الامام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى ثم تلا الامام مالك قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وماقاله الامام لأبى جعفر دليل واضح على استواء التوسل به فى حياته الدنيوية وفى حياته البرزخية وهذا هو ما ذكرناه فظهر أن قول المعترضين ان التوسل بالأموات لم يفعله أحد من السلف الصالح مغالطة واضحة فقد أرشد اليه رئيس دينى وفعله حاكم سياسى وخليفة للمسلمين والناس على دين ملوكهم، ومارواه عن العتبى وهو من شيوخ الامام الشافعى رضى الله عنهم يدلنا دلالة قاطعة أيضا على أن الناس فى خير القرون كانوا يذهبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسلون به الى الله فقد روى عن العتبى أنه قال كنت جالسا عند قبر الرسول فجاء أعرابى وقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم بكى وقال البيتين المشهورين

يا خير من دفنت فى القاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى فداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبى ثم استعمر الأعرابى وانصرف فغلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ياعتبى ألحق بالأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له فخرجت فلم أجده ، فترى أن الاعراب كانوا يتوسلون به والملوك والأئمة ومن هم السلف الصالح غير ذلك

وقد اتفق الفقهاء على جواز التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالانبياء حال حياتهم وبعد موتهم ودونوا فى كتبهم على اختلاف مذاهبهم فى باب آداب الزيارة أنه يندب فى الزيارة تلاوة آية ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، وليت هؤلاء المعترضين خرجوا عن اجماع المسلمين ثم عكفوا على رأيهم وسكتوا الا أن المصيبة الطامة هى أنهم حكموا بالكفر على كل من خالف رأيهم فكفروا هم بتكفيرهم للمسلمين ، وليس لهؤلاء علاج الا ما قدمنا وهو أن ينطقوا بالشهادتين وأن يجددوا ايمانهم وعقودهم التى يتوقف صحتها على شرط الاسلام .

الشبهة الوحيدة التي يتذرع بها المعترضون في انكار التوسل بالأنبياء والمقربين

يقول المعترضون ان التوسل بالأنبياء والأولياء اشراك بالله لانه لايفترق عن اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله ولا عن عبادتهم من دون الله ، هذه هى الشبهة المقدسة عندهم وهى الشبهة التى يتذرعون بها فى كل مناسبة وبنوا عليها خروجهم على أهل السنة وجماعة المسلمين ، وحكموا عليهم بما حكموا جهلا أو تعنتا فوقعوا فى الخسران المبين ونحن نتناول هذه الشبهة بالبحث البرىء ليظهر للقارىء هل هؤلاء المعترضون الذين ملأوا الدنيا ضجيجا وعويلا عدة قرون أصابوا أو أخطأوا واتبعوا الحق أو وقعوا فى الاثم العظيم والحرمان المبين فنقول اعلم أن القرآن قد حكى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون الأصنام أندادا لله رب العالمين وقال رداً عليهم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، وحكى عنهم أنهم كانوا يتخذون الاصنام شركاء لله — فقال

وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم و
لشركائنا ورد عليهم بقوله ساء ما يحكمون وحكى عنهم أنهم كانوا يعبد
من دون الله فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ورد عل
بقوله « وكان الكافر على ربه ظهيرا » أي هينا مهينا من قولهم ظهرت به
اذا جعلته خلف ظهرك ووليت وجهك عنه فلا تلتفت اليه لمهانته وحقارته
وحكى عنهم أنهم كانوا يتخذونها أولياء من دون الله فقال أم اتخذوا من د
الله أولياء ورد عليهم بقوله « فالله هو الولي » وفي القرآن من هذا ك
والذي نلفت اليه النظر هو أن ناقشه عليا في شأن المشركين هل ينط
على المتوسلين بالأولياء والمرسلين ، وهل يوجد في المسلمين من يعتقد
السيد البدوي ندا لله رب العالمين أو شريكا له في ملكه وهل يوجد ،
يعبده من دون الله ، واذا كان الجواب قطعا هو بالسلب وأنه لا يوجد أ
يعتقد هذا الاعتقاد بين المسلمين اذن فما هو الوجه الذي بنى عليه المعترضو
هذه الاكذوبة الضالة والفرية المفتراه ، قالوا ان في القرآن آية دلتهم عـ
منع التوسـل وانكار الوسيلة بالانبياء وغيرهم وهي التي أوصلتهم الى منه
الحكم على المسلمين أجمعين بالشرك وأرشدتهم الى أنهم ورثة الأنبياء وحزب
الله المفلحون ، وهذه الآية هي قول الله تعالى « والذين اتخذوا من دو
أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم
فيه يختلفون » « ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار » هذه الآية هي
عدة المعترضين وعمدتهم في انكار التوسل وتكفير المتوسلين وقد تناول
هذه الآية بالبحث وقلبت فيها النظر على كل وجه فلم أجد فيها ما يصلح
سندا من قريب ولا من بعيد لما زعموه ، وأنت ترى أن في الآية عقائد ثلاثا
للمشركين وكل عقيدة من هذه العقائد الثلاثة لا يمكن تطبيقها ولا انطباقها
على أحد من المتوسلين

(العقيـدة الاولى) انهم اتخـذوا الاصـنام أولياء فأثبتـوا لهـ
الولاية الخاصة به سبحانه وتعالى ، وهي الولاية المطلقة التي لا يوصف بها
أحد سواه ، وهي تستلزم أو تشعر بأن المتصف بها يقوم بتدبير نظام العالم
وتشعر بأنه له قدرة على ايجاده وتشعر بايصـال الضر لمن شـاء له الضر
وايصال النفع لمن شاء له النفع هذه الولاية أثبتوها لهذه الاحجار وسجدوا

لها وركعوا وفى الوقت نفسه لم يثبتوها لله وحده فلهذا كفروا والمتوسلون بالنبى أو بالولى لم يثبتـوا للنبى ولا للولى الولاية المطلقة الخاصـة به سبحانه وتعالى ولم ينفوا هذه الولاية عنه كما فعل المشركون وكما دل عليه قوله « اتخذوا من دونه أولياء » أى تجاوزوه الى غيره وهى الاصنام وأثبتوا لها الولاية الخاصة به والمتوسلون لم يتجاوزوا الله الى غيره ولم يثبتوا لذلك الغير الولاية الخاصة تبارك وتعالى كما فعل المشركون وهنا يعلو صحيح المعترضين ويقولون قد اتخذتموهم أولياء تتوسلكم بهم وسـؤالكم لهـم الشفاعة كالمشركين سواء سواء ويجهلون ولا يعقلون أن اتخاذ الانبيـاء والمقربين أولياء هو من اتخاذ الأولياء المشروع الذى أرشدنا الله اليه فى قوله « انما وليكم الله ورسوله » وفى قوله « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » فاتخاذ الأنبياء والمقربين أولياء هو من الاتخاذ المشروع والمأمور به فى القرآن الكريم واتخاذ المشركين أصنامهم أولياء هو من الاتخاذ المنهى عنه والفرق بين الاتخاذين أوضح من الشمس كما علمت وان شئت أوضح من ذلك فأقول الله اسمه الولى والنبى اسمه ولى لقوله انمـا وليكم الله ورسـوله والمؤمن اسمه ولى لقوله والمؤمنـون والمؤمنات بعضـهم أولياء بعض ولا يستريب أحد فى أن الولاية التى يتصف بها الله هى فى معناها وفى حقيقتها غير الولاية التى يتصف بها النبى وغير الولاية التى يتصف بها المؤمن الولى لان ولاية الألوهية غير ولاية العبيد كما هو واضح فالمشركون ألبسوا أصنامهم ولاية الألوهية وسجدوا لها وركعوا كما قلنا والمتوسلون ألبسوا النبى أو الولى ولاية العبيد . فالمشركون اتخذوا الاصـنام أولياء والمتوسـلون اتخذوا المقربين أولياء لكن اتخذوها ولاية ألوهية فكفروا ، والمتوسلون اتخذوها ولاية عباد بعضهم لبعض فسلموا والمعترضون عندهم « أن كله عند العرب صابون » فكل من اتخذ وليا فقد أشرك ، ولو كان هذا الاتخاذ مما شرعه الله ، ولو كان فصلوا وأصلوا

(العقيـدة الثانيـة) انهم علاوة على كونهم أثبتوا الولاية المطلقـة لأصنامهم كما علمت أثبتوا لها أيضا صفة الألوهية بدليل قولهم «ما نعبدهم» فكانوا يعظمونها بالركوع لها والسـجود واستبدلوا تعظيم الله بالعـبادة

التي كانوا يعرفونها من شريعة ابراهيم بتعظيم هذه الاصنام واعتقدوا فيها أنها تسمع وتبصر بذاتها فلهذا كفروا والمتوسلون بالنبي وبالولي لم يسجدوا للنبي ولم يركعوا للولي ولم يعتقدوا في واحد منهما أنه يخلق النفع أو يخلق الضرر ولكنهم يعتقدون اعتقادا جازما بأن النبي أو الولي يتسبب في النفع أو في الضرر ، وأن رحمة الله منهم أقرب وبهم أرجى وأن اجابة الله اذا كانت لنا واحدا في المائة تكون لهم تسعين في المائة فلهذا يتوسلون بهم ويرجون من الله الخير على أيديهم وليس في ذلك شائبة ضرر عليهم في دينهم

(العقيدة الثالثة) أن المشركين كانوا يعتقدون أن عبادة الاصنام هي التي تقربهم الى الله كما قال الله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهم يطلبون القربى بطريق غير مشروع قد نهى الله عنه وهو عبادة الأصنام، والمتوسلون يطلبونها بطريق مشروع أمر الله به ، وهو الاستعانة بالمقربين وأين هذا من ذاك ــ فهذه العقائد الثلاثة كما ترى لا يمكن تطبيقها ولا انطباقها على المتوسلين فكان وجه الشبه بين الفريقين غير متحقق والحاق أحدهما بالآخر في محل المنع ، والمعترضون لما وجدوا ان الاية لا تساعدهم اطلاقا على تشبيه المتوسلين بالمشركين أخذوا يهرجون ويقولون ان الاستشفاع بالمقربين عبادة والاستعانة بهم عبادة والتوسل عبادة وغايتهم من هذه التمويهات نظم المتوسلين في سلك عبدة الاصنام وفاتهم أن الاستشفاع والاستعانة والتوسل كلها مأمور بها شرعا فكيف يأمر الله بما هو عبادة لغير الله هذا هو علم المعترضين ومنطق المهرجين يريدون أن يدخلوا ما أمر الله به المؤمنين الموحدين من التعاون ، وطلب الوسيلة اليه والاستشفاع بالمقربين لديه في عبادة المشركين للأصنام فيحرمون ما أحل الله افكا واجراما ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ظلما وعدوانا ويدخلون في احكام القرآن ما لا يريده القرآن كذبا وبهتانا « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

قال الله تعالى « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ذكر العلماء أن هذه الآية نزلت في بني قريظة وبني النضير وهم أهل كتاب وكان بينهم وبين الأوس والخزرج وهما من مشركي العرب مشادة ومحادة في الجاهلية وقبل أن يولد الرسـول ويبعث فكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج أي يستنصرون ويطلبون من الله أن ينصرهم على أعدائهم المشركين متوسلين اليه بالنبي الذي سيبعث في آخر الزمـان والذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة فينصرهم الله على المشركين وروى السدى في كيفية استنصار اليهود أي في كيفية طلبهم النصر من الله أنهم كانوا اذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على الموضع الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اللهم انا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم عـلى عدونا فينصرون ، وهذا من أوضح الأدلة على صحة التوسل بامام العالمين وبالاولياء المقربين أحياءا كانوا أو أمواتا لأنه اذا أقر الله في القرآن هذا التوسل بالرسول قبل أن يولد وقبل أن يبعث وقبل أن تكتب في صحيفته أعماله الخالدة التي قدمها في حياته وعمال آمنه لأنه هو السبب الوحيد فيها فلأن يتوسـل به بطريق الأولى بعد أن ولد وبعث واكتسب هذه المصالح التي لا نهاية لهـا لكن المعترضين لا يسلمون حتى ما ثبت بطريق الاولى فعندهم ان التوسل برسول الله اشراك ، فهل كان اليهود أعرف بمقام الرسول منهم ، وهل كانوا أسلم عقيده وأقرب الى ربهم من هؤلاء يهود بني قريظة وبني النضير كانوا يتوسلون بالنبي قبل أن يولد ويبعث ، وهؤلاء يمنعون التوسل به حال موته بعد أن ولد وبعث ويهود بني قريظه وبني النضير كان يتوسلون به ويقرهم الله على توسلهم ويستجيب لهم توسلهم بحضرته ، وهؤلاء يحرمون التوسل ويحكمون بالكفر على من يتوسل بالرسول أويقول يارسول الله فأى الفريقين أعرف بمقام الرسول وأسلم عقيدة وأصدق طوية من هذه العقائد الضـالة والطوايا السيئة والسرائر الخبيثة ، فاللهم سلمنا من زيغ القلوب وطمس البصائر

وأعدنا من مركب النقص الذى يستولى على العقول فتطيش ولا تعى ماتقول ومما يثبت التوسل بالأنبياء والمقربين بعد وفاتهم أيضا ماذكره القاضى عياض عن أبى محمد المكى وأبى الليث السمرقندى وغيرهما ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فقال الله من أين عرفت محمدا قال رأيت فى كل موضع من الجنة مكتـوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له، وحديث استشفاع آدم وتوسله بالنبى ورد من عدة طرق وأخرجه البيهقى والحاكم والطبرانى فى الصغير وابو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب ، ولا مانع من أن يكون هذا التوسل من جملة الكلمات التى تاب الله على آدم بسببها ، فهذه كلمة ، وقوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » كلمة أخرى وما روى عن ابن عباس من أن آدم قال يارب ألم تخلقنى بيديك ألم تنفخ فى من روحك الى آخره كلمة ثالثة

الدليل الثالث روى الترمذى وابن ماجه والحاكم عن عثمان بن حنيف وصححه الحاكم أن رجلا ضريرا أتى للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لى أن يعافينى أن رجلا ضريرا أتى للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لى أن يعافينى فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير قال فادع فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويحسن الوضوء ويصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء « اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يارسول الله انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى اللهم فشفعه فى قال ابن حنيف فوالله ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط ، وهذا الحديث ليس مخصوصا بالتوسل فى حال الحياة لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توسلوا بهذا التوسل بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام ، فقد أخرج السهمى وأبو نعيم فى المعرفة عن أمامة بن سهل ابن حنيف أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان فى حاجة ، وكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فلقى ذلك الرجل عثمان بن حنيف وشكى اليه ذلك فقال له ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل (اللهم

اني أسألك واتوجه الى آخر الدعاء المتقدم فانطلق الرجل فصنع ما قال ثم أتى باب عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة وقضى له حاجته ثم قال له عثمان « ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال جزاك الله خيرا » ما كان ينظر الي ولا يلتفت الي حتى كلمته ولكن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وجاءه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره فقال له النبي ان شئت دعوت وان شئت صبرت الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل بالرسول في حياته وبعد انتقاله وفعله السلف الصالح وفي خير القرون ، وفيه أيضا نداء له يارسول الله فهل أشرك السلف الصالح بذلك ؟

الدليل الرابع روى البيهقي وابن ابي شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر فجاء بلال بن الحارث الى قبر الرسول فقال يارسول استسق لأمتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله وأخبره انهم يسقون فذهاب هذا الصحابي الى قبر الرسول وطلبه من الرسول ان يستسقى لأمته في خلافة عمر دليل صريح على جواز التوسل بالانبياء والمقربين أحياء أو ميتين وأن التوسل ليس أمرا محدثا كما يقولون بل كان يفعله السلف الصالح في خير القرون

الدليل الخامس قوله تعالى مخاطبا الكفار الذين كانوا يعبدون الملائكة ويعبدون عيسى وعزيرا « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » يقول الله لهؤلاء الكفرة العابدين أولئك الذين تعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب منهم الى الله وأقرب الملائكة الى ربهم هم رؤساؤهم وأقرب الأنبياء الى ربهم هو امامهم فقصركم لها على الأعمال باطل بدلالة النص فيعلم من هذا أن الوسيلة ليست قاصرة على الأعمال الصالحة بلا نزاع بل هي كل ما يقرب الى الله أن ثبوت ذلك بنص القرآن

الدليل السادس ما ثبت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم

فسقوا وكان من دعاء عمر اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا
وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وانما لم يستسق عمر بسيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم لأن الاستسقاء عبادة بدنية لابد فيها من صلاه
ركعتين سنة الاستسقاء ثم الدعاء من الامام عقب صلاة الاستسقاء ، ثم
التأمين من المأمومين على دعاء الامام وشفاعته ، ولذلك كان العباس يدعوهم
يؤمنون على دعائه ويقول « اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا
بتوبة ، وقد توجه القوم لى لمكانى من نبيك ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب
ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث وهم يؤمنون على دعائه ، فأرخت السماء
عليهم مثل الحبال حتى أخصبت الارض وعاش الناس » فلكون الاستسقاء
عبادة بدنية مشروعة بادر عمر بامتثالها ، وما كان له أن يترك العبادات
المشروعة ويكتفي بالتوسل به صلى الله عليه وسلم فتركه التوسل به صلى الله
عليه وسلم لا لأن التوسل به لا يجوز أو لا يستحب بل لأن مشروعيه
الاستسقاء تقتضي ما فعله عمر ، أما قول المعترضين ان عدول عمر عن التوسل
برسول الله الى التوسل بعمه العباس دليل على أنه لا يجوز التوسل بالأموات
فقول هراء لما علمت من أن مشروعية الاستسقاء تقتضي ما فعله عمر — ولولا
أن مشروعة الاستسقاء تقتضي ذلك لبادر عمر بالاستسقاء برسول الله صلى
الله عليه وسلم لا سيما وهو يعلم علما جازما أن اليهود كانوا يستفتحون به
قبل أن يولد ويبعث فيفتح عليهم ، ويعلم علما جازما أن حياة الرسول الروحية
أقوى من حياته البدنية أضعافا مضاعفة وأقوى أيضا من حياة الشهداء ويعلم
أن الرسول قد فاز بمقام الشهادة أيضا بسبب أكلة أحد المعروفة ، واذا كانت
السيدة عائشة تعلم الكثير عن الحياه الروحية حتى انه لما مات سيدنا عمر
ودفن بجوار أبيها ارخت على وجهها الحجاب بعد دفن عمر ، وكانت تذهب
قبل ذلك لزيارة أبيها وسيد الوجود سافرة الوجه لأنها فى حضره أبيها وزوجها
ثم أصبحت بعد دفن عمر فى حضرة أجنبي غير محرم فلهذا أرخت الحجاب
على وجهها أفلا يعلم ذلك سيدنا عمر ويعلم ما هو أكثر منه وأكثر وهو
المعروف، بالمخاطبات الروحية وخاطب سارية وحذره من أعدائه مخاطبة روحية

مع ما بينهما من مسافات شاسعة فالقول بأن عدول عمر الى الأحياء دليل على أنه لا يصح التوسل بالأموات قول الصم البكم العمى الذين لا يعقلون

تمييز الحق من الباطل والصحيح من العاطل في توسل الناس بالانبياء والأولياء

ذكرنا الأدلة التى تثبت التوسل بالانبياء والأولياء فى حياتهم البدنية أو الروحية ونريد فى هذا الموضوع أن نبين الافعال التى يمكن طلبها من الوسائل والأفعال التى لا يمكن طلبها من الوسائل بل يجب طلبها من الله فنقول الأفعال التى يطلبها الناس من الأنبياء أو الأولياء ، اما أن يصح اسنادها الى الناس كما يصح اسنادها لله فهذه لا شيء فى طلبها من الأنبياء والأولياء مثل قولهم أغثنى يارسول الله اشفع لى عند ربك عاونى ياسيد يابدوى على قضاء حاجتى أو نحو ذلك فهذه الأمثلة لا مؤاخذ فى طلبها من هؤلاء لأن الاستعانه طلب المعونة من الغير وهذا الغير أن كان هو الله فالمراد خلق المعونة فى المستعين بالله ليقوى على العمل وان كان هذا الغير هو العباد فالمراد من معاونتهم هو مشاركتهم لمن استعان بهم فى أعمالهم لتسهل عليهم بالدعاء أو بالمعاونة بالفعل فلما كانت الاستعانة مما يصح اسنادها الى الله تارة كما فى اياك نستعين ، والى العباد تارة أخرى كما فى قوله « وتعاونوا على البر والتقوى » ... صح أن نستعين بالأولياء ... والأنبياء وأن نستعين بالله رب العالمين ، وحديث اذا استعنت فاستعن بالله لفت نظر من الرسول الى طلب الاستعانة المحدية وهى الاستعانة بالله فمعنى الحديث اذا اردت معونة مثمرة ومحدية لا منة فيها من أحد عليك ولا امتنان ولا يمنك عنها حصول ما يطلب لك فعليك بالله ان كنت من الصادقين مع الله والا فاقرع أبوابه وأبواب المقربين اليه ومثله حديث (اذا سألت فاسأل الله) مع أن سؤال الغير لا يمنعه أحد — ومثل الاستعانة فيما تقدم الاستغاثة فانها كما تسند الى الله العباد تقول استغثت بالله فأغاثنى واستغثت بالطبيب فلم يغثنى ويقول الواقع فى ضيق اغثنى يا فلان — ويقول المستغيث (يالله) بفتح اللام ينادى المسلمين ليغيثوه — واستغاث موسى الذى هو بشيعته على الذى من عدوه فأغاثه موسى — فلما كانت الاستغاثة مما يصح اسنادها الى الله والى

العباد صح ان ستغيث بالله وان ستغيث بالعباد على معنى ان نطلب من الله أن يخلق ما يكون سببا في تفريج مضايقنا وأن نطلب من العباد أن يتسببوا في هذا التفريج بالدعاء أو نحوه

أما الحديث الذى رواه الطبرانى فى معجمه أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المسلمين ، فقال الصديق قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق .

فجاءوا اليه فقال انه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله ، فانه لا ينفى الاستغاثة بالغير بل معناه أنكم ان أردتم استغاثة مجدية وتؤتى فائدتها الموجوة لكم وهو قصم ظهر هذا المنافق الظالم العاتى ، وقطع لسانه عنكم فعليكم بقاصم العتاة الجبابرة، وهو الله ، أما أنا فلا يستغاث بى هذه استغاثة المرجوه لكم ، ويسعى من تحقيق ذلك نطقه بالشهادتين

أما الحديث الذى رواه الطبرانى فى معجمه أنه كان فى زمن النبى من الله تستعمل فى طلب الاعاثة من العباد على أن طلب الاعاثة من العباد رجوع الى الأسباب ، وطلب الاعاثه من الله رجوع الى مسبب الأسباب فيجوز أن الرسول أراد ارجاع أصحابه الى مسبب الأسباب ، فقال « أنا لا يستغاث بى حقيقة ، لأنى سبب من أسباب الاعاثة ، والمغيث الحقيقى هو مسبب السبب ، وهو الله ، فاستغيثوا بالله .

ومثل هذا يقال فى قوله « اذا استعنت فاستعن بالله ، واذا سألت فاسأل الله »

ومثل هذا يقال فى الاستغاثة بالأنبياء والمقربين ، فان أردت أن تطرق باب الأسباب فأمامك الأنبياء والأولياء ، وان أردت الرجوع الى مسبب الأسباب فعليك بالله ، وهكذا القول فى الاستشفاع بالأنبياء والأولياء وليعلم أن نفى الشفاعة الا باذن من الله كما هو مصرح به فى القرآن هذا النفى منصب على الشفاعة المقبولة عند الله التى تجدى وتثمر وتؤتى ثمرها بالفعل ، وهذه لا يملكها أحد الا باذن الله .

أما مطلق الشفاعة فيصح سؤالها بدون اذن منه ، كما تدعوه بدون اذن منه ، لأنها فى المعنى دعاء للمستشفع

والشفاعه بالاذن ذكرها الله تيئيسا لعبدة الأصنام الذين يزعمون بأن أصنامهم ستشفع لهم ويقطعون بأن شفاعتهم ستحديهم وتنفعهم ، وهيهات هيهات فمن ذا الذي يشفع عنده الا باذنه

وايضاحا لما تقدم نقول ان اسناد الفعل الى السبب كقول المؤمن الموحد بالله أنبت الماء الزرع جائز وسائغ شرعا ولا يعاقب عليه عبد الله رأسا مع أن المنبت للزرع هو مسبب السبب لا الماء ولكون الماء سببا صح اسناد الفعل اليه

وبمراعاة هذا الأصل تجد أن هناك أفعالا لا حصر لها يصح اسنادها للسبب كما يصح اسنادها لمسبب السبب كشفي وأمرض وأصح وأسقم وأعطى ومنع ووصل وقطع وأمات وأحيا ووسع فى الرزق وضيق هذه الأفعال يصح اسنادها للسبب كشفي الطبيب وأمرض وأصح وأسقم وأعطى الغني ومنع ووصل وقطع وأمات الطبيب فلانا وأحياه ، ووسع فلانا على عاله فى الرزق وضيق عليهم .

وعلى هذا الأصل اذا أسند الفعل الذي تسبب فيه النبي أو الولي اليهما لم تكن محلا لآداب الدين ، ولا خارجا عن الطريق المستقيم ولا مسئولا فى ذلك أمام رب العالمين فاذا قلت شفاني زيد أي تسبب بسؤاله الله فى شفائي أو قلت أعطاني ووسع على أونحو ذلك لأنه تسبب فى ذلك فهذا لا عار عليه ، انما الذي لا يجوز ولا يسوغ ويعاقب عليه من الله ، هو أن تعتقد أن هذا المخلوق هو الذي خلق الشفاء أو خلق السعة والرزق ، أو أوجد شيئا من ذلك بذاته وبدون رجوع الى الله فان هذا الاعتقاد شرك صريح ولا يمكن أن يوجد فى المسلمين فرد واحد يعتقد هذا الاعتقاد ، وبهذا يمكنك أن تميز الصحيح من الباطل والسليم من العاطل فى توسلات الناس

فليس البدوي أو غيره فى عقائد المسلمين الا أسبابا ووسائل لنيل المقصود وأن الله هو الفاعل لما يريد كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون أو الخالقون « والله خلقكم وما تعملون » .

ولا تجد مسلما واحدا يعتقد أن الميت فى قبره أو روحه المنفصلة عنه تستطيع أن تفعل شيئا أكثر من أن تشفع عند الله لمن أتاه أو استغاث به وناداه وأن الله يتفضل بالغوث كرامة لهذا الولى الذى لجأ اليه السائل مستشفعا أو مستنجدا أو مستغيثا

فاللهم أغثنا برحمتك ، وأنجدنا ببركة أحبابك ، وشفع فينا خير أنبيائك واحشرنا بفضلك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة

رســـالة



مؤسسة

دار التحرير للطباعة والنشر

مطابع شركة الإعلانات الشرقية